



الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم



عام التسامح

2020-2019

اللغة العربية

كتاب النصوص



الصف
10



اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

كتاب النصوص

الصف العاشر

الطبعة الرابعة 1440-2019 هـ / م 2020



رسالة إلى الطالب

«يجب أن يكون الكتاب فأساً للبحر المتَجَمِّدِ فينا»
(كافكا)

عزيزي الطالب،

هذا كتابٌ صممَ ليكون رفيقاً لك وصديقاً؛ ستجد فيه النصوص المقررة في كتاب التّطبيقات اللغوية، ونصوصاً أخرى رديفة، في كُلٍّ فنٍّ من فنون القول: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والنّصوص الأدبية، ونصوص الرأي، والنّصوص المعلوماتية. وهو دعوةٌ مُّنَا لِتَكُون القراءة طقساً من طقوس حياتك اليومية، تجد لها متسعاً من الوقت، فتخلو فيه بكتابٍ تقرأه بحرية، وتبحر في عوالمه بهدوء وسلام.

إن التّحرر من نمط الحياة المقيدة بالدروس المقررة والاختبارات إلى الحياة المفتوحة على الثقافة والمعرفة بكل أشكالها وألوانها هو الذي سيمنحك أدواتٍ نجاح راسخةً ومتدلةً ومتناهيةً، وهو الذي سيغير بصيرتك لتري الحياة أكبرَ بكثير من مجرد مدرسة وصفٌ درس. إننا نحثّك على أن تجعل للقراءة في هذا الكتاب وكتبٍ أخرى وقتاً تقتطعه من يومك، ولو كان قصيراً، ونشجعك على أن تجعل لقراءاتك في هذا الكتاب والكتب الأخرى صدى في حياتك، فتتحدد عنها مع أصدقائك وعائلتك، وتكتب عنها على صفحاتك الشخصية في الواقع التواصل الاجتماعي؛ فكلُّ هذا سيسهم إسهاماً ملماً في بناء شخصيتك، وتعزيز ثقتك بنفسك، وتزويدك بمقاييس النجاح الدائم المستمر.

عزيزي الطالب،

إن القراءة، وقراءة الأدب على وجه الخصوص، تساعد المرء على أن يكون أكثر فهماً للحياة والناس، وأوسع أفقاً، وإن هذا النوع من القراءة هو الذي يجعل الإنسان أكثر تواضعاً وتسامحاً وذكاءً. إن كل قصة أو رواية تقرؤها هي بمثابة بوابة تُفتح لك لتُبصر الحياة بتفاصيلها الصغيرة، تلك التي قد لا نتبه لها ونحو نمارس واجباتنا اليومية، ونجد ونردد مع الغادين والرائحين. إن هذه البوابة هي التي تجعلك تستقر في قلوب الكثرين من الناس، أولئك الذين تُكتب عنهم القصص، وتحكي حكاياتهم الروايات، فتعرف مالهم تكن تعرف، وتدرك مالهم يكن خطر لك على بال.

عزيزي الطالب،

إن قراءة الأدب تشبه الدخول في مرآة سحرية كبيرة، تكشف لك وجوهاً لا نهاية لها للحياة، لفعل الزمان في الإنسان، وللإنسان في ضعفه وقوته، في صدقه وكذبه، في عزه وذله، في أنايتيه وظلمه، في رقته وقوته في أحزانه وأفراحه، وألامه وأحلامه. وكلما افتتح كتابٌ بين يدي قارئ في مكانٍ ما، في زمانٍ ما، استطالت مرآة سحرية أمامه ليرى ماله يكن يرى، ويكتشفَ ما كان سيقى محجوباً للأبد لو لا لحظة تبصّر قادته إلى أن يُمسِك بين يديه قصة أو روايةً ستجعله بعد أن يقلب الصفحة الأخيرة فيها يزداد يقيناً أن الخلود لا يكون إلا للخير والحق والجمال.

نرجو لك رحلةً ممتعةً ومفيدةً مع اللغة العربية.

الفهرس

| | |
|----|--|
| 9 | * القرآن الكريمُ والحديثُ الشّرِيفُ |
| 11 | «القرآنُ الكريمُ» |
| 13 | «أحاديثُ شريفةٌ» |
| 15 | * النّصوصُ الأدبيةُ |
| 17 | - الشعرُ |
| 19 | «الشعرُ الجاهليُّ» |
| 23 | ◦ إذا المرءُ لمْ يدنُسْ - السّمّوآل بنُ عادياءَ |
| 24 | ◦ قال طرفة بن العبد |
| 25 | «الشعرُ في عصرِ صدرِ الإسلامِ والعصرِ الامويّ |
| 29 | ◦ بانَ الخليطُ - جريرُ بنُ عطيةَ |
| 30 | ◦ قالت الخنساءُ ترثي أخاها صخرًا |
| 31 | «الشعرُ في العصرِ العباسيِّ |
| 35 | ◦ حللُ الربيعِ - ابنُ وكيع التّنisi |
| 36 | ◦ قال البُحترِيُّ يصفُ الربيعَ |
| 37 | «الشعرُ العربيُّ الحديثُ |
| 41 | ◦ أنا منْ بدَلَ بالصَّحَبِ الكتاباً - أحمدُ شوقي |
| 42 | ◦ لا تَطْرُقِ البابَ - للشاعرِ عبد الرّزاقِ عبد الواحد |
| 43 | ◦ سُفُرُ أَيُوبَ - بدر شاكر السّيّاب |

ملاحظة:

النّصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللغوية) تجد عنوانينها مظللة باللون الرّمادي.

| | |
|----------|--|
| 45..... | » الحركةُ الشّعريةُ في دولةِ الإِماراتِ العربيَّةِ المُتَّحِدةِ |
| 47..... | ◦ شيخُ الْعَرَبِ - للشاعِرِ محمدٌ خليفةٌ حاضرٌ المهيري |
| 48..... | ◦ وطنُ العطْرِ - للشاعِرِ عليِّ الشَّعَالِي |
| 49..... | ◦ إِمَارَاتُ الْوَفَاءِ - للشاعِرِ ناصرٌ الْبَكَرِ الزَّعَابِي |
| 50..... | ◦ خَواطِرُ دُوَّهَةِ - للشاعِرِ الدَّكْتُورِ شَهَابٌ غَانِمٌ |
| 51..... | ◦ هُنَا فِي الْخَلِيجِ - للشاعِرَةِ صالحَةِ عَيْدِ غَابِشِ |
| 52..... | ◦ إِمَارَاتُ الْابْتِكَارِ وَالسَّلَامِ - للشاعِرِ نَافِيْفِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرِيسِ |
| 53..... | » شِعْرٌ عَالَمِيٌّ |
| 57..... | - القِصَّةُ الْقَصِيرَةُ |
| 59..... | » القِصَّةُ الْقَصِيرَةُ |
| 63..... | ◦ الخِزْ - (فولفجانج بورشيرت) |
| 66..... | ◦ مِصْبَاحُ الْحَمَّامِ - لطيفَةُ الحاجُ |
| 67..... | ◦ زَعْتُرُ وَزَنجِيلُ - د. سَعَادُ الْعَرِيمِي |
| 71..... | ◦ الْكَرْتُونَةُ - نَافِيْفِ التَّوَائِسَةِ |
| 75..... | ◦ الشَّاعِرُ النَّمُرُ - (تاكاشيماتون) |
| 83..... | ◦ الشَّقَاءُ - (أنطون تشيشوف) |
| 90..... | ◦ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ عِنْدَ الْجِسِرِ - (إرنست همنجواي) |
| 95..... | ◦ الْعَابِرُونَ فَوْقَ شَظَايَاهُمْ - عبدُ العزيزِ الفارسي |
| 99..... | ◦ بَقْعَةُ زَيْتٍ - مريم الساعدي |
| 103..... | - أَدْبُ السِّيرِ وَالرَّحْلَاتِ |
| 105..... | » السِّيَرُ الْأَدِيبِيَّةُ |
| 107..... | ◦ اسْمُهَا تجْرِيَةٌ - (أَرْسِكِينْ كَالْدُوِيلِ) |
| 110..... | ◦ الأَيَامُ - طَهُ حُسْنِي |
| 114..... | ◦ ذَكْرِيَاتُ مَدْرَسِيَّةٍ - المازني |

* نصوصُ الرأي

- المَقَالَاتُ

» المَقَالَةُ

- 119 ٥ العتابُ صابونُ القلوبِ ! - ميخائيل نعيمة
121 ٥ الدُّولُ بينَ الابتكارِ أوِ الاندثارِ - صاحبُ السِّمْوَ الشِّيخُ محمدُ بنُ راشدِ آل مكتوم
123 ٥ (الفيسبوك) والعقلُ الجمعيُّ - د. موزة أحمد راشد العبار
126 ٥ الطبيعةُ مدرسةٌ دائمةٌ - رشدي المعلوف
129 ٥ كيفَ أنقذتني الكتابةُ - سلطان العميمي
133 ٥ الأعمدةُ الصحفيةُ

- الأعمدةُ الصحفيةُ

» العَمودُ الصَّحْفِيُّ

- 141 ٥ شَعرُّهُ يَرَاها العَالَمُ - مهرة بنتُ أَحمدَ
143 ٥ مَتَى تَخْتَنِي ظاهِرَةُ (السَّيْلِفي) - أَحمدُ الْحَدِيدِيُّ
145 ٥ اعترافاتُ فِي عَامِ القراءةِ - عبدُ اللهِ الشُّويْخُ
146 ٥ كاتِبٌ وراءَ كاتِبٍ وراءَ كاتِبٍ - خالدُ السَّوِيدِيُّ
147 ٥ كاتِبٌ وراءَ كاتِبٍ وراءَ كاتِبٍ - خالدُ السَّوِيدِيُّ
149 ٥

* النّصوصُ المعلوماتيةُ

- 151 ٥ النّصوصُ المعلوماتيةُ
153 ٥ التَّسْوِيقُ الْإِلْكْتَرُونِيُّ
156 ٥ الأَمْلُ وَالطَّمَوْحُ
161 ٥ كِيفَيَّةُ تَقْدِيرِ الذَّاتِ - عائشةُ نُوفل
163 ٥ تَارِيْخُ الْأَعْدَادِ
166 ٥ الْقِطَاعَاتُ السَّبْعَةُ الْأَكْثَرُ اسْتِفَادَةً مِنَ الذَّكَاءِ الْأَصْنَاعِيِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ - (أدريان بريندجور)



القرآن الكريم
والحاديُّثُ الشَّرِيفُ

القرآن الكريم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا بِلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمُنَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَنْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُرَّ نَاءِبُوْنَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرَنِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُرَّ يَخْفَنُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلُنَا الْيَوْمَ عَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدْوًا عَلَى حَرَنِ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا فَأَلْوَأُوا إِنَّا أَضَالُوْنَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ نَحْرُوْمُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَمْرَأُلْ لَكُمْ لَوْلَا تَسْتَحِيُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سَبَّحْنَ رِبَّنَا إِنَّا كَانَ طَالِبِيْنَ ﴿٢٩﴾ فَاقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُّمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوْمَنَا إِنَّا كَانَ طَاغِيْنَ ﴿٣١﴾ عَسَى رِبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رِبَّنَا رَاغِبُوْنَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعْنَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُوْنَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الْمُنَّقِّنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ الْأَنْعَمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمُجْرِمِيْنَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كِيفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة القلم)



أحاديث شريفة

الحديث "حسن الخلق"

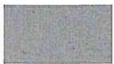
* عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً. وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً». (متفق عليه)

عن أنس بن مالك قال:

* كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علقَ نعليه بيدِه الشمالي، فلما كان الغدو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: «إني لا حيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثة فإن رأيت أن تؤونني إليك حتى تمضي فعلت»، قال: «نعم». قال أنس: وكان عبد الله يحدّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يرها يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبير حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: «غير أني لم اسمعه يقول إلا خيراً»، فلما مضت الثلاث ليالٍ، وקידت أن أحترق عملاً قلت: «يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي عرض ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة، فطلعت أنت الثالث المرار، فاردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثيراً عملي، فما الذي يبلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، فقال: «ما هو إلا ما رأيت». فلما وليت دعاني، فقال: «ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي إلا أحدٌ من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاء الله إياه»، فقال عبد الله: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق».

(ابن كثير)

النصوص الأدبية



الشعر





الشِّعْرُ الْجَاهْلِيُّ

الشِّعْرُ الْجَاهْلِيُّ هو الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قِيلَ قَبْلَ إِلَيْسَام، وَقَدْ تَمَيَّزَ الْعَرَبُ عَنْ سَوَاهِمِ الْأَمَمِ الْأُخْرَى بِصَفَاتِ الْقَرِيقَةِ وَمَلَائِمَتِهِمْ بَيْنَ بَيْئِهِمْ وَخَيْالِهِمْ وَتَأْمِلِهِمْ، فَكَانُوا أَشَعَّرُ الْأَمَمِ.
فَالْبَادِيَّةُ بَيْئَةُ الشِّعْرِ الْجَاهْلِيِّ، وَلِذَلِكَ كَانَ الشِّعْرُ مَرَأَةً لِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْبَدوِيَّةِ الْقَاسِيَّةِ الْخَشْنَةِ،
يُصَفُّ الْأَطْلَالُ وَالْدِيَارُ وَالْأَنْجَاعُ وَالظَّعْنُ وَالْفَلَّاَةُ وَالْحَيْوَانُ وَالْمَعَارِكُ وَآبَارُ الْمِيَاهِ.

لَقَدْ كَانَ الشِّعْرُ دِيَوَانُ حِكَمِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهِمْ، وَسِجْلُ وَقَائِعِهِمْ وَسِيرِهِمْ، وَمَادَةُ حَوَارِهِمْ،
يَرْتَجُلُونَهُ؛ لِيَعْبِرُوا عَمَّا يَخْتَلِجُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عَوَاطِفٍ وَهَمَمَّ. وَالشِّعْرُ الْجَاهْلِيُّ شِعْرٌ
غَنَائِيٌّ ذَاتِيٌّ يَصُورُ نَفْسِيَّةَ الشَّاعِرِ وَأَحَاسِيسِهِ، سَوَاءً أَكَانَ يَتَغَزَّلُ أَمْ يَفْخَرُ أَمْ يَمْدُحُ أَمْ يَهْجُو
أَمْ يَرْثِي أَمْ يَعَاتِبُ أَمْ يَعْتَذِرُ أَمْ يَصُفُّ. لَقَدْ كَانَ الشِّعْرُ يُنْشَدُ إِنْشَادًا أَوْ يُعَنَّى غَنَاءً، فَالْغَنَاءُ كَانَ
أَسَاسَ تَعْلُمِ الشِّعْرِ.

وَتَظَهُرُ مُوسِيقِيُّ الْغَنَاءِ فِي وزنِ الْقَصِيدَةِ وَحْرَفِ الرَّوِيِّ (قَافِيَتِهَا) الْمُوحَدِ؛ فَإِنْ كَانَ حَرْفُ الرَّوِيِّ (الْقَافِيَّةِ)
فِي الْقَصِيدَةِ (الْبَاءِ) تُسَمَّى الْقَصِيدَةِ (بَائِيَّة)، وَإِنْ كَانَ حَرْفُ الرَّوِيِّ فِي
الْقَصِيدَةِ (الْدَّالِ) تُسَمَّى الْقَصِيدَةِ (دَالِيَّة)، وَإِنْ كَانَ حَرْفُ الرَّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ (نُونًا) تُسَمَّى
الْقَصِيدَةِ (نُونِيَّة)، كَمَا تَظَهُرُ الْمُوسِيقَا فِي التَّصْرِيفِ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ، وَالتَّصْرِيفُ هُوَ اِتِّفَاقُ
آخِرِ جَزءٍ مِنْ صَدَرِ الْبَيْتِ وَآخِرِ جَزءٍ مِنْ عَجَزِهِ فِي الْوَزْنِ وَالْتَّقْفِيَّةِ، كَقُولُ عَلْقَمَةِ بْنِ عَبْدَةِ
الْتَّمِيمِيِّ:

طَحَابِكَ قَلْبُ فِي الْجِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانِ مُشَيْبُ

وَتَظَهُرُ الْمُوسِيقَا أَيْضًا فِي التَّقْطِيعِ الصَّوْتِيِّ لِلْأَيَّاتِ، كَقُولُ امْرَأِ الْقِيسِ فِي مَعْلُوقِهِ يَصُفُّ
فِرْسَهُ:

مَكَرٌ، مَفَرٌ، مُقْبِلٌ، مُدْبِرٌ، مَعًا
كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وَقَدْ تَبَوَّأَ الشَّاعِرُ الْجَاهْلِيُّ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً فِي عَصْرِهِ فَكَانَ لِسَانَ قَبِيلَتِهِ، كَمَا لَعِبَتِ الْأَسْوَاقُ
الْمُوْسَمِيَّةُ الْكَبْرِيَّةُ دورًا مَهِمًا فِي التَّعْرِيفِ بِالشِّعْرَاءِ وَنَقْلِ أَشْعَارِهِمْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَى.

فالأسوق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل كانت -أيضاً- للخطابة والشعر، ومن أهم هذه الأسواق: سوق عكاظ، وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة، وكانت تستمر عشرين يوماً، وسوق ذي المجاز قرب يَنْبُعِ، ويَنْبُعُ ثَغْرُ مدينة الرَّسُول ﷺ، وسوق مَجَّانَة قرب مكة.

ويذهب المؤرخون إلى أن النابغة الذبياني كان من المُحَكَّمين، تقام له في هذه السوق قُبَّةٌ يذهب إليها الشّعراء؛ ليعرضوا شعرهم عليه، فمن أشاد به ذاع صيته وتناقلت شعره الرّكبان.

والشّعر الجاهلي شعر مرويٌّ، لم يُدوّن إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يفسر ضياع أغلبه. فالكثير من رواته ذهب بهم حروب الفتح، وأوفر هذه القصائد حظاً من الحفظ هي المعلقات أو المذهبات، وقد عدّت المعلقات من أفضل ما وصلنا من العصر الجاهلي. ويزعم أغلب المؤرخين أنها سبع قصائد اختارتها العرب فكتبتها بماء الذهب، ثم علقتها على الكعبة إعجاًباً بها، وأصحابها هُمْ: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة.

وتتناول القصيدة الجاهلية مجموعة من الموضوعات والعواطف المختلفة في بناء ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إذ يستهل الشاعر القسم الأول بالبكاء على الديار القديمة (الوقوف على الأطلال) التي رحل عنها، وترك فيها ذكرياته، وهو بكاء يُردد إلى شاعر سابق امرأ القيس هو ابن خدام، كان أول من بكى على الأطلال، كما جاء في ديوان امرأ القيس:

عوجا على الطلل المُحيل لعَنَّا
نبكي الديار كما بكى ابن خدام

والتعزّل بالمحبوبة، أي التّسبّب، وهو ينقسم إلى قسمين: غزل عفيف، يدور حول بُث الشوق واللوعة، وغزل حسّي، يصف جمال المرأة: شعرها وعنقها وجبينها وعينها وأسنانها وطولها.. كما يصف ثيابها وزينتها وعفتها، ومن الغزل العفيف يمكن أن نستشهد بما قاله عترة بن شداد في ابنة عمّه عبلة:

| | |
|--|--|
| وأشهرُ ليلي والعواذلُ نَوْمٌ | سأضِمُّ وَجْدي في فَوَادِي وَأَكْتُمُ |
| وأَلْزَمُ مِنْهُ ذَلَّ مِنْ لِيسَ يَرْحَمْ | وأَطْمَعُ مِنْ دَهْرِي بِمَا لَا أَنْالَهُ |

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف ظعنها، أي ترحالها مع قبليتها إلى مكان آخر بحثاً عن الماء والكلأ، كقول المثقب العبد في قصيده:

لِمَنْ ظُعِنْ تَطَلَّعَ مِنْ ضَيْبٍ
يُشَهِنَ السَّفَينَ وَهَنَ بَخْتٌ
فَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْوَادِي لِحِينٍ
عُرَاضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّؤُونِ

والقسم الثاني هو الرحلة، يصف فيه الشاعر رحلته ووسيلة نقله، وكل ما تقع عليه عيناه في الصحراء من حيوان وزواحف وطير، والمصاعب التي تتعارض، والفلة التي يقطعها ليßen شجاعته وبأسه. يقول طرفة بن العبد واصفاً ناقته وسرعتها:

فَإِنِّي لِأُمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
أَمُونِ كَالْلَوَاحِ الإِرَانِ نَصَائِهَا
بُنَارِي عِنَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَبْعَثْ
بِعْوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوْخُ وَتَعْتَدِي
عَلَى لَاجِبٍ كَانَهُ ظَهُورٌ بُرْجَدٌ
وَظِيقَا وَظِيقَا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبِّدٍ

والقسم الثالث هو الغرض الرئيس في القصيدة، وهو إما فخر أو مدح أو رثاء أو هجاء أو عتاب أو اعتذار أو حكمة.

فالفخر فخر بالقبيلة وبالنفس، وهو من مقومات الحياة القبلية، يفخر فيه الشاعر بالنسب والشجاعة والكرم والإسراع إلى معونة الآخرين، كقول عترة بن شداد:

لَا تَضْحِكِي مِنِي عُبْلَةُ وَاعْجَبِي
وَرَأَيْتَ رَمْحِي فِي الْقُلُوبِ مَحْكَمًا
مِنِّي إِذَا التَّفَتْ عَلَيِّ جِيُوشُ
وَعَلَيِّهِ مِنْ فَيْضِ الدَّمَاءِ نَقوْشُ

والمدح هو ثناء على الممدوح وفضائله وما ثراه، ويغلب على أهل البايدية كما نرى ذلك عند أمرئ القيس وذهير بن أبي سلمى، ومدح للتكتسب يغلب على أهل الحضر كما نرى عند النابغة الذبياني والأعشى. يقول أمرئ القيس مادحاً ببني تميم لما أجاروه:

كَائِي إِذْ تَرَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى
فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى
نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَادِخِ مِنْ شَمَامٍ
بِمُقْتَدِيرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ

والرثاء هو مدح الميت، يصف فيه الشاعر الجاهلي المرثي بجميع الصفات التي يصف بها الممدوح، ومثال ذلك رثاء النساء لأنها صخر:

| | |
|--------------------------------------|---|
| بَكْتُ عَيْنِي، وَعَاوَدَهَا قَذَاها | بَعْوَارٍ فَمَا تَقْضِي كَرَاهَا |
| عَلَى صَخْرٍ، وَأَيْ فَتَّى كَصَخْرٍ | إِذَا مَا النَّابُ لَمْ تَرْأَمْ طِلَاهَا |

والهجاء عكس المدح يوصف فيه المهجو وقبيلته بضعة النسب والجبن والبخل.

يقول النابغة الذبياني هاجياً عامر بن الطفيلي:

| | |
|--|---------------------------------------|
| فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهَلًا | فَإِنْ مَطِيَّةً الْجَهَلُ السَّبَابُ |
| فَكَنْ كَأْبِيكَ أَوْ كَأْبِي بِرَاءٍ | تَصَادِفُكَ الْحُكْمَةُ وَالصَّوَابُ |

والحكمة، فهي قول موجز مشهور، يتضمن معنى مسلماً به، ويعبّر عن خلاصة تجارب أصحابها في الحياة. يقول شاعر الحكم زهير بن أبي سلمى:

| | |
|--|--|
| وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ | يُضَرَّسْ بِأَنِيابٍ وَيَوْطَأْ بِمَنْسِمٍ |
|--|--|

إذا المرء لم يدنسْ السموآل بن عادياء

فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
شَابٌ تَسَامِي لِلْعُلُّا وَكُهُولٌ
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
مَنْيَعٌ يَرُدُّ الطَّرَفَ² وَهُوَ كَلِيلٌ
إِلَى النَّجْمِ فَرْغٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ
وَلَا طُلَّ مِنَا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظَّبَابِ تَسِيلُ
إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُحُولٌ
لِرَوْقَتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولٌ
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَذِّبَخِيلٌ
لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولٌ
فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولٌ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدَنْسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا

¹⁾ ما العاطفة المسيطرة على الشاعر في هذا

البيت؟ وما المعنى

الضموني في قوله «إنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ»؟

²⁾ ما معنى الطرف؟

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الشَّرَى وَسَمَا بِهِ

³⁾ ما معنى «حتف»

أنفه؟

وَمَا ماتَ مِنًا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ

تَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الظَّبَابِ تُفُوسُنَا

صَفَوْنَا فَلَمْ نَكُدْرُ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا

عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظَّهُورِ وَحَطَّنَا

فَنَحْنُ كَمَاءُ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا

سَلِي إِنْ جَهَلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ

*) ديواناً عروة بن الورد والسموآل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص 90.

قال طرفة بن العبد

فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوْصِيهِ
 فَلَا تَنْأِيْ عَنْهُ وَلَا تُفْقِيهِ
 فَشَاؤْرَ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِيهِ
 فَإِنَّ الْقَطِيعَةَ فِي نَقْصِهِ
 حَدِيثًا إِذَا أَنْتَ لَمْ تُحْصِهِ
 فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي تَصْهِ
 حَرِيصٍ مُضَاعٌ عَلَى حَرْصِهِ
 وَقَدْ يُعْجَبُ النَّاسُ مِنْ شَخْصِهِ
 وَيَأْتِيَكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصَّهِ
 وَسَرَبَلْنِي الدَّهْرُ فِي قُمْصِهِ^١

وَإِنْ كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا
 وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا
 وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوْى
 وَذُو الْحَقٌّ لَا تَنْتَقْصُ حَقَّهُ
 وَلَا تَذْكِرِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ
 وَتُؤْنِصَ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ
 وَلَا تَحْرَصَنَّ فَرْبَ امْرِئٍ
 وَكَمْ مِنْ فَتَّى سَاقِطٍ عَقْلُهُ
 وَآخَرَ تَحْسِبُهُ أَنَوْكًا
 لَبْسُ اللَّيَالِي فَأَفْنِيَنِي

^١) الديوان ص 5 . والتوى: صعب. ولم تحصه: لم تعمال له حساباً. والأنوک: الجاهل. وفضه: أصله. وسربلني: ألبسني سربالاً، أي قميصاً.

الشّعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويٌّ

ظلّ الشّعر في عهد الرّسول ﷺ جاهليًّا في شكله^١، فشعر طبقة المُخضرين التي عاشت في الجاهلية، وأدركت الإسلام كعب بن زهير، والخطيئه، ومعن بن أوس، والنابغة الجعدي استمراً للمذهب الجاهلي، ولم يتأثر شعرها بالإسلام إلا في بعض موضوعاته. وبعد أن دانت قريش وسائر العرب للدين الجديد قَلَ الهجاء المقذع والمدح المبالغ فيه والغزل الصريح والفخر بالخمر وبالثار؟ لأن الرّسول ﷺ نهى عن الشّعر الذي يثير الأحقاد والعصبيات، أو يشجّع على ارتكاب الفاحشة.

وقد انتهج الخلفاء الراشدون نهج الرّسول ﷺ، فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حبس الشّاعر الخطيئه حين أقذع في هجائه للزّبرقان بن بدر، ولما طلب منه الخطيئه العفو؛ لأن حبسه حال دون الاهتمام بأولاده، عفا عنه، وَخَلَى سبيلاً على ألا يهجو أحداً من المسلمين. يقول الخطيئه:

| | |
|---|---|
| رُغْبُ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءُ وَلَا شَجَرٌ | مَادَا تَقُولُ لِأَفْرَارِخِ بَذِي مَرَخِ |
| فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَاعُمَرُ | غَيَّبَتْ كَاسِبُهُمْ فِي قَعْدِ مُظْلِمَةٍ |
| أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهَى الْبَشَرُ | أَنْتَ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ |

وكثر الرثاء للشهداء، والتمدح بالإسلام، فظهر في شعري جديد، يسمى البديعيات، وهي قصائد نظمت في مدح الرّسول ﷺ. ومن رواد هذا الفن الشّاعر حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرّسول ﷺ، كان يمدحه، ويردد عنده هجاء المشركين، من أمثال: عبد الله بن الزبيري، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وقد كثرت في شعره التعبير الإسلامي والاقتباس من القرآن الكريم، يقول حسان بن ثابت في إحدى بديعياته:

أَغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ
مِنَ اللَّهِ مَسْهُودٌ يَلْوُحُ، وَيُشَهُّدُ

١) - راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط ٤، (بيروت: دار العلم للملائين، ١٩٨١)

- راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط ٨ (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤)

إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤْدَنُ أَشَهَدُ
فِذِو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ
مِنَ الرُّسُلِ، وَالْأُوْثَانُ فِي الْأَرْضِ تَعْبُدُ

وَضَمَّ إِلَّهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلِلُهُ
أَبَيْ أَتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةً

كما اشتهر كعب بن زهير بلاميته «بانت سعاد» التي أعلنت فيها إسلامه، وطلب فيها رضا الرسول ﷺ وغفرانه، فغفر له الرسول ﷺ وأهداه بردته، فما زالت في أهلها حتى اشتراها معاوية منهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخليفة إلىبني عثمان.

يقول كعب بن زهير:

| | |
|---|---|
| <p>لَا أُلَهَّيْنَكَ إِنِّي عَنَكَ مَشْغُولٌ فَكُلُّ مَا قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَهْمُولٌ</p> | <p>وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ فَقُلْتُ خَلُوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ كُلُّ ابْنٍ أُشَيْ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ</p> |
|---|---|

أما في العصر الأموي فقد عادت بعض أغراض الشعر التي نهى عنها الرسول ﷺ كالنقائض - وهي قصيدة «يرد بها شاعر على قصيدة لخصم له فينقض معانيها عليه، يقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو». وتكون النقضة عادةً من بحري قصيدة الخصم، وعلى رويتها، وقد ارتبطت هذه النقائض بالصراعات السياسية بين الأحزاب المتنازعة على الخلافة ومناصريها، فكانت وقود العصبيات، ولسان هذه الأحزاب، يفتخر الشاعر فيها بنفسه وبقومه ويفضائلهم، كالكرم والشجاعة والوفاء بالعهد، والانتصار في الحروب التي خاضوها، والدفاع عن العرض، ثم ينقب عن مثالب خصمهم وقومه من بخل وجبن وفسق وبغي وطغيان، ومن أشهر شعراء هذا الفن جرير، والأخطل، والفرزدق.

يقول الفرزدق في جرير وفي والده عطية البائس الهاجع في حظائر الأغنام، كما يصفه:

| | |
|--|--|
| <p>لَا أُسْتَطِيعُ رَوَاسِيَ الْأَعْلَامِ فِي دُوْحَةِ الرَّؤْسَاءِ وَالْحُكَّامِ رِبْقَيْنِ بَيْنَ حَظَائِرِ الْأَغْنَامِ</p> | <p>قَالَ ابْنُ صَانِعَةِ الزُّرُوبِ لِقَوْمِهِ: إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي بَنِي لِي بَيْتَهُ وَتَرَى عَطِيَّةً ضَارِبًا بِقَنَائِيهِ</p> |
|--|--|

فِيرَدٌ جَرِير ناقضًا قصيدة الفرزدق بأخرى:

خَلَقَ الْفَرَزْدَقُ سَوْءَةً فِي مَالِكٍ
مَهْلَأً فَرَزْدَقُ! إِنْ قَوْمَكَ فِيهِمْ

بالإضافة إلى النّقائض، ازدهر الغزل في العصر الأموي بعد أن هذب في عصر صدر الإسلام الأول، وبعد أن كان تشبّيحاً بالديار، وبُكاءً على الأطلال، أصبح فناً مستقلاً بذاته، يُصوّرُ مساعر الحُبِّ التي سكّبها المجتمعُ الجديدُ في نفوسِ الشّعراء. وبعد أن تحضرت مكّة والمدينة، وغريقتا في البُذُخِ والترفِ نتيجةً لِفتوحاتِ الإسلامِية، وجلبِ الرّقيقِ الأجنبيِّ، وتعلّمهِ الغناءِ والموسيقى، رقت الأذواق، فلانَ الغَزْلُ، ورقَّ.

وانقسمَ الغَزْلُ إلى: غَزْلٌ عُذْرِيٌّ، وغَزْلٌ صَرِيحٌ. والغَزْلُ العُذْرِيُّ نِسْبَةً إلى رائدِهِ جميلِ بنِ مَعْمَرِ الْعُذْرِيِّ (مجنوّن بشينة)، وهو غَزْلٌ عَفِيفٌ طَاهِرٌ نقِيٌّ، من رواده: قيس بن الملوح (مجنوّن ليلى)، وقيس بن ذريح (مجنوّن لبني)، وكثيّر عزّة (مجنوّن عزّة)، وذو الرمة (مجنوّن ميّة)، وعروبة بن حزام (مجنوّن عفراء)، وتوبة بن الحمير (مجنوّن ليلى الأخيلية). فالشاعر العذري يقصر حبه وشعره على معشوقه واحدة، يرى فيها سعادته وشقاءه، لا يني يتغنى بها مُتذلّلاً مُتضرّعاً يصوّرُ فيها كَلَفَهُ وعَذَابَهُ وحُبَّهُ الذي لا يتغير مع مرور الزمن. يقول جميل في بشينة:

لَا تَحْسِبِي أَنِي هَجْرُتُكَ طَائِعًا
وَلَتَبْكِنِي الْبَاكِيَاتُ، وَإِنْ أَبْخُ
يَهْوَاكِ - مَا عَشْتُ - الْفَؤَادُ، إِنْ أَمْتُ

ومن رواد الغزل الصّرِيحِ (الإِبَاحِيُّ الْحَسِيُّ) عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعرجي، ولا يلتزم فيه الشّاعر بحب امرأة واحدة، بل يتّبع الجمال أينما كان، فيتغزل بأكثر من امرأة، ويصف مفاتنها ومخامراتها معها، وقد يصف مجموعة من النساء. وقد رُوي أن عمر بن ربيعة كان يتعرض للحواج، فيشبّب بالحرائر الجميلات، ويصفهن طائفات محركات، فزهدت الأسر في أداء الفريضة خشية منه، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ينفيه إلى (دُهْلُك)

إحدى جزر البحر الأحمر بين بلاد اليمن والحبشة، ولم يعد إلا بعد أن أقسم أن يتوب.
يقول في إحدى قصائده:

يَقْصُدُ النَّاسُ لِلطَّوَافِ احْتِسَابًا
وَذُنُوبِي مَجْمُوعَةٌ فِي الطَّوَافِ

* بَانَ الْخَلِيلُ جَرِيرُ بْنُ عَطَيَّةٍ

وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا
بِالدَّارِ دَارًا، وَلَا الْجِيرَانِ حِيرَانًا
مُرْوَعًا² مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَحْزَانًا⁽²⁾ ما وزن مروع؟ وهل
هي اسم فاعل أم
اسم مفعول؟
أَوْ تَسْمَعَيْنَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شَكْوَانًا
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا
أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَاكَ
لِلْجَبَلِ صُرْمًا وَلَا لِلْعَهْدِ نِسِيَانًا
أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتُ النَّجَمَ حَيْرَانًا؟
فَتَلَنْتَنَا⁴، ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَانَا⁽⁴⁾ حدد اسم «إن»
وخبرها.
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَرْكَانًا
وَبَحَذَّا سَاكِنُ الرَّيَانِ مِنْ كَانَا
تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرَّيَانِ أَحْيَانًا

بَانَ الْخَلِيلُ وَلَوْ طُوَعْتُ مَا بَانَا

1) ما نوع الفعل حي؟ حيٌ¹ المَنَازِلَ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا
قد كُنْتُ في أَثْرِ الْأَطْعَانِ ذَا طَرَبٍ
لَوْ تَعْلَمَيْنَ الَّذِي نَلَقَى أَوَيْتِ لَنَا

3) ما معنى «مالت سفينته»؟
كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ سَفِينَتِهِ
لا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ
ما أَحَدَثَ الدَّهْرُ مِمَّا تَعْلَمَيْنَ لَكُمْ
أَبْدَلَ اللَّيْلُ؛ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ
إِنَّ الْعَيْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرُ
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبْ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ
يَا حَبَّذا⁵ جَبَلُ الرَّيَانِ مِنْ جَبَلٍ
وَحَبَّذا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانَيَّةٍ

*) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ج 1، ص 160.

قالت النساءُ ترثي أخاها صرّاً

وَأَنْدُبُهُ لِكُلِّ غُرُوبٍ شَمْسٍ
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهِ بِالْتَّاسِي
أَفَارِقَ مُهْجَجِي، وَيُشَقَّ رَمْسي
أَبِي حَسَانَ لَذَّاتِي وَأُنْسِي
أَيْضُّبُ فِي الْفَرِيقِ وَفِيهِ يُمْسِي؟

يُذَكِّرُنِي طَلَوْعُ السَّمْسِ صَحْرًا
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى
فَقَدْ وَدَعْتُ يَوْمَ فَرَاقِ صَحْرٍ
فِيَا لَهَفَيْ عَلَيْهِ وَلَهْفَ أَمْيِ

الشّعر في العصر العباسي

يبدأ العصر العباسي بسقوط الدولة الأموية في الشام سنة 132 هـ / 749 م، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق)، ويتهي سياسياً بسقوط بغداد في يد (هولاكو) التترى سنة 656 هـ / 1258 م.^١

ويعد عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الذي بلغت فيه الدولة الإسلامية أوج ازدهارها الفكري، فنُقلت العلوم الأجنبية، وتنوعت الآداب العربية وتطورت. وخلافاً للدولة الأموية التي كانت عربية خالصة متعصبة للعرب لغةً وأدبًا، قاعدها دمشق على حدود بادية العرب، اصطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأن الفرس هُم الذين أيدوها، فجعلت قاعدها بغداد أقرب الأمصار إلى بلادهم، فتأثر العرب بعادات الفرس وتقاليدهم ولغتهم، وتمازجوا معهم بالتزاوج والتناسل، وأشرك الخلفاء الموالي (المسلمين من غير العرب) في سياسة الدولة من فُرسٍ وأتراك وسريان وروم وبربر فضعفَت العصبية، وتعددَت الفرق، وتکاثرَ الجواري والغلمان، والتأنق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والتشييد، كل هذا كان له أثرٌ بين في اللغة العربية وأدابها.

وسُميَّ الشعر العباسي شعراً مُولَّداً لأن أكثر الشعراء كانوا مولدين (من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي) ولأن الشعر لم يكن عربياً خالصاً في معانيه وأسلوبه كما سُميَ شعراً مُحدَّثاً لأن الشعراء كانوا جُددًا أو متأخرین.

تأثر الشعر بالحياة الحضرية الجديدة مبنيًّا ومعنىًّا وغرضًا وزنًا، فعلى مستوى المبني، هُجِّرَت الكلمات الغربية فأصبحت التراكيب واضحة سهلة، وكثير استخدام البديع، وترك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والرياض والخمور والغزل والإغراء في المدح والهجاء. يقول البحري واصفًا قصر الخليفة المتوكل:

وكأنَّ حيطان الزجاج بجوهٍ
لُجُجٌ يمجن على جنوب سواحل

١) - راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)
- راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: العصور العباسية حتى القرن الرابع هجري، ط 4 (بيروت)، دار العلم للملايين، (1981)

فَتَرَى الْعُيُونَ يَجْلِنَ فِي ذِي رَوْنَقٍ
لَبِسَتْ مِنَ الْذَّهَبِ الصَّقِيلَ سَقْوَةً
مُتَلَهِّبٌ الْعَالِي أَنِيقِ السَّافِلِ
نُورًا يَضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ الْحَافِلِ

أمّا على مستوى المعنى، فقد تولدت المعانوي الحضريّة، واقتبس الأفكار الفلسفية؛ إذ أكثَر شعراء هذا العصر من المؤلَّدين، وهذا يعلّل وفرة المعانوي الجديدة في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. وكان لنقل العرب علوم اليونان وغيرهم تأثير في شعر أبي تمام والمتيني وأبي العلاء المعمري وغيرهم بما دخله من آراء علمية وأفكار فلسفية وسياسية.

أمّا أغراض الشّعر فقد بقيت، واستمرت؛ فالفاخر والمديح والغزل والرثاء والحكمة والوصف والزهد وأغراض قديمةٌ منذ العصر الجاهلي، إلا أن الفخر القبلي القديم تضاءل، وَحَلَّ محله الفخر بالنفس.

يقول أبو الطيب المتيني:

| | |
|---|---|
| وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجَدْوِي دَوَعَوْدُ الْجَانِي وَعَوْدُ الْطَّرِيدِ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِي مِنْ مَزِيدِ وَسَمَامُ الْعِدَى وَغَيْظُ الْحَسُودِ غَرِيبُ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ | لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بْلْ شَرُفُوا بِي وَبِهِمْ فَخُرُّ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الصَا إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجَبُ عَجِيبٍ أَنَا تِرْبُ التَّنَدِي وَرَبُّ الْقَوَافِي أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّهُ |
|---|---|

كما انتشرت في المديح معاني الشجاعة والكرم وشرف الأصل، وأضيفت إليه المقدرة في لعب الشطرنج مثلًا، كما نرى ذلك عند ابن الرومي عندما يخاطب صاحبه أبا القاسم التوزي الشطريجي الذي نبغ في لعب الشطرنج:

| | |
|--|---|
| مَرِ أَرْضُ عَلَلْتَهَا بِدِمَاءِ رَنْجٍ لَكِنْ بَأْنَفَسِ اللَّعَبِاءِ | وَأَرَى أَنَّ رُفَعَةَ الْأَدَمِ الْأَحْ غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبَ بِالشَّطْ |
|--|---|

عَبْ إِنَّ الرِّجَالَ غَيْرَ النِّسَاءِ
مِنْ دَيْبِ الْغَذَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ
نَ إِلَى عَابِةٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ

أَنْتَ جَدِيهَا وَغَيْرُكَ مَنْ يَلْ
لَكَ مَكْرُ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى
أَوْ دَيْبِ الْمَلَالِ فِي مُسْتَهَامِي

ورقة الاعتذار، واتسع فيه العتاب الرقيق الذي نراه عند البحترى في عتابه للوزير الفتح بن خاقان:

وَنَائِبَةٍ أُوْشَكَتْ أَنْ تَنُوبَا
فَلَقِيَتِنِي بَعْدِ بِشْرٍ قُطُوبَا
تَ، وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
أَدْمُ الزَّمَانَ، وَأَشْكُو الْحُطُوبَا

فَدَيْنَاكَ مِنْ أَيِّ خَطْبٍ عَرَا
وَإِنْ كَانَ رَأِيْكَ قَدْ حَالَ فِي
أَكْذَبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخَطْ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ

وكثير الزهد والحكمة، وأصبحا فنيين يعالجهما مجموعة من الشعراء في قصائد أو مقطوعات.
يقول أبو العناية:

أَفْنَيَتْ عُمْرَكَ بِالْتَّعَلُّ وَالْمُنْيِ
وَابْتَرَ عَنْ كَفَيْكَ أَثْوَابَ الصَّبَا
فَرَبَّ خَيْرٍ فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى
الْقُلُوبَ عَنِ الْمَحَاجَةِ فِي عَمِي
مَوْجُودَةٌ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ تَجا

يَا أَيُّهَا الْحَيُّ الَّذِي هُوَ مَيْتُ
أَمَّا الْمَشِيبُ فَقَدْ كَسَاكَ رِدَاؤُهُ
خَالِفُ هَوَاكَ إِذَا دَعَاكَ لِرِيَاهِ
عَلَمُ الْمَحَاجَةِ بَيْنُ لِمُرِيدِهِ وَأَرِي
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِهَالِكِ وَنَجَاهُتُهُ

وأصبح الطَّرْدُ (وصف الصيد) باباً مستقللاً بذاته، ولم يقتصر على الصيد فقط، بل تناول كل ما يتعلق بالحيوان، حتى وصف «قتال الديكَة»، يقول أبو نواس واصفاً كلب صيد له اسمه (سريراح):

ما الْبَرْقُ فِي ذِي عَارِضٍ لَمَّا حَ

مُنَجَّدٍ يَأْشِرُ لِلصَّيَاحِ

وَلَا انْقِضَاضُ الْكَوَافِرِ الْمُنْصَاحِ
 حِينَ دَنَّا مِنْ رَاحَةِ الْمُتَّابِحِ
 يَكَادُ عِنْدَ ثَمَلِ الْمِرَاحِ
 إِذَا سَمَا الْحَائِلُ لِلْأَشْبَاحِ

وَلَا اِنْبَاتُ الْحَوَابِ الْمُنْدَاجِ
 أَجَدُ فِي السُّرْعَةِ مِنْ سُرْيَاحِ
 يَطِيرُ فِي الْجَوَّ بِلَا جَنَاحِ
 يَفْتَرُ عَنِ مِثْلِ شَبَّا الرِّمَاحِ

وأماماً على مستوى الوزن، فقد ابتدعت أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد، وهم عكس الطويل والمديد، والموشح والزجل، والدوبيت والمواليا، ونظمت المقطّعات (أبيات معدودة في أغراض محدودة).

ولما انفرط عقد الخلافة، وكثرت الدويّلات العربية وغير العربية، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشّعر في غير بغداد تشجيعاً، فازداد ابتكاراً وانتشاراً، فالآمراء مثل الخلفاء يُقرّبون الشّعراء، ويعضدونهم.

وما إن انتهى القرن الخامس للهجرة حتى ذهب جمال الشعر، وقد تأثيره في النفوس لذهب المعصدين له من البوهيميين والسلامقة وكثرة الفتنة والصراعات، فغاب التوليد والإبداع، وكثر تقليد معاني الأقدمين واستخدام المحسنات البديعية والمبالغة في المدح للتكمب واستدراراً للأكف حتى قيل: «أعدب الشعر أكذبه».

حُلُلُ الرَّبِيعِ ابن وكيع التّنisi

وَبَدَتْ لَنَا حُلُلُ الرَّبِيعِ الْمُزَهِّرِ
فِي وَصْفِهَا وَتَكُونُ غَيْرَ مُقَصِّرٍ
يَخْتَلِنْ بَيْنَ تَمَائِلٍ وَتَبَخْتُرٍ
فَأَذَاعَهُ فَأَذَاعَ أَحْسَنَ مُنْظَرٍ
مِنْ فَوْقِ جَدَوْلٍ مَائِهِ الْمُتَفَجِّرِ
أَمْرًا فَبَيْنَ مُقْلَصٍ وَمُشَمِّرٍ
خَلَعَ الْعِذَارِ بِحُسْنِهِ لَمْ تُعْذِرِ
إِقْبَالٌ حَظٌّ بَعْدَ حَظٌّ مُدْبِرٌ
وَكَانَ هَذَا جَاءَ وَجَهَ مُبَشِّرٍ
فَتَرَاجَعَتْ حَجْلَى بِفَرْطٍ تَحَبِّرٍ
أُكَرُّ خُرْطَنَ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ
قَدْ صُمِّخَتْ أَوْسَاطُهَا بِالْعَنْبَرِ
يَرْنُو بِمُقْلَةٍ أَفْبَلٍ أَوْ أَحْسَرٍ
وَلَهَا مَقَابِضُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرٍ
يَرْنُو بِعَيْنِ الْبَاهِتِ الْمُتَحَبِّرِ
نَوْعَيْنِ بَيْنَ مُزَعْفَرٍ وَمُعَصَرٍ

فُرِشَ الْفَضَاءُ بِأَحْمَرٍ وَبِأَصْفَرٍ
حُلُلٌ تَعْدُ إِذَا اجْتَهَدَتْ مُقَصِّرًا
هَذِي الرِّيَاضُ كَانَهُنَّ عَرَائِسُ
سِرُّ أَسْرَ بِهِ السَّحَابُ فِي الشَّرِّي
وَالسَّرُوּ تَشِيهُ الرِّيَاحُ لَوَاعِبًا
كَالْجُنْدِ في خُضْرِ الْمَلَابِسِ حَاوَلُوا
رَمَنْ مَتَى أَبْصَرَتْهُ وَكَفَفَتْ عَنْ
وَافَى عَلَى أَئِرِ الشَّتَاءِ كَانَهُ
فَكَانَ ذَلِكَ كَانَ وَجَهَ مُهَدِّدٌ
وَرَدُّ كَوَجَةٍ كَاعِبٍ قَدْ مُوزِحَتْ
فَكَانَمَا النَّارِنُجُ فِي أَغْصَانِهِ
وَكَانَ رَهَرَ الْبَاقِلَاءِ دَرَاهِمُ
وَكَانَهُ مِنْ فَوْقِ خُضْرِ غُصُونِهِ
وَكَانَمَا الْأَتْرُنُجُ أَكْوُسُ عَسَجِيدٌ
وَالنَّرِجِسُ الرَّيَانُ بَيْنَ رِيَاضِهِ
وَالْجُنَانُ بُرِيكَ فِي أَثْوَابِهِ

*) ديوان ابن وكيع التّنisi، جمع وتحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ص 63-64.

قال الْبُخْتَرِيُّ يَصْفُ الرَّبِيعَ

مِنَ الْحُسْنِ حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَكُلَّمَا
أَوَائِلَ وَزِدَ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
يُبْثُ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكَتَّمًا
عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرْتَ وَشِيًّا مُمَنْمًا
وَكَانَ قَذَى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْرِمًا
يَجِيءُ بِأَنفَاسِ الْأَحِبَّةِ نُعَمًا

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا
وَقَدْ نَهَ النَّيْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى
يُفَتَّقُهَا بَرْدُ النَّدَى، فَكَانَهُ
وَمِنْ شَجَرِ رَدِ الرَّبِيعُ لِيَاسِهِ
أَحَلَّ، فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً
وَرَقَّ نَسِيمُ الرَّبِيعِ حَتَّىٰ حِسْبَتَهُ

الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ

الأدب العربي الحديث^١ هو الأدب الذي ظهر تاريخياً فيما يطلق عليه العصر الحديث، هذا العصر الذي يصعب تحديده حسب الحقب أو الحوادث التاريخية، فالعصر العثماني انتهى في بعض الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918 م، ولم يكن له وجود في أقطار عربية قبل ذلك بقرون. وقد أولى بعض الدارسين أهمية للحملة الفرنسية عام 1798 - 1801 على مصر وبلاد الشام، وهي حملة استعمارية جلبت معها بعض العناصر الثقافية من مثل المطبعة والصحيفة والمرصد والمكتبة والمسرح والعلماء، وهو ما نبه الناس في مصر إلى تخلف الواقع وضرورة الافتتاح على العصر، وبناء جيش قوي، شرع في تأسيسه محمد علي، بعد أن سيطر على الحكم بعد جلاء الحملة الفرنسية.

ومن أجل بناء جيش قوي أرسل محمد علي البعثات إلى إيطاليا وفرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي مرشدًا دينيًّا لطلاب البعثة الرابعة إلى فرنسا، أفاد من هذه الرحلة في ترجمة المعارف المختلفة، وتعرف الفرق بين واقع المصريين وواقع الغربيين. وقد اهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية، فأنشأ مدارس للعلوم والهندسة والطب والجيش، واستأنف إرسال البعثات إلى أوروبا، وأسس نظارة المدارس، وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يد المؤلفين، فنزع إليها الأجانب من أدباء وعلماء، فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين سبباً في نهوض اللغة والأدب.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية والأدبية أفادت على نحو غير مباشر من هذه الحركة العلمية التي صاحبت إنشاء المدارس المختلفة العامة والمتخصصة لخدمة الجيش، فكان أن ظهرت تيارات فكرية وثقافية مختلفة كان أهمها تيار إحياء التراث لمواجهة النماذج الأدبية والفكرية الغربية، وبدأ ذلك واضحاً في الشعر؛ إذ مال الشعراء إلى إحياء النماذج التراثية في العصرين الأموي والعباسي، وبرز من الشعراء الإحيائيين نخبة في أقطار الوطن العربي على رأسهم محمود سامي البارودي، وضمت هذه النخبة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، وإبراهيم اليازجي، والزهاوي، والرصافي في العراق، والأمير عبد القادر الجزائري،

(١) تاريخ الأدب الحديث، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، ط٨، 2004، ص: 415

وأبو مسلم البهالاني في عُمان.

وتلا ذلك جيل ظلّ متعلّقاً بأهداب الكلاسيكية، ممن سموا بالكلاسيكيين الجدد، من مثل الجواهري، وعمر أبو ريشة، وعزيز أباظة، وإبراهيم طوقان، ومصطفى وهبي التل، وبدوي الجبل، إلى جانب شعراء العصبة الأندلسية، وهم شعراء المهاجر الجنوبي.

وقد بدت ملامح الحركة الرومانسية في شعر خليل مطران الذي بدأ يضيق بالتقليد مع أن كثيراً من شعره لا يفارق بناء القصيدة الإحيائية.

وقد نزعت جماعة الديوان المؤلفة من عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري متزعاً (رومنطيقياً) وأعجبت باللون الغنائي الذاتي ولغة العصرية البسيطة، وقد دعت في «الديوان» الذي صدر منه جزءان، شارك فيهما العقاد والمازني سنة 1921 إلى الصدق في الإحساس والتعبير، وتقدو المدرسة الكلاسيكية الجديدة، وخاصة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم نقداً لاذعاً. يقول عباس محمود العقاد في تقديمته لـ«الديوان عبد القادر المازني»: «فمن كان يعيش بفكرة ونفسه في غير هذا العصر، فما هو من أبنائه، ولست خواطراً نفسه من خواطره».

وقد التقت جماعة الديوان مع الرابطة القلمية في مبادئها وفي مفهومها للشعر، وبذا الجانب الرومانسي واضحًا في خصائص الشعر لديها، على نحو ما ظهر في العلاقة بين العقاد وميخائيل نعيمة. ومن أعلام الرابطة القلمية: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وأمين الريحاني، وقد تأسست الرابطة القلمية سنة 1920 واتخذت من نيويورك مقراً لها، فشارت على الصور الشعرية القديمة، واستخدمت صوراً رومانطيقية جديدة، ومضامين حديثة، وتأثرت بالطبيعة والحرية.

هيمنت (الرومانسية) على الساحة الأدبية في الأقطار العربية خلال الثلاثينيات والأربعينيات، وقد ظهرت ملامح الحركة (الرومانسية) بوضوح شديد في «جماعة أبو لولو» التي أسسها أحمد زكي أبو شادي، وانضم إليها أعلام (الرومانسية) في الوطن العربي من مثل: علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأبو القاسم الشابي، وأنور العطار. وكانت مجلة أبو لولو (1932-1934) قد أحدثت نهضة شعرية على مستوى الشكل والمضمون، وظهرت فيها ملامح التحول في تعدد القوافي، وفي التجديد في المعجم والصورة والإيقاع.

وكان من الطبيعي أن يفجّر الشّعراء الشباب عواطفهم (الرومانтика) في شكل جديد هو شكل الشّعر الجديد، أو قصيدة التفعيلة؛ لأسباب فنية واجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية بعد الحرب العالمية الثانية متأثرين بمنجزات (الرومانтика) والرمزيّة اللتين شاعتا في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، مما مهد الطريق لحركة الشّعر الجديد أو شعر التفعيلة الذي بدأ شكلياً في اختيار التفعيلة بدل البيت الشعري، ثمَّ اتجه وجهة واقعية، قبل أن تعدد أشكاله وصوره. ومن رواد هذه المدرسة: نازك الملائكة، وبدر شاكر السيّاب، وعبد الوهاب البياتي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، وقد غلب على الشّعر الحديث قصيدة التفعيلة التي أصبح لها أعلامها الكبار في وقتنا الراهن.



* أنا منْ بَدَلَ بِالصَّحِّبِ الْكِتَابَا
أحمدُ شوقي

لَمْ أَجِدْ لِي وَافِيَا إِلَّا الْكِتَابَا
لَيْسَ بِالوَاحِدِ لِلصَّاحِبِ عَابَا
وَكَسَانِي مِنْ حُلَى الْفَضْلِ ثِيابَا
وَوِدَادْ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا
سَمَرٌ طَالَ عَلَى الصَّمْتِ وَطَابَا
مَلَلَا يَطْوِي الْأَحَادِيثَ اقْتِضَابَا
تَجِدُ الْإِخْرَانَ صِدَقاً وَكِذَابَا
وَادَّخْرُ فِي الصَّحِّبِ وَالْكُتُبِ الْلُّبَابَا
وَرَشِيدُ الْكُتُبِ يَغْيِيَ الصَّوَابَا

أَنَا مَنْ بَدَلَ بِالْكُتُبِ الصَّحَابَا
صَاحِبٌ إِنْ عِبْتَهُ أَوْ لَمْ تَعِبْ
كُلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَتِي
صُحَبَةُ لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِبَّةَ
رُبَّ لَيْلٍ لَمْ نُقَصِّرْ فِيهِ عَنْ
إِنْ يَجِدْنِي يَتَحَدَّثُ أَوْ يَجِدْ
تَجِدُ الْكُتُبَ عَلَى النَّقْدِ كَمَا
فَتَخَيَّرْهَا كَمَا تَخْتَارُهُ
صَالِحُ الْإِخْرَانِ يَبْغِيَ التُّقَىَ

*) أحمد شوقي أمير الشعراء، الشّويقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج 2، ص 407.

لَا تَطْرُقِ الْبَابَ لِلشّاعِرِ عَبْد الرَّزَاقِ عَبْد الْوَاحِدِ

خُذِ الْمَفَاتِيحَ، وَافْتَحْ أَيْهَا الرَّجُلُ
كَمَا دَأَبْتَ،... وَتَسْعِي حَيْثُمَا دَخْلُوا
وَتُطْفِئُ النُّورَ... لَوْ... لَوْ... مَرَّةٌ فَعَلُوا!
بِهِمْ عَيُونُكَ قَبْلَ النَّوْمِ تَكْتَحِلُ!

لَا يَنْزِلُونَ إِلَيْهَا،... كُنْتَ تَنْفَعُ
وَأَنْتَ فِي السُّرِّ مَشْبُوبُ الْهَوَى جَذِيلُ
كَادْتْ دَمْوَعُكَ فَرْطَ الْحُبُّ تَنْهَمِلُ

لَكِنَّهُمْ يَا غَزِيرَ الشَّيْبِ مَا نَزَلُوا!
أَصْوَاؤُهَا... وَبَقَايَاهُمْ بِهَا هَمَلُ
عَلَى الْأَسْرَةِ عَافُوهَا، وَمَا سَأَلُوا
وَهَا عَلَيْهَا سُرُوبُ النَّمْلِ تَسْقُلُ
تَبَقَى لَهُمْ، ثُمَّ عَافُوهُنَّ، وَارْتَحَلُوا
كَانَتْ أَعَزَّ مُنَاهِمْ هَذِهِ الْقُبْلُ!

هَذَا الْمَسَاءِ، وَبَدْرُ الْحُزْنِ يَكْتَمِلُ؟
وَكُلُّ بَابٍ بِهِ مِنْ لَاجُها عَجِلُ
يَا حَارِسَ الدَّارِ... أَهْلُ الدَّارِ لَنْ يَصِلُوا

1. لَا تَطْرُقِ الْبَابَ، تَدْرِي أَنَّهُمْ رَحْلُوا
2. أَدْرِي سَتَدْهُبُ،... تَسْتَتَصِي نَوَافِذَهُمْ
3. تُرَاقِبُ الزَّادَ،... هَلْ نَامُوا وَمَا أَكَلُوا
4. وَفِيكَ أَلْفُ ابْتَهَالٍ لَوْ نَسُوهُ لِكَيْ
5. لَا تَطْرُقِ الْبَابَ،... كَانُوا حِينَ تَطْرُقُهَا
6. وَيَضْحِكُونَ، وَقَدْ تَقْسُو فَنْشِتِمُهُمْ
7. حَتَّى إِذَا فَتَحُوهَا، وَالتَّقَيْتَ بِهِمْ

8. لَا تَطْرُقِ الْبَابَ... مِنْ يَوْمِينِ تَطْرُقُهَا
9. سَتُبَصِّرُ الغُرَفَ الْبَكْمَاءَ مُطْفَأَةً
10. قُمْصَانُهُمْ... كُتُبُ فِي الرَّفِّ... أَشْرِطةً
11. كَانَتْ أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نَوَاطِرِهِمْ
12. وَسَوْفَ تَلْقَى لُقْيَ... كَمْ شَاكَسُوكَ لِكَيْ
13. خُذْهَا،... لِمَاذَا إِذْنَ تَبْكِي، وَتَلَمُّهَا؟

14. يَا أَدْمُعَ الْعَيْنِ!... مَنْ مِنْكُمْ يُشَاطِرُنِي
15. هَا يَبْتَيِي الْوَاسِعُ الْفَضْفاضُ يَنْظُرُ لِي
16. كَانَ صَوْتًا يُنَادِينِي، وَأَسْمَعُهُ

سُفْرُ أَيْوَب
بدر شاكر السياب

لَكَ الْحَمْدُ مَهْمَا اسْتَطَالُ الْبَلَاءُ

وَمَهْمَا اسْتَبَدَ الْأَلَمُ،

لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّ الرِّزْيَا يَا عَطَاءَ

وَإِنَّ الْمُصَبَّيَاتِ بَعْضُ الْكَرَمِ.

أَلَمْ تُعْطِنِي أَنْتَ هَذَا الظَّلَامُ

وَأَعْطَيْتِنِي أَنْتَ هَذَا السَّحْرُ؟

فَهَلْ تَشْكِرُ الْأَرْضَ قَطْرَ الْمَطْرِ

وَتَغْضِبُ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا الْغَمَامُ؟

شَهُورٌ طَوَالٌ وَهَذِي الْجَرَاحُ

تَمْزِقُ جَنْبِي مُثْلَ الْمَدِي

وَلَا يَهْدِي الدَّاءَ عَنِ الصَّبَاحِ

وَلَا يَمْسِحُ اللَّيلَ أَوْ جَاعِهِ بِالرَّدَى.

وَلَكِنَّ أَيْوَبَ إِنَّ صَاحِبَ صَاحِ:

«لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّ الرِّزْيَا نَدِيًّا،

وَإِنَّ الْجَرَاحَ هَدِيَا الْحَبِيبِ

أَضَمَّ إِلَى الصَّدِرِ بِاقَاتِهَا

هَدِيَاكَ فِي خَافِقِي لَا تَغِيبُ،

هَدِيَاكَ مَقْبُولَةٌ. هَاتِهَا!»

أشدّ جراحي وأهتف

بالعائد़ين:

«ألا فانظروا واحسدوْني،

فهذى هدايا حببِي

وإن مسَّت النار حرَّ الجبين

توهّمتُها قُبْلَة منك مجبوْلة من لهيب.

جميل هو السَّهْدُ أرعى سماك

بعينيَّ حتى تغيب النجوم

ويملمس شبّاك داري سناك.

جميل هو الليل: أصداء بوم

وابوائق سيارة من بعيد

وآهاتُ مرضى، وأمَّ تُعيد

أساطير آبائها للوليد.

وغابات ليل السُّهاد، الغيوم

تحجّبُ وجه السماء

وتجلوه تحت القمر.

وإن صاح أَيُوب كان النداء:

«لك الحمد يا راماً بالقدر

ويا كاتباً، بعد ذاك، الشّفاء!»

الحركة الشّعرية في دولة الإمارات العربيّة المُتحدة

إذا أردنا أن نؤرخ للشّعر الحديث في دولة الإمارات العربيّة المُتحدة، فإنّنا نجد صعوبةً في تحديد بواكيه، أو بداياته؛ ذلك أنّ ما وصلنا من الشّعر الحديث - حتى الآن - لا يكاد يتجاوز مرحلة العشرينيات، وما بعدها، أمّا ما قبل ذلك فلانكاد نعثر على نصوصٍ شعريةٍ نستطيع أن نتّخذها مُنطلقاً لتأريخ الشّعر الحديث في هذه المنطقة، ولذلك فإن الدراسات التي تناولت رواد الشّعر الحديث في الإمارات تنطلق - عادةً - من الشّاعر «سالم بن علي العويس» الذي عاش في الفترة المُمتدّة ما بين نهاية القرن التاسع عشر، ونهاية القرن العشرين بوصفه الرائد الأوّل لهذا الشّعر الحديث، وبوصفه الشّاعر الإحيائي الذي كان يكتب بطريقةٍ مُتميّزة تبّع عن مُجارة الأساليب التي كانت مُغيرةً في المحسّنات البديعية، والتي كانت تركز على الإخوانيات، والمناسبات، والألغاز.

وكل الشّعراء والأدباء الذين يذكرون مع الشّاعر «سالم بن علي العويس»، من أمثالِ: محمد بن ثاني بن قطامي، وخلفان بن مصباح، ومبارك بن حمد العقيلي، وأحمد بن سلطان بن سليم، ومبارك بن سيف النّاخلي، وسعيد الهمالي، وأحمد بن خصيف، وعليّ بن قمبر، يُعدّون من معاصريه، أوّل من عاشوا في فترة قريبةٍ من عصره... .

أمّا الشعراء الذين عاشوا قبل هؤلاء فإنّنا لا نعرف عنهم شيئاً، وإذا لم نجد نصوصاً شعريةً تؤكّد هذا التواصل والاستمرار، فإن ذلك يرجع أساساً إلى غياب وسائل الطّباعة التي لم تدخل إلى منطقة الخليج إلّا في فترة متأخرةٍ.

وقد عُرفَ أوائل شعراء الإمارات باسم «جماعة الحيرة» نسبةً إلى منطقة «الحيرة» في مدينة الشّارقة، وهم: صقر بن سلطان القاسمي، وخلفان بن مصباح، وسالم بن علي العويس، وأخوه سلطان بن علي العويس.

وكانت القصائد الشّعرية لهؤلاء الشعراء تحتفظُ بانحيازها الكامل في الالتزام بالشكل العموديّ، مع محاولة التجديف في المعنى، كما تشهد لهم بمستوىً متقدّمً من الوعي

(1) أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، أ.د. الرشيد بوشعى، منشورات دار العالم العربي، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2011.

والقدرة على الإبداع، وتعذر محاور الخطاب الشعري واتجاهاته وجوانبه وجاذبيتها ووطنياً، وقومياً.

وجيل الشعراء الأوائل في الإمارات اعتمد على تقييف ذاته بوسائل مختلفة، وذلك من خلال متابعة الصحف والمجلات التي كانت تصل إلى المنطقة بطريقة غير منتظمة، ومن خلال الإذاعات، أو من خلال الكتب في المكتبات الخاصة لدى الميسوريين والمثقفين من أبناء المنطقة.

ومع تطور التعليم في المجتمع الإماراتي، ودخول الصحافة والطباعة في مرحلة السبعينيات من القرن الماضي حدثت تحولات في مجال الشعر، وبرزت قصيدة التفعيلة كشكل جديد في تجارب الشاعر الدكتور «أحمد أمين المداني» - رحمه الله - بالإضافة إلى كتابة القصيدة العمودية، وحملت تجربة الشاعر «المداني» رؤية جديدة للشعر والعالم والأدوات التعبيرية والفنية.

وفي مرحلة السبعينيات ظهرت كوكبة جديدة من الشعراء المحافظين والمجددين الذين كتبوا في نموذجي القصيدة: العمودي والتفعيلة، مثل: مانع سعيد العتيق، وشهاب غانم، وحبيب الصايغ، كما امتد عنصر المحافظة في تجارب الشعراء: سلطان خليفة الجبور، وحمد بوشهاب، وعارف الشيخ، ...

وفي مطلع الثمانينيات ظهرت في الإمارات أصوات شعرية كثيرة، تنتهي إلى كلا التيارين، ومنهم: عارف الخاجة، وأحمد راشد ثاني، وميسون صقر، وحصة عبدالله، وكثير عبد الله، وكريم معتوق، وإبراهيم محمد إبراهيم، وإبراهيم الهاشمي، ...

وبعد هذه الفترة اتسعت دائرة الإبداع الشعري في الإمارات، وأصبحت جديرة باللحظة والرصد والتوثيق والدراسة، حتى غدت كأنها صورة مصغر عن الحركة الشعرية في الوطن العربي، بل وفي العالم أيضاً، مما يعني أن الحركة الشعرية الإماراتية أفرزت متوجاً شعرياً أسمها في بلورة أدب عربي متميز وتفاعل مع الجوانب المختلفة لحداثة القصيدة فكريًا وفنيًا، مما جعله يشكل رافداً قوياً من روافد الأصالة الثقافية لأمتنا.

شِيْخُ الْعَرَبِ لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ خَلِيفَةِ حَاضِرِ الْمَهِيرِيِّ

اتَّصَلْتَ مِنْ لَوْنِهَا الصَّحْرَاءُ؟
فَإِذَا الْفَيَافِي جَنَّةٌ فِي حَاءٍ؟
ما جَأْتَ عَلَى جَنَابَتِهَا النَّعْمَاءُ
تُعْطِي، فَيُعْدِي سَيِّبُهَا الْمِعْطَاءُ
(سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ)
فَالْجُودُ خَلْفَ رِكَابِهِ مَشَاءُ
فِي الْقَرْنِ، نِعْمَ الْقَائِدُ الْبَنَاءُ
أَعْلَى، فَأَدْنَى صَرْحَهَا الْجَوَزَاءُ
أُسْسَ الْحَضَارَةِ فِكْرُهُ الْوَضَاءُ
فَإِذَا الْحَضَارَةُ فِي الرِّكَابِ حِداءُ
مَا لِيْسَ يُبَصِّرُ بِالنُّهَى الْعُلَمَاءُ
يُخْمِي بِهِ الْغُرَباءُ وَالْقُرَباءُ
وَتَرَحَّلتْ عَنْ رِبْعِكَ الْبُرَحَاءُ
يَفْنِي الصَّدِى وَتَلْفِهِ الْأَمْدَاءُ
مَا خَابَ لِكِنْ فَاتَهُ الْإِحْصَاءُ
تَرْنُونَ إِلَى عَلِيَائِكَ الْعَلِيَاءُ

مَا الْلَّرَمَالِ؟ بَطَاحُهَا حَضْرَاءُ
فَهَلِ اسْتَعَارَتْ حُلَّةً مِنْ سُندُسٍ
طَبْعُ الطَّبِيعَةِ أَهَا إِنْ أَخْبَصَتْ
وَسَجِيَّةُ الْكُرْمَاءِ أَنَّ أَكْفَهُمْ
وَرِمَالُنَا مُذْ صَافَحَتْ يَدَ (زايد)
رَجُلُ خُطَاهُ خُصُوبَهُ، أَنَّى مَشَى
فِي رُبْعِ قَرْنٍ شَادَ مَا شَادَ الْوَرَى
نِعْمَ الْإِمَارَاتُ الَّتِي تَعِمَّتْ بِمَا
شِيْخُ الْعُرُوبَةِ (زايد) أَرْسَى لَنَا
فَتَنَ الْحَضَارَةَ حِينَ سَابَقَ رَكْبَهَا
عَقْلُ كَنُورِ الشَّمْسِ يُبَصِّرُ بِالْهُدَى
(فَأَبْوَ خَلِيفَةً) سُورَهُ الْعَدْلُ الَّذِي
إِنْ رُمِّتَ مِرْحَمَهُ رَعَثَكَ ظِلَالُهُ
وَإِذَا اسْتَغَثَتْ بِهِ أَغَاثَكَ قَبَلَ أَنْ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْجُودَ فِيهِ سَجِيَّةٌ
لِلَّهِ أَنْتَ (أَبُو خَلِيفَةً) لَمْ تَزَلْ

وطن العطر للتّشاعر علّي الشّعاعي

وأحْلَتْ رملَ الأرضِ تِبْرَا
لِمِ مُشْرِقاً حُبّاً وسِحْرا
شُّ الجَوَّ وَالْأَرْضِينَ عِطْرَا
تَهَامَسُ النَّخَلَاتُ شِعْرَا
رِيحَانَ وَالتَّغْرِيدَ يُسْرَا
حَا فِي الصَّحَارِيِّ فَاسْقَرَا
لَ يُقِيتُنَا وُدًّا وَتَمْرَا
مُ الْبَرْدُ كُفْكَ حِينَ مَرَا

رَمَزَمَتْ صَابَ الْبَحْرِ قَطْرَا
وَخَلَبَتْ الْبَابَ الْعَوَا
وَطَنِي... أَيَا سُحْبَا تَرْشَـ
يَا وَاحَدَةً فِي حِضْنِهَا
وَقَصِيدَةً تَتَنَفَّسُ الرَّـيـ
الْمَاءُ أَنْتَ، غَرَسْتَ صَرْ
الْفَرْعُ فِي الْعُلَيَاءِ ظَلْـ
وَالظَّلْ وَجْهُكَ.. وَالنَّسِيـ

إِمَارَاتُ الْوَفَاءِ
لِلشَّاعِرِ نَاصِرِ الْبَكْرِ الزَّعَابِيِّ

| | |
|--------------------------------|-------------------------------------|
| إِلَى الْأَمْجَادِيَا وَطَنِي | إِلَى الْأَمْجَادِيَّةِ الْمُنْصَرا |
| رَجَالُكَ أَشْعَلُوا أَمْلِي | وَزَفَّوْا رَايَةَ الْبُشْرِي |
| شَهِيدُ الْمَجْدِيَا أَمْمِي | وِسَامُ الْفَرَحَةِ الْكُبْرِي |
| إِلَى جَنَّاتِ بَارِئِهِ | بَنْفِحٌ زَادَنَا عَطْرًا |
| بِلَادِ الْخَيْرِيَا أَبْتِي | لَهَا أَرْوَاحُنَا تَتَرَّى |
| إِمَارَاتُ الْوَفَاءِ تَبَقِّي | مَدَارُ الْقَلْبِ وَالْمَجْرِي |
| بِحَقِّ اللَّهِ أَقْسَمْنَا | وَجَرْحُ الْحُرُّ لَا يَبْرِي |
| سَنَفْدِيهَا إِمَارَاتِيِّي | فَصَبْرًا إِخْوَتِيِّي صَبْرَا |

خواطر دوحة للساعر الدكتور شهاب غانم

فُتَّحَ قَصَائِدُ حُبٍ فِيهَا،
أو بعْضُ رَسَائِلِ أَشْوَاقِ،
أوْ أَمْسِيَ فِي مِدْفَأَةٍ حَطَّبَ لِلْهَرَاقِ،
فَأَبْثَى الدَّفْءَ الدَّفَاقِ،
وَاحْسَنَ بَأْتَى حَتَّى فِي لَحْظَةٍ إِعدَامِي
مَخْلوقٌ خَالقِ... .

يَأْوي لِظَّلَالِي رَجُلُ مُرَهَّقِ،
يُغَمِّضُ جَفْنِيَّ، وَيَنَامُ،
يَسْتَغْرِقُ فِي الْأَحْلَامِ،
يَنْدَاهُ عَلَى الْكَوْنِ سُكُونٌ مُطْلَقٌ،
وَيَلْفُ الْكَوْنَ ظَلَامٌ

يَبْزُغُ خَبْطُ شَفَقِيُّ فِي الْمَسْرِقِ،
تَأْوِي الْأَطْيَارُ إِلَى أَغْصَانِي، وَتُنْزَقُّ،
وَتَهَبُّ عَلَى أُورَاقِي الْأَنْسَامِ،
يَمْتَرِجُ الْعِطْرُ الْفَاغِمُ بِالْأَنْغَامِ،
وَجْهٌ مُمْتَعَشٌ يَفْتَحُ فِي بَطْءِ عَيْنِيَّ،
كَالْبَيْضَةِ تَنْشَقُُ،
تَسْلُلُ الْفَرَحَةُ مِنْ جَفْنِيَّ،
وَتَمْدُدُ الْبِسْمَةُ أَجْبَحَةً،
وَتَحْطُّ عَلَى شَفَقِيَّ

حِينَ تَجْفُّ بِأَغْصَانِي الْأَوْرَاقِ،
وَيُوَدِّعُنِي ظِلَّيِ الْوَارِفُ حَتَّى لَا يَقِي مِنْهُ
بَاقِ،

يَضْرِبُ مِنِي الْحَطَّابُونَ السَّاقِ،
لَكِنِي قَدْ أَغْدُو مَقْعَدَ بُسْتَانِ،
أَوْ نَافِدَةً يَتَسَرَّبُ مِنْهَا الإِشْرَاقِ،
أَوْ تُصْنَعُ مِنْ خَشْبِي الْأَوْرَاقِ،

هُنَا فِي الْخَلِيجِ
لِلشَّاعِرَةِ صَالِحَةِ عَبْيَدِ غَابِشِ

هُنَا فِي الْخَلِيجِ
سَيِّقَى الشُّرُوقَ بِحَجْمِ الْمَحَبَّةِ
وَطَيْرُ السَّلَامِ يُسَبِّحُ رَبَّهُ
وَيَهْزِمُ سَيْفُ الْمُقَاتِلِ أَنِيَّابَ كُلَّ دَخِيلٍ
وَيَأْوِي إِلَى دِفْءِ أَرْضِ
كَعَاطِفَةِ الْأُمِّ رَحْبَةِ
وَيَبْدُأُ شَطُّ الْخَلِيجِ كِتَابَةً تَارِيْخِهِ مِنْ
جَدِيدٍ

هُنَا فِي الْخَلِيجِ،
شُرُوقٌ يَحْجُمُ الْمَحَبَّةِ
وَأَرْضٌ كَعَاطِفَةِ الْأُمِّ رَحْبَةٌ
وَفَجْرٌ هَدِيلٌ يُدَاعِبُ سَرْبَةَ
يَأْغَنِيَّةِ الْسَّلَامِ

أَهْذِي مِيَاهُ الْخَلِيجِ وَرَحْلَةَ صَيْفٍ
وَبَحَارَةَ جَعَلُوا الْيَأسَ طَيْفٌ؟!
تُرْفِرِفُ فِيهِمْ عَرَائِمُ
وَجَاءَ الشَّتَاءُ يَدُقُّ نَوَافِذَ كُلَّ الْفَصُولِ
وَيُعْلِقُ بَابَ الرَّحِيلِ
وَيَشْتَاقُ لِلْيَوْمِ إِلَى أَغْنِيَاتِ الرِّجَالِ،
وَيَشَدُّونَ النَّخِيلَ

هُنَا فِي الْخَلِيجِ
صُخُورٌ أَفَاقَتْ عَلَى وَقْعِ مَوْجِ غَرِيبٍ
يُرَاوِدُ أَحْلَامَهَا
يَمْدُدُ إِلَى أَمْنِهَا أَذْرِعَهُ
فَأَشَرَعَ إِنْسَانُهَا رُوحَهُ
لِيُرْدِي الَّذِي جَاءَ كَيْ يَصْرُعَهُ

(*) ديوان «باتظار الشمس»، صالحة غابش، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط 1، 1992، ص: 17 - 25

إِمَارَاتُ الْابْتِكَارِ وَالسَّلَامُ لِلشَّاعِرِ نَایفُ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرِیْسِ

لَهَا هَيَّاتُ أَنْفَاسِ الْغَرَامِ
وَيَحْمِلُهَا كَتَاجِ الْمَجَدِ هَامِي
مِنَ النُّعْمَى كَأَنْفَاسِ الْعَمَامِ
عَلَى شُطَانِهَا سُفْنُ السَّلَامِ
يَنْبَضُّ الشَّعْبُ مِنْ سَامٍ وَحَامِ
تَفِيُضُ مِنَ الرَّوْسِ إِلَى الْمَدَامِ
تَسَابَقَ مُفْتَدُوهَا لِلزَّحَامِ
فَقَدْ حَفِظَتْ تَرَاتِيلَ الْحُسَامِ
تَوَهَّجَ مُنْذُ أَجَادَادِ كِرَامِ
أَيَا بَيْتَ الْأَسْوَدِ عَلَى الدَّوَامِ
وَنَعْمَى زَايدِ بَدْرِ التَّامِ
وَمَسْبَارُ بِهِ أَمْلُ التَّاسِميِّ
لِتُشَرِّقَ فِي أَمَانِهَا الْعِظَامِ
وَتَحِيا حُرَّةً بَيْنَ الْأَنَامِ
لَهَا قَلِيٌّ؛ لِتَكِيرَ فِي غَرَامِي
يُرِيْحُ الصَّدَرَ فِي الْوَطَنِ الْهُمَامِ

إِمَارَاتُ الْمُوَدَّةِ وَالسَّلَامُ
يُسَافِرُ فِي مَحَبَّتِهَا فَوَادِي
بِهَا قَدْ هَيَّأَ الْأَبَاءُ عَهْدًا
وَغَرَّةً الْأَتَّحَادُ بِهَا لِتَرَسوُ
لَقَدْ خَطَّتْ بِهَا الْأَحْقَابُ مَجَدًا
يَنَابِيعُ الْبَطْوَلَةِ فِي رُبَاهَا
وَإِنْ نَادَتْ حِيَاضُ الْبَذْلِ يَوْمًا
لَهَا يَحْنِي شَهَابُ الْمَجَدِ هَامًا
لَقَدْ وَرَثَ الشَّبَابُ بِهَا نَشِيدًا
يَقُولُ لَهَا: أَلا عَمْتِ بِخَيْرِ
حَصْوَنِكِ نَحْنُ يَا عِطْرَ الْأَمَانِيِّ
إِمَارَاتِيِّ بِهَا يَشْدُو ابْتِكَارُ
لَهَا أَذْكَيْتُ آمَالِيِّ وَرُوحِيِّ
وَأَخَلَصْتُ الْوَلَاءَ لَهَا لِأَحْيَا
إِمَارَاتِيِّ سِيَشْدُو بِابْتِهاجِ
قِطَافُ الْأَمْنِيَاتِ لَهُ عَبِيرُ

شِعْرٌ عَالَمِيٌّ

في قلبي

(توماس كارفر)

(1)

كان فخورًا بطفلته الصغيرة.

رافقتها في يومها الأول إلى المدرسة.

تعلقت بروحه على طول الطريق،

سارا معًا في ظل غيمة من الهدوء والحزن.

- حين أراد المغادرة قالت له:

«أبي أرجوك ألا تذهب

لا تتركني هنا وحيدة».

(2)

في يوم زفافها، رقصت معه.

وبكى حين ذهبت بعيدًا.

كانت تردد «يجب أن أذهب الآن يا أبي»

كانت تهمس له:

«ذكرياتك في قلبي باقية».

(٣)

في المشفى،

جلست إلى جانب سريره، حزينة ومخدولة!

قبَّلت رأسه،

حاولت إخفاء حزنها، دموعها، خييتها دون جدو!

تمنت أن تمنع الموت في تلك اللحظة.

نظرت إليه وقالت:

أرجوك أن تبقى يا أبي، أنا ما زلت في قلبك وذكرياتك.

عندما تذهب بعيداً.

لمسات من نحبهم

(لنداماريو)

(١)

أرى تحطم الأمواج وانكساراتها على الشاطئ

أرى كل ما تحمله من غضب يتلاشى

بين طبقات المحيطات

أنظر إلى السماء الزرقاء جدًّا

والشمس التي تفيض بالضوء والشروع

أشعر بها حين تنشر بهجتها ودفتها على الكائنات

أرى قافلة من الأعشاب

تتمايل في نسيم عذب

ترقص في تناغم هادئ ولطيف

أنظر إلى الأشجار

فأسمع غناء العصافير وهي تنشر السعادة

دون أي كلام

أتوقف، أجلس هناك، أSEND ركبتي إلى صدري

وأرى الطبيعة في أحسن هيئة

وأتأمل لِمَ نعد نشعر بالجمال؟

(2)

حين ندع شواهد الجمال

تذهب بعيداً عن رؤيتنا

نتوتر، ونفتuel معارك ساذجة للفرح كل يوم

والحقيقة هي أننا نسينا تلك الأشياء الصغيرة

والجميلة التي تعني لنا الكثير.

نسينا الضحك، الحرية، اللعب

نسينا كيف نتأمل الطبيعة

نسينا حتى لمسات من نحبهم.

(3)

نحن لا نحيا دون تناجم مع الآخرين

وكلما تركنا شواهد الجمال تعبر إلى ذواتنا

وتتوحد فينا كل يوم وليلة

سنعيش بكل بهجة

مثل الشمس

والريح

والأشجار

هكذا أتأمل الطبيعة

وأتساءل أمام جمال الكائنات:

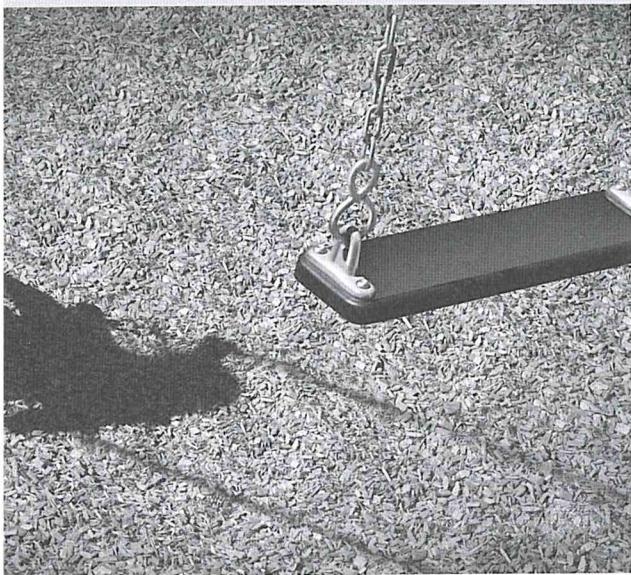
كيف فقدنا المتعة

كيف هربتِ مِنَ الرؤية

كيف أهملنا

تلك الأشياء الصغيرة؟

القُصْمَةُ الْقَصِيرَةُ



الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ

«الْقِصَّةُ» مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الذي يأتي بمعنى التَّبَعُّ، يقال: قَصَّ فلان أثْرَ فلان: أي تَبَعَه. ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ فُصِّلِهِ فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (١١). ويأتي أيضًا بمعنى الإِخْبَار والرواية، يقال: قَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ: أي حَدَّثَهُ، وَقَصَّ الْقِصَّةُ: أي حَكَاهَا. فالْقِصَّةُ هي الْحَكَايَا الَّتِي تُحَكَى.

أمّا «الْقِصَّةُ» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنّ مُعْظَمَ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ يَؤكِّدُ عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ سَرْدٌ مُتَخَيلٌ قَصِيرٌ نَسْبِيًّا، يَهْدِي إِلَى إِحْدَاثِ تَأْثِيرٍ مُعِينٍ، وَفِي أَغْلَبِ الأَحوالِ تَرْكِزُ الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ عَلَى شَخْصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ، فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي مَكَانٍ بَعِينِهِ. وَقَدْ اخْتَصَرَ بَعْضُهُمْ تَعرِيفَ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ «فَنُّ أَدْبَرِيُّ نَشْرِيُّ يَتَناولُ بِالسَّرْدِ حَدِيثًا وَقَعَ، أَوْ يَمْكُنُ أَنْ يَقُعُ». .

وَهُمْ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَقُولَ عَنِ الْقِصَّةِ (وَالروايةِ كَذَلِكَ) إِنَّهَا فَنٌّ غَایَتِهِ الإِمْتَاعُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، فَلَيْسَ مِنْ أَهْدَافِ الْقِصَّةِ (أَوِ الرَّوَايَا) أَنْ تَقْدِمَ مَعْلَومَاتٍ لِلقارئِ بِصُورَةٍ مُباشِرَةٍ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْدَافِهَا أَنْ تُعْلَمَ أَوْ تُعْظَمَ . إِنَّ الْقِصَّةَ فَنٌّ، وَالْفَنُّ لَا يَتَّخِذُ مِنَ الْخُطَابِ الْمُبَاشِرِ وَسِيلَةً أَوْ طَرِيقَةً لِلتَّعْبِيرِ وَالْوُصُولِ إِلَى وَجْدَانِ القارئِ.

إِنَّ الْقِصَّةَ تَسْتَحِثُّ القارئَ عَلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّأْمِلِ، وَعَلَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْحَيَاةِ مِنْ زُوَّاِيَا مُخْتَلِفةً، وَمِنْ خَلَالِ تَفاصِيلٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا قَدْ لَا يَتَبَيَّهُ إِلَيْهَا، لَكِنَّهَا تَشَكِّلُ حَيَاةَ النَّاسِ، وَتَؤْثِرُ فِيهِمْ، لَذَلِكَ نَقْوِلُ: إِنَّ الْقِصَّةَ النَّاجِحةُ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْقُرَاءَ يَفْكِرُونَ، وَيَشْعُرُونَ.

وَهُنَّاكَ عِنَادِرٌ أَسَاسِيَّةٌ تَقْوِيمُ عَلَيْهَا الْقِصَّةُ (أَوِ الرَّوَايَا)، وَالْكَاتِبُ النَّاجِحُ هُوَ الَّذِي يَشَكِّلُ مِنْ هَذِهِ الْعِنَادِرِ بِنَاءً فَنِيًّا مُتَجَانِسًا مُتَمَاسِكًا، يَؤْثِرُ فِي الْقَارئِ، وَيَوْصِلُ إِلَيْهِ فَكْرَةً مَا بِشَكَلٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، وَمِنْ أَهْمَ عِنَادِرِ الْقِصَّةِ:

١. الحَدِيثُ: عَادَةً مَا تَقْوِيمُ الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ عَلَى حَدِيثٍ مُفْرِدٍ؛ فَالْقِصَّةُ تَجْرِي فِي زَمَانٍ مُحدَّدٍ، وَمَكَانٍ مُحدَّدٍ، وَتَتَناولُ مَوْقِفًا مُحدَّدًا، أَوْ شَرِيحةً مِنَ الْحَيَاةِ بِغَيْرِهِ تَسْلِيْطَ الصَّوْءِ عَلَيْهَا.

2. الشخصيات: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القِصَّة، فلا يمكن أنْ تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنساناً أو حيواناً أو كائناً متخيلاً.
3. الإطار الزماني والمكاني: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفاً يناسب جوّ القِصَّة، وال فكرة.
4. الراوي وجهة النظر: الراوي هو الذي يروي القِصَّة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروي من خلالها القِصَّة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القِصَّة، وقد يكون راوياً خارجياً. وجهة النظر التي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية، لأنها تعبّر عنها.
5. الحبكة: الطريقة التي يجمع بها الكاتب أحداث قصته أو روايته ليصنع منها عملاً فنياً، يجذب القارئ، ويشدّه في اتجاه النصّ من بدايته حتّى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القِصَّة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أنَّ بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليها، ثُمَّ انحدار نحو النهاية.
6. التسويق: هو العنصر الذي يشدّ القارئ نحو القِصَّة وعالمها، وغالباً ما يكون مرتبطاً بشيء تريده الشخصية الرئيسة، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية التي تعتمد على التسويق وتأزم الموقف، خاصة تلك التي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو التي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أمّا الثانية، في الغالب، فهي التي قد تحوي عنصر التسويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزّم عليها.
7. الفكرة أو الموضوع: وهي الرسالة المبطنة في القِصَّة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

8. اللغة: اللغة ترتبط بحجم القصة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصرير؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالباً ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسين إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارات العامية والشعبية.

ويمكنا أن نجمل القول في القصة فنقول: إنّ القصة لا تتناول -خلافاً للرواية- شخصية كاملة بكل ما يحيط بها من حوادث وظروف وملابسات، وإنما تكتفي بتصوير جانب واحد من جوانب حياة الفرد. ولا تعدد الشخصيات في القصة القصيرة. ومن الضروري أن تتوافر وحدة الفعل والزمان والمكان؛ فيجب أن يكون المكان محدوداً، وأن يكون الزمان قصيراً. وأن ينتهي القاص -عكس الروائي- حدثاً من الحياة اليومية، ويحاول أن يجعل منه موقفاً فيّا، يوضح به حقيقة من الحقائق.

ولم تعد بنية القصة القصيرة وعناصرها كما كانت وقت ظهورها، فقد اختفت بعض الشروط واحتفت بعض العناصر، حتى تقاد كل قصة قصيرة لها شكلها الخاص. ولقد تعددت موضوعاتها وأغراضها و مجالاتها، وتبينت في مدى ارتباطها بالواقع أو ابعادها عنه.

الخبرُ^{*}

فولفجانج بورشيرت

استيقظت فجأةً وكانت الساعة الثانية والنصف، وأخذت تفكّر في أنها استيقظت، ثم تذكّرت أنه في المطبخ كان أحد قد اصطدم بكرسيّ، أخذت تتّضّط في اتجاه المطبخ فكان الهدوء سائداً، هدوءٌ تامٌ للغاية، وعندما تحسست بيدها فوق السرير إلى جوارها وجدته خالياً، تَحَبَّطَ في مشيتها داخل الشقة، في اتجاه المطبخ، وهناك في المطبخ تلاقياً، وكانت الساعة الثانية والنصف، لقد رأت شيئاً أبيض اللون عند دولاب المطبخ¹، أضاءت النور. كانا قد وقفَا بقميصِ النوم، يواجهه كُلُّ منهما الآخر ليلاً، ليلاً في الساعة الثانية والنصف في المطبخ.

فوق منضدة المطبخ كان يوجُد طبقُ خبزٍ. لاحظت أنه كان قد قطع لنفسه خبزاً، وكانت السكين لا تزال إلى جوار الطبق، وكان على المفرش فتاتٌ من الخبز، لقد تَعَوَّدت تنظيف مفرش المنضدة كُلُّما كانا يتَاهُان إلى الفراش كُلَّ مساءٍ، يُرى أنه الآن كان يوجُد فتاتٌ خبزٍ على المفرش وكانت السكين عليه. لقد شعرت ببرودة البلاط تزحف إليها عالياً، وصرفت أنظارها عن الطبق، قال هو بينما ينظر حوله في المطبخ «ظننت أن هنا ربما ثمة شيء ما»²

فأجابت: «سمعت أنا أيضا شيئاً ما». وهنا اكتشف أنه كان فعلًا يedo عجوزًا وهو بالليل في قميصِ النوم، عجوز كما كان فعلًا، ثلاثة وستون عامًا، على مدار النهار كان يبدو أحيانًا أصغر سنًا.

وفكر هو: «إنها تبدو فعلًا عجوزًا، في قميصِ النوم تبدو فعلًا وكأنها عجوز، ولكن ربما كان شعرها هو السبب حيث إن الشعر يتسبّب في جعل النساء تبدو ليلاً أكبر سنًا، ثم يجعل المرأة عجوزًا تمامًا مرّة واحدة»³.

1) من توقعه كان عند دولاب المطبخ وسط العتمة؟

2) لم تظاهر الزوج بالله سمع صوتاً عندما أتته إلى وجود زوجته؟

3) كيف يمكن أن تصف مشاعر الزوج نحو زوجته هنا؟

* قصص قصيرة من الأدب الألماني، ترجمة وتقديم: أحمد كامل عبد الرحيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص 101-105.

«كان ينبغي عليك أن تلبس حذاء، حافي القدمين هكذا فوق البلاط
البارد! ستصاب بالبرد أيضاً».

لهم تدقق النظر فيه؛ لأنها لم تستطع تحمل أن يكذب، أن يكذب بعد
مرور تسعه وثلاثين عاماً على زواجهما.^٤

«ظننت أنه قد يكون ثمة شيء ما» قال ذلك مرأة أخرى وهو يعاود النظر
من ركن إلى آخر دون داع على الإطلاق، «لقد سمعت شيئاً ما، ظنت
فعلاً أنه قد يكون ثمة شيء ما».

«لقد سمعت شيئاً أيضاً»، غير أنه لم يكن أي شيء على الإطلاق،
ثم رفعت الطبقة من فوق المنضدة، وأخذت تزيح الفتات من فوق
المفرش.^٥

وكرر هو مراراً «لا، لم يكن ثمة شيء ما حقاً، لا بد أن هذا قد حدث
بالخارج، لقد ظنت أنه ربما حدث شيء ما هنا».

رفعت يدها في اتجاه مفتاح النور وفكّرت، «حسناً، لا بد أن أطفئ النور
الآن وإلا فإنني سأضطر إلى الاتجاه بنظري إلى الطبق في حين لا يصح
لي أن أفعل ذلك». ثم قالت وهي تُطفي النور: «هيا لقد كان ذلك
بالخارج، إن المزراب يصطدم دائماً بالحائط عندما تكون هناك رياح.
لقد كان المزراب بالتأكيد، فعندما تعصف الريح فإنه دائمًا يهتز».^٦

أخذ كلامها يَخْطَطُانْ مُسْرِعِينْ عَبْرَ الْمَمَّرِ الْمُظْلِمِ إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ
وكانَتْ أَقْدَامُهُمَا الْحَافِيَةُ تُحدِّثُ لَطْمَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ، ورَأَى هُوَ أَنَّهَا
الرِّيَاحُ حَقًّا «لقد كانت الريح تعصف طوال الليل بأكمله، لقد كان
المزراب بالتأكيد، ظنت أن ذلك ربما كان في المطبخ، ولكن السبب
كان المزراب».

ردَّ ذلك وهو يكاد يكون قد غلبه النوم، غير أنها لاحظت كيف كانت
نغمَةُ صوتهِ غير صادقةٍ عندما يكذب.

(٤) حدد المشاعر التي
انتابِ الزوجة كما
تفهمُ من العبارات
التي تتعتها خط.

(٥) لم قامت الزوجة
يإلا فتات الحُبُّ،
ورفعت الطبق دون
أن تعلق؟

(٦) ما الذي تحاول
الزوجة أن تفعله
بحديثها عن
المزراب؟ وكيف
يُعبر ذلك عن
شخصيتها؟

وَقَالَتْ وَهِيَ تَشَاءُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: «إِنَّ الطَّقَسَ بَارِدٌ، سَأَزْحِفُ تَحْتَ الْغَطَاءِ، تَصْبَحُ عَلَى خَيْرٍ».

أَجَابَ: «طَابَتْ لِيَتُكِ، إِنَّ الْبَرَدَ شَيْءٌ جَمِيلٌ حَقًّا».

ثُمَّ سَادَ الْهَدْوَءُ، وَبَعْدَ عَدَّةِ دَقَائِقَ سَوِيعَتُهُ يَمْضِي بِيَطْءٍ وَحْذِرٍ، وَتَعْمَدَتْ أَنْ تَتَنَفَّسَ بِعَمْقٍ وَبِشَكْلٍ مُنْتَظَمٍ، إِذْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْحَظَ أَنَّهَا لَا تَزَالُ مُسْتَيْقَظَةً، غَيْرَ أَنَّ الْمَضْغَ كَانَ مُسْتَظَمًا إِلَى حَدٍّ أَنَّهَا بِسَبِيلِهِ اسْتَغْرَقَتْ فِي النَّوْمِ تَدْرِيًّا.

وَعِنْدَمَا عَادَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى الْمَنْزِلِ أَزَاحَتْ إِلَيْهِ أَرْبَعَ شَرَائِحَ خَبِيرٍ فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ فِي الْعَادَةِ يَأْكُلُ ثَلَاثًا فَقَطْ.

قَالَتْ وَهِيَ تَبْتَعِدُ عَنِ الْمَصْبَاحِ تُسْتَطِيْعُ أَنْ تَسْعَدَ بِتَنَاوِلِ أَرْبَعِ شَرَائِحَ، إِنَّنِي لَمْ أَعْدْ أَسْتَطِيْعُ الْاسْتِمْتَاعُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنِ الْخَبِيرِ فَلَتَأْكُلْ وَاحِدَةً إِضَافَيًّا، إِنَّنِي لَمْ أَعْدْ أَطْيِقُ تَنَاوِلَهُ مَسَاءً كَالْسَّابِقِ.⁷

وَهُنَا لَاحَظَتْ كِيفَ يَنْحَنِي كَثِيرًا فَوْقَ الطَّبَقِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَعْلَى. وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَخَذَتْ تُشَفِّقُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ وَهُوَ مُنْكَبٌ عَلَى الطَّبَقِ «لَا يُمْكِنُنِي أَنْ تَكْتَفِي بِتَنَاوِلِ شَرِيكَتَيْنِ».

«بَلَى، إِنَّنِي فِي الْمَسَاءِ لَا أَفْضُلُ كَثِيرًا هَذَا الْخَبِيرَ، هَيَّا! كُلُّ !، كُلُّ !».

وَلَمْ تَجْلِسْ تَحْتَ الْمَصْبَاحِ عِنْدَ الْمِنْضَدَةِ إِلَّا بَعْدَ بُرْهَةٍ.⁸

7) هل حَقًّا هِي لَمْ تَمُدْ تَطْيِيقَ الْخَبِيرَ كَالْسَّابِقِ؟ عَلَمْ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

8) لَمَّا كَانَتِ الرَّوْجَةُ تَعْمَدُ الْابْتِعَادُ عَنِ الْمَصْبَاحِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ؟

مِصْبَاحُ الْحَمَامِ لطيفةُ الحاجُ

راقبتِ الشَّمْسَ وَهِيَ تَغِيبُ فَشَعَرْتُ بِالْحُزْنِ، سَتَعُودُ إِلَى الْغُرْفَةِ الْمُظْلَمَةِ، وَتَنَامُ عَلَى الصَّوْءِ النَّافِذِ مِنَ الْحَمَامِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَيْضًا، كَانَتْ تُفَكِّرُ فِي ادْخَارِ مَصْرُوفَهَا؛ لِتَشْتَرِي مِصْبَاحًا مِنَ الْبَقَالَةِ، لَكِنَّهَا شَعَرْتُ بِالْجُوعِ الشَّدِيدِ؛ لَأَنَّهَا لَمْ تَتَنَاهُ عَشَاءَهَا بِالْأَمْسِ، كُلَّ يَوْمٍ تَشَعُرُ بِالْجُوعِ بَعْدَ ثَلَاثِ حَصْصٍ درَاسِيَّةٍ، وَلَا تَتَمَكَّنُ مِنَ ادْخَارِ المَصْرُوفِ.

غَابَتِ الشَّمْسُ تَامَّاً، وَحَلَّ اللَّيْلُ، تَذَكَّرْتُ وَاجِبَ الْعِلُومِ الَّذِي لَمْ تَتَنَهِ مِنْ حَلِّهِ، فَتَحَتْ بَابَ الْحَمَامِ عَلَى اتِّساعِهِ وَجَلَسْتُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ تَحْلُّ الْوَاجِبِ.

زوجَةُ أَيْهَا تَسْتَقْبِلُ الْجَارَةَ الْجَدِيدَةَ فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ، وَهِيَ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَتْهَا قَبْلَ أَسْبُوعٍ عِنْدَمَا احْتَرَقَ الْمِصْبَاحُ، وَاقْتَرَحْتُ عَلَيْهَا بِنْفَادِ صَبِيرٍ أَنْ تَفْتَحْ بَابَ الْحَمَامِ، وَتَنَامَ عَلَى الصَّوْءِ النَّافِذِ مِنْهُ، قَرَرْتُ أَلَا تُخْبِرَهَا مُجَدَّدًا، فَقَرَزْتُ إِلَى عَقْلِهَا وَهِيَ تَقْوَمُ بِحَلِّ الْأَسْئَلَةِ فِي فَصْلِ الْأَمْرَاضِ فِي كِتَابِ الْعِلُومِ، وَهِيَ تَئْنُ مِنَ الْحُمَّى قَبْلَ شَهْرِ مِنَ الْيَوْمِ، كَانَتْ تَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ زَوْجَةَ وَالِدِهَا -خَالَتَهَا هَنْد- تُطْلُلُ عَلَيْهَا وَهِيَ مُتَمَدِّدَةُ بَوْهَنِ تَهْنِي عَلَى سَرِيرِهَا الصَّغِيرِ، وَالْمِصْبَاحُ يُشْعِعُ أَعْلَى رَأْسِهَا. بَقِيتُ الْخَالُهُ تُتَابِعُ الْحَالَةَ مِنْ الْمُسْلِسِلِ الْعَرَبِيِّ الْمَعْرُوضِ عَلَى التَّلْفَازِ، وَالْأَصْوَاتُ الْعَالِيَّةُ الْمُبَنِعَثَةُ مِنْهُ تَزَيَّدُ مِنْ وَجْهِهَا وَوَهْنِهَا.

تَرَقَّرَتْ دَمْوَعُهَا عَلَى الدَّفَرِ، لَيْلَةً أُخْرَى عَلَى ضَوْءِ الْحَمَامِ، إِنَّهَا تَخَافُ النَّوْمَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ الْفَتِيَاتِ فِي الْمَدْرَسَةِ يَتَحَدَّثْنَ عَنْ أَشْبَاحٍ تَخْرُجُ لِيَلًا مِنَ الْحَمَامِ إِذَا تُرْكَ بَابُهُ مَفْتُوحًا، لَكِنَّهَا تَخْشِي الظَّلَامَ أَكْثَرَ، وَإِنْ فَكَرْتُ فِي تُرْكِ بَابِ الْغُرْفَةِ مَفْتُوحًا لِتَنَامَ عَلَى الصَّوْءِ الْقَادِمِ مِنْ غُرْفَةِ الْجُلُوسِ لَنْ تَمَكَّنَ مِنَ النَّوْمِ؛ فَالْأَصْوَاتُ الْقَادِمَةُ مِنْ هُنَاكَ عَالِيَّةُ وَمُرْعِجَةُ.

خَلَدَتْ إِلَى النَّوْمِ بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لَتَطَرَّدَ الْأَشْبَاحُ مِنَ الْغُرْفَةِ وَتُعِيَّدُهَا إِلَى الْحَمَامِ.

صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، التَّقْتُ جَدَّهَا يَرْوِي سُجَيْرَاتِهِ وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا لِرُكُوبِ باصِي الْمَدْرَسَةِ، نَاوَلَهَا عَشْرَةُ دِرَاهِمَ فَقَفَزَ قَلْبُهَا فَرَحًا، اللَّيْلَةَ لَنْ تَنَامَ عَلَى ضَوْءِ مِصْبَاحِ الْحَمَامِ.

* لطيفة الحاج، 300.3 وقصص أخرى، كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 2014.

زَعْرُ وَزَنجِيلُ
د. سعاد العريمي

(1) اندفَقْتُ ثلوجُ (واشنطن) بغزارَةٍ في ذلكَ المساءِ، وخلْطُها تَنْدَلُقُ في بَجْوِي فَشَّارِبُتها، ولمْ تَرُو ظَمَاءً الصَّحْرَاءِ المتَجَذِّرِ في داخلي. ثلوجٌ بيضاءٌ تلوُحُ كَصْوَءٍ خَفْوِيٍّ، كالبَرَدِ، كالماءِ، تَفَصِّلُني عنْ سوادِ اللَّيلِ، المترَبِّعِ على عَتَباتِ الْأَفْقِيِّ. ثلوجٌ تُجَذِّرُ القَحْطَ المُخْتَرَنَ في الذاكِرَةِ، وَتُعَيِّمُ بَيْنَ الإِدْرَاكِ واللَّاشْعُورِ؛ فَأَسْدِلُ دثارَ الثَّلَجِ كَخِيمَةٍ يَظْلَلُهَا الغُبارُ، وَأَدْخُلُ بَيْنَ الْكَهْوَفِ، وَأَعْلَنُ عَجْزِي عنْ اسْتِيقَافِ تلكَ اللَّيْلَةِ الْمَاهِيَّةِ

كَخَشْخَشَةِ رِيحٍ.¹

عرباتٌ تَخْفَقُ خَلْفَ نَافِذَتِي.. خَلْفَ أَسْوَارِ الْحَدِيقَةِ، ثُمَّ تَتَيهُ فِي أَرْقَةِ الصَّحْرَاءِ وَلَمْ أَرْ سُوَى أَشْبَابٍ بَعِيدَةٍ لِضَبَابٍ يَتَكَوَّمُ بِفَعْلِ الْغَلِيانِ، احْتَرَقَتْ وَرِيقَاتُ الزَّعْرِ المُمْتَثَرَةُ مِنْ قَبْضَةِ يَدِي وَلَمْ آبَهْ لَهَا، وَلَمْ آبَهْ لِتَسْلِلِ الضَّوْءِ وَانْعَكَاسَاتِهِ عَلَى الرَّكْوَةِ الْمُرْتَجَفَةِ بَيْنَ أَصَابِعِي. ضِيَاءُ يَشْقُّ غُبَارَ الثَّلَجِ الْمُتَرَاكِمَ عَلَى ذَاكِرَةِ الشَّتَاءِ، لِيَعْلَمَ عَنْ شَرْوَقِ الشَّمْسِ. شَعَاعٌ يَتَكَسَّرُ عَلَى ظَهْرِ نَافِذَتِي، وَيَغْمُرُ الْمَمَرَّاتِ، وَيَتَرُكُنِي أَفْتَشُ عَنْ نَوْمٍ هَانِئٍ... نَوْمٍ مَكْتَبِرٍ بِالْأَحْلَامِ، فَأَغْفُو عَلَى أَبْخَرَةِ الرَّعْتِرِ، وَاحْتَنَاقَاتِ الرَّزِّكَامِ، وَصَوْتِ سَلَامَةِ بَنْتِ فَرِيجِ يَهْدِهِدِنِي.²

«اَشْرَبِي الرَّزْعَرَ وَالزَّنجِيلَ، زَيْنَ عَنِ الرَّزِّكَامِ» ثُمَّ تَمْضِي، وَأَجْحُسُ بِأَنَّ حَلْفِي مَجَرَّاتِ مُهَشَّمَةٍ تَدْفَعُنِي إِلَى مِيَاهِ مَضْطَرْبَةٍ؛ فَأَمْشِي وَأَتَرُكُهَا تَرْعُدُ تحتَ قَدْمِيَّ.

(2) فِي سِكَّةِ خَيْلِ دُبِّيِّ كُنْتُ أَخْطُرُ كَالْغَرَبِيَّةِ، أَزِنُ خُطُواتِي وَزَنَا غَيْرَ مُتَعَادِلٍ، حِينَهَا أَدْرَكْتُ بِأَنَّ لِلْمِيزَانِ كَفَّةً ثَالِثَةً، أَزِنُ خُطُواتِي بِاَحْشَهَّ عَنْ امْتَدَادِ الْمَكَانِ، وَلَمْ أَجِدْهُ، عَنْ ذَاكِرَةِ الْزَّمَانِ، وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَيْهَا. هَجَرَ

*رأس ذي يزن (قصص)، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، الطبعة الأولى، 1997.

المكانُ شارع سكّةِ الخيلٍ³، وَرَحَلَ الزَّمَانُ مَعَ الغَابِرِينَ، وَبَقِيَتْ أَنَا
مُغَيَّبَةً دُونَ هُوَيَّةٍ بَيْتَةً عَالِقَةً فِي هَوَامِشِ الْمَكَانِ. عَلَى غَفْلَةٍ بُغْتَ بِزِمْنٍ
آخَرَ خَارِجَ مَدَارِ الذَّاكِرَةِ، الذَّاكِرَةُ الَّتِي بَدَأْتُ تَهَدَّجُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، وَعَصَرِ
مَغَيَّبٍ وَرَاءَ الأَضْوَاءِ الْمُسْتَعْلِمَةِ الضَّارِبَةِ عَلَى وجْهِ الْمَارَةِ وَالْمُرْتَكَرَةِ عَلَى
ثُغُورِ النِّسَاءِ الْمُنْبَهِرَاتِ بِمَا تَعْرِضُهُ الْمُتَاجِرُ مِنْ أَمْتَعَةٍ.⁴

وَقَفْتُ أَتَامَلُ تِلْكَ النِّسَوةِ السَّافِرَاتِ «لَا يُشِّهِنَ أَمْيَ سَلَامَةً» أَتَامَلُهُنَّ
وَهُنَّ فِي حَالَةٍ حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ... مُهْرُولَاتٍ، غَادِيرَاتٍ وَمُدَبِّرَاتٍ. عَلَى مَقْرُبَةٍ
مِنَ الْمَشْهِدِ جَلَسَ رَجُلٌ كَهْلٌ شَاحِنًا بِبَصِيرَةِ نَاحِيَةِ الْمَجْهُولِ، تَقَاطَرُ
الْحَبَّاتُ الْمَرْجَانِيَّةُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ مُتَنَاغِمَةً مَعَ تَمَمَّةِ غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ يَلْهُجُ بِهَا
وَهُوَ زَانِغُ الْبَصَرِ.

(3) التَّفَتَ إِلَيْهِ مَتَعَمِّدًا: «مَسَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَا أَبا حَمْدَانَ». ابْتَسَمَ
وَتَلْجَلَجَتْ عَيْنَاهُ بِالْدَّمْوَعِ مِنَ الْفَرَحِ لِسَمَاعِ صَوْتِهَا أَوْ بِفَعْلِ السَّنِّ رِبِّيَا.
تَخَلَّلَ صَوْتُهُ الدَّافِعُ مِسَامَ سَلَامَةَ بَنْتِ فَرِجَ، وَاتَّسَعَتْ، فَسَبَرَتْ وَجْنَتَاهَا
مَتَخَذَّةً لَوْنَ الْأَرْجُونِ، مَالَ طَرْفُ بُرْقُعَهَا بِرْفَقِ كَاشِفًا عَنْ شَفَتَيْنِ
فُرْمِيزَيْتَيْنِ، وَبِسُرْعَةٍ أَعَادَهُ إِلَى وَضْعِهِ، رَمَّ التَّوْخَذَا⁵ شَفَتَيْهِ التَّاِشِفَتَيْنِ،
وَفَرَكَ شَارِبَيْهِ اللَّدَدِيْنِ خَفَّتْ عَزَارَتُهُمَا، وَلَمْ يَتَبَقَّ مِنْهُمَا سُوَى نُقْطَةٍ بِيَضَاءِ
فِي مُتَصَصِّفِ الشَّفَّةِ الْعُلِيَا. لَمْ تَلْحَظْ سَلَامَةُ ذَلِكَ التَّوْتُرَ الْبَادِيَ عَلَى مُحِيَا
الْتَّوْخَذَا، إِنَّمَا اكْتَفَتْ بِصَوْتِهِ الَّذِي أَخَذَ يَسْتَعِيدُ طَرَاؤَتَهُ بَعْدَمَا أَيَّقَنَ بِأَنَّهُ
لَيْسَ وَحْدَهُ فِي شَارِعِ سَكَّةِ الْخَيْلِ.⁵

«خُنْذِي زَعْتر وَزَنجِيل هَذَا زَيْنُ عَنِ الْبَرِّ». قُلْتُ لَهَا: «أَرِيدُ لِبَانًا». مَدَّتْ
يَدَهَا نَاحِيَةَ الْكَيْسِ بِسُرْعَةٍ، وَأَخْرَجَتْ حَبَّاتٍ كَهْرَمَانِيَّةً، وَتَرَثَّهَا عَلَى
رُقْعَةِ مِنَ الْقِرْطَاسِ:

«هَذَا لِبَانٌ عَمَانِيٌّ - ظَفَارِيٌّ... هَذَا خُصُوصِيٌّ مَا نُعْطِيهِ إِلَّا لِلْغَالِيْنِ».

(3) ما التغيير الذي طرأ
على المكان (شارع سكة الخيل) كما
فهمت؟

(4) تشعر الكاتبة
بحدوث نقلة لا
 تستطيع تحملها أبداً
استيعابها في الزمان
والمكان. ضع خطأ
تحت العبارات
الدائمة على ذلك.

(5) تُظهرُ القصّةُ ارتباطَ
الكاتبة بالجدةِ
سلامة، حَدَّدَ
بعض مظاهرِ هذا
الارتباط.

1) التوْخَذَا أو التوْخَنة: ربَانِ السَّفِينة.

تقولُ ذلِكَ وعِينَاها تَرْقُبًا خَلْجَاتِ النَّوْخَذَا الَّذِي أَخَذَ يَسْتَرِقُ النَّظَرَ إِلَى
نَحْرِهَا.

لُؤْلُؤَةُ حَصَبَاءٍ بَرَقَتْ فَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ الْأَرْهَافِ الَّتِي تُرَفَّ عَلَى صَدِرِ
سَلَامَةً. كَانَ رَاشِدُ بْنُ نَاصِرٍ قَدَّاهَا لَهَا، «هَكَذَا تَخَيَّلُهَا»، أَوْ كَانَتْ
ضِمْنَ (زِهْيَهَا)^١ عِنْدَ زَوَاجِهَا مِنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْدِفٍ الَّذِي فَقِدَ فِي الْبَحْرِ
فِي أَثْنَاءِ مَوَاسِيمِ السَّفَرِ. رَحَلَ سَعِيدٌ دُونَ أَنْ يَهَبَ سَلَامَةَ الصَّنِيِّ الْمُتَظَرِّ،
ذَهَبَ دُونَ أَنْ يَهَبَهَا وَلَدًا، وَهَكَذَا بِقِيَّتْ وَحِيدَةً تُنَاظِرُ النَّوْخَذَا رَاشِدًا مِنْ
خَلْفِ الْبُرْقُعِ لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعينَ عَامًا.
^٦ لَمْ كَانَتِ الْجَدَّةُ سَلَامَةً وَحِيدَةً؟

(٤) كَانَ يَوْمًا حَارًّا قَائِظًا مِنْ صَيْفِ تِمْمُوزَ عَامَ ٢٠٠٢ عِنْدَمَا زَرَتْ شَارِعَ
سِكَّةِ الْخَيْلِ، أَنْقَدَ مُرْتَادِيهَا كَالْعَادِيَةِ، وَأَتَبَضَّعُ مِنْ عِنْدِ أُمِّي سَلَامَةَ، فَرِحْلَتِي
أَوْشَكَتْ قَرِيبَةً. تَعَوَّدَتْ أَنْ تَسَأَلَنِي عَنْدَ كُلِّ زِيَارَةٍ «هَا مَتَى الشَّوْمَةَ؟^٣» ثُمَّ
تَهَمِّهِمُ بِأَدْعِيَةٍ يَصِلُّنِي مِنْهَا الْمَقْطُعُ الْأَخِيرُ «اللَّهُمَّ بِالْحَفْظَانِ وَالْجَرَانِ».
وَأَغَادِيرُ السَّوقَ مَحْمَلَةً بِالدَّعَوَاتِ وَبِأَكِيسِ الْأَعْشَابِ وَالْأَدوَيَةِ، أَكَدَّسُهَا
سَنَةً بَعْدَ أَخَرِي، إِذْ لَا يَزَالُ بَعْضُ مِنْهَا يَسْكُنُ أَرْفُفَ مَطَبَّخِي فِي وَاسِنْطَنَ.

فِي ذَلِكَ النَّهَارِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ عَامِ ٢٠٠٤، كَانَتِ الْفَرَحَةُ تُعَرِّشُ عَلَى ذَهْنِي،
فَقَطْ لِأَنِّي أَرْدَدْتُ أَنْ أُخْبِرَهَا بِأَنِّي عُدْتُ «عِنْدَمَا تَعُودِينَ إِلَى الْبَلَادِ لَازِمٌ
أَعْرِفُ عَلَشَانَ أَفْرَحْ بِنْجَاحِكَ». وَلَمْ أَجِدْهَا.

فِي ذَلِكَ النَّهَارِ لَمْ يَكُنْ رَاشِدُ بْنُ نَاصِرٍ قَابِيًّا عَلَى دِيَّتِهِ كَالْمُعْتَادِ، وَلَمْ
تَجْلِسْ سَلَامَةُ بُنْتُ فَرِجُ فِي الرُّكْنِ الْمُقَابِلِ لَهُ^٧، كَانَ مَكَانُهُمَا فَارِغًا
مُهْمَلًا، تَبَعَّثُ مِنْهُ رَائِحَةُ الرُّطْبَوَةِ، كَانَ مَكَانُهُمَا تَبَيَّنَ مَلِيئًا بِصَاقِ الْمَارَّةِ.
فَرَاغُ دَامِسٌ يَلْفُ شَارِعَ سِكَّةِ الْخَيْلِ، فَانْكَفَأَتْ كُلُّ الرُّؤَى.

فِي ذَلِكَ النَّهَارِ الْغَامِقِ لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنِي بِرُؤَيَتِهِمَا، وَلَمْ تَصِلْنِي رَائِحَةُ

١) الْلُّؤْلُؤُ الْحَصَبَاءُ: هِي لُؤْلُؤَةُ كَبِيرَةُ الْحَجْمِ.

٢) الْرَّهَبَةُ: الْهَدَىِيَّةُ الَّتِي تَقْدُمُ لِلْعَرَوْسِ مِنْ قِبَلِ عَائِلَةِ الْعَرِيسِ.

٣) الشَّوْمَةُ: (فِي الْلَّهَجَةِ الْمَحْلِيَّةِ): السَّفَرُ

دِهْنِ الْعُودِ الْمَبْعَثَةُ مِنْ ثَنَيَا وُجُودِهِمَا الْمُمَتَّدُ عَبْرَ الدَّاِكِرَةِ، ذَاكِرَةِ
الوَصْلِ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ أَوْ صَالُ الْوَصْلِ وَقَبْلَ أَنْ تُجْرَحَ سَكَّةُ الْخَيْلِ بِزَعْيِقِ
(الموَاتِر)^١ وَصَخْبِ السُّيَّاحِ^٢. قَبْلَ أَنْ تَخْطُرَ (نَاتَلِيَا) فِي الشَّارِعِ الْمُمَتَّدِ
مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْعَامَّةِ شَمَالًا حَتَّىِ الْعَبْرَةِ جَنُوبًا.

(٨) فِي رَأْيِكَ هُلْ كَانَ
إِرْتِبَاطُ الْكَاتِبِ بِـ
(سَكَّةِ الْخَيْلِ) نَابِعًا
مِنَ الْمَكَانِ نَفْسِهِ،
أَمْ أَنَّ الْإِرْتِبَاطَ كَانَ
بِسْكَانِ ذَلِكَ الْمَكَانِ
وَمُرْتَادِيهِ؟ وَضُعْ
ذَلِكَ.

-) 1) الموَاتِر: العِربَاتِ
2) أماكن في دبي

الكرتونة نايف النوايسة

بعد انتظارٍ طويٍّ، استقرَتْ أمام باب الشقة السفلية في العمارة.

فرَعَ الرَّجُلُ الجَرَسُ مَرَّةً وَمَرَّتِينِ وَثَلَاثًا، وَأَصَاحَ السَّمْعَ مُنْتَظِرًا، وَحِينَ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ عَلَيْهِ غَادَرَ مُنْصِرًا، كَلْمَةً (مُبارَكٌ) عَلَى سَطْحِ الْكَرْتُونَةِ تُشِيرُ التَّساؤلَ وَالشَّهِيَّةَ وَالْفُضُولَ، سُكَّانُ الْعِمَارَةِ قَلَّمَا يَتَزَارُوْنَ، وَإِذَا مَا

(1) ما الذي يمكن أن تستنتجه من العبارة التي تحتها خط؟

التَّقَوَا عِنْدَ الْبَابِ الرَّئِيْسِ يَتَفَاجَهُوْنَ، وَكَانُهُمْ لَا يَسْكُنُوْنَ عِمَارَةً وَاحِدَةً، يَسْتَأْلِوْنَ عَلَى الدَّرَجِ مِثْلَ سَوَائِلِ فَقَدَتْ وَظَاهِفَهَا الْحَقِيقَيَّةُ فِي الْحَيَاةِ؛ بَارَحَتْهُمْ حَمِيمَيَّةُ الْجِيرَانِ الْمَعْهُودَةِ، الْابْسِنَامَاتُ الْعَفْرَيَّةِ، التَّحْيَيَّةُ الْبَرِيَّةِ، الْمَجَامِلَةُ السَّرِيعَةُ.. عِمَارَةُ لَهَا بَابٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّ مَشَاعِرِ سُكَّانِهَا مُوزَعَةٌ عَلَى سُقُوفِ مُنْفَصِلَةٍ.

الْكَرْتُونَةُ عَالَمٌ وَرَقِيٌّ غَامِضٌ دَاهِمُهُمْ، شَوْكَةُ الْأَسْنَاءِ الْحَادَّةُ وَخَرَّتْ جِسْمَ الْعِمَارَةِ، الْكَرْتُونَةُ هَبَّةُ رِيحٍ مُتَسَلِّلَةٍ إِلَى فَضَاءَاتِ تَخْلُو مِنِ الْاِسْتِنْنَاءِ، هِيَ صَرَخَةٌ مُبَاغِتَةٌ فِي زَاوِيَّةِ صَامِتَةٍ، مَضَتْ سَنَوَاتٌ رَتِيَّةٌ عَلَى فِيهَا صَدَأً (الْعَادِيَّةِ) عَلَى النُّفُوسِ، وَتَحَوَّلَتِ الْعِمَارَةُ إِلَى صَنْدوقٍ خَالٍ مِنَ الدَّهْشَةِ وَارْتِعَاشَاتِ الْحَيَاةِ.

مَرَّ أَوْلُ سَاكِنٍ مِنْ سُكَّانِ الْعِمَارَةِ بِالْكَرْتُونَةِ الْمُتَرَبَّصَةِ، عَائِنَّهَا، لَمْ يَعْتَدْ عَلَى رُؤَيَّةِ مِثْلِ هَذَا الشَّيْءِ، مَسَحَ نَظَارَتَهُ السَّمِيكَةَ، وَحَمْلَقَ بِالْكَرْتُونَةِ، عَلِقَتْ عَيْنَاهُ بِكَلْمَةٍ (بَرْدٌ) عَلَى أَحَدِ جَوَانِبِهَا، بَدَأَتِ الْحِيرَةُ عَلَى وَجْهِهِ حَوْلَ مَعْنَى هَذِهِ الْحُرُوفِ، ارْتَقَتْ نَظَارَتُهُ إِلَى كَلْمَةٍ (مُبارَكٌ) تَسَاءَلَ: مَاذَا يَعْنِي هَذَا؟ بَاوَصَ بِعَيْنِيهِ وَهُوَ يُمْيلُ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَخَذَ يُقْلِبُ شَفَّتَهُ السُّفْلَى دِلَالَةً عَدَمِ الْفَهْمِ، وَفِي الْأَثْنَاءِ اقْتَرَبَ مِنْهُ جَارٌ آخَرُ شَدَّهُ الْفُضُولُ إِلَى وِقْفَةِ جَارِهِ، لَمْ يُسَلِّمْ أَوْ يَتَكَلَّمْ²، رَاحَ يَتَأَمَّلُ الْكَرْتُونَةَ وَيَرِّحُ بَصَرَهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَارِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ، التَّقَطَ كَلْمَةً عَلَى الْكَرْتُونَةِ،

(2) ما الذي تستنتجه من هذه العبارة؟

وَصَارَ يُقْلِبُهَا بَيْنَ شَفَتَيْهَا (كَسْتَانِ)، تَبَادَلَ الرَّجْلَانِ نَظَرَاتٍ بَارِدَةً، وَخَرَجَا مُتَتَابِعِينِ، التَّفَقَا مَرَّاتٍ عَدِيدَةً إِلَى الْخَلْفِ، الْكَرْتُونَةُ تُرْسُمُ أَسْيَلَتَهَا عَلَى وَجْهِيهِمَا، لَمْ يَبْتَعِدَا كَثِيرًا، وَإِنَّمَا وَقَفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى طَرَفِ الشَّارِعِ، عُيُونُهُمَا مُسْلَطَةٌ عَلَى الْعِمَارَةِ، وَالْكَرْتُونَةُ وَسُواسُ فِي رَأْسِيهِمَا.³⁾

(3) في رأيك لماذا أثارت
الكرتونة الفضول؟

اقْرَبَتْ سِيَّدَةٌ وَابْنُهَا الصَّبِيَّةُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ، عَرَفَتْ أَنَّهُمَا مِنْ سُكَّانِ الْعِمَارَةِ، طَأْطَأَتْ رَأْسَهَا، وَمَرَّتْ دُونَ كَلَامٍ، قَلَّبَتْ كَفَيْهَا مُتَسَائِلَةً عَمَّا أَصَابَهُمَا؟ مَا الَّذِي أَوْفَهُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ هَلْ يَتَنَظَّرَا إِيَاهَا؟ دَخَلَتِ الْعِمَارَةَ وَشَيْطَانُ الْاسْتِغْرَابِ يَلْعَبُ بِهَا شَرْقًا وَغَربًا، وَيَسْوُطُهَا بِأَسْيَلَةٍ لَا تَتَهْيِي، عَيْنَاهَا تَصْطَدِيمَانِ بِالْكَرْتُونَةِ إِيَاهَا، أَلْوَانُهَا لَا فِتْنَةُ، وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهَا يُخْطُوطُ مُلْوَّنَةٌ، عَيْنَتِهَا بِدِفَّةٍ وَحَاوَلَتْ لَمْسَهَا، لَكِنَّهَا خَافَتْ، سَاوَرَهَا شُعُورٌ غَرِيبٌ، فَهَرَوَتْ صَاعِدَةً الدَّرَجَ، وَقَدْ عَلَقَتْ كَلِمَةً (مَطَرُ)
بَيْنَ شَفَتَيْهَا وَأَسْنَانِهَا وَلِسَانِهَا، صَارَتْ تُحَسِّبُ وَتُخَمِّنُ: هَدِيَّةٌ لِجَارِتِنَا، كَلِمَةُ (مُبَارَكٌ) مَاذَا تَعْنِي؟ قَدْ تَكُونُ شَيْئًا آخَرَ، رُبَّمَا قُبْلَةً.. «أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ»، خَافَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ وَابْتَعَدَتْ صَاعِدَةً وَهِيَ تَرْسُقُهَا بِنَظَرَاتٍ هَلِعَةٍ⁴⁾، فِي ذَاتِ الْحِينِ اقْرَبَ سَاكِنُ آخَرٍ مِنَ الْكَرْتُونَةِ، وَحَنَى ظَهَرَةٌ لِيَقِفَ عَلَى سَرَّهَا، الْجَارَةُ فَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ انْطَبَقَ بِقُوَّةٍ، التَّزَمَ الرَّجُلُ الْهُدوَءَ وَاللَّامْبَالَا، وَرَاحَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ شَقَّتَهُ، وَإِنَّمَا دَلَّى رَأْسَهُ مِنْ فَتَحَاتِ الدَّرَابِزِينِ؛ لِرُايِقَ الْكَرْتُونَةِ..

(4) حَدَّدْ مَوْقِفَ السَّيِّدَةِ مِنَ الْكَرْتُونَةِ، المَوْضِوَّةُ عَلَى بَابِ جَارِتِهَا.

جَلَبَةُ مُفَاجِئَةٍ قَادِمَةٍ مِنَ الطَّابِقِ الْآخِرِ، وَانْفِتَاحُ أَبْوَابِ وَانْطِبَاقُهَا جَعَلَتِ الرَّجُلَ يَتَوَارَى خَلْفَ بَابِ شَقَّتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ مُوَارِبًا، وَهُرِعَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مُسْتَقْسِرَةً فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ، وَشَدَّدَهَا الْفُضُولُ لِلْخُرُوجِ، وَلَكِنَّهُ مَنَعَهَا. أَصْوَاتُ وَضَجِيجُ فِي الطَّابِقِ الْآرْضِيِّ، الْعِمَارَةُ مِنْذِ سِنِينَ لَمْ تَشَهُدْ مِثْلَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ⁵⁾، حَلْقَةُ الْفُضُولِ حَوْلَ الْكَرْتُونَةِ تَسْعَ، هَمْهَمَةُ مُسْتَرَكَةٍ: «هَذِهِ الْكَرْتُونَةُ غَامِضَةٌ وَمَا فِيهَا خَطِيرٌ»، كَلِمَةُ (مُبَارَكٌ) مَعَ بَعْضِ الْأَمْوَارِ
الْآخِرِيَّ تَعْنِي أَشْياءً غَيْرَ مَفْهُومَةٍ⁶⁾.

(5) استطاعت الكرتونة أن تخترق حاجز الصمت بين سكان العمارة، ضبط خطأ تحت العبارات الدالة على ذلك؟

(6) لماذا افترض سكان العماره أن الكرتونة تحوي شيئاً خطيراً؟

خافوا على جارِّهم، لا يَعْرِفُونَ أَهِيَ فِي الشَّقَّةِ أَمْ خَارِجَهَا؟ قَرَعَ أَحَدُهُمُ الْجَرَسَ، لَا أَحَدٌ هُنَاكَ، أَيْنَ تَعْمَلُ؟ مَا هُوَ عُنُوْجُهَا وَهَاتِفُهَا؟ صَمِّتُ مُطْبِقِي يَلْفُهُمْ جَمِيعًا، انتَظَرُوهَا إِذَاءَ بَابِ الْعِمَارَةِ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً. لَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِلَّا بَسْمَتَهَا، وَنَضَارَةً وَجْهِهَا الْبَشُوشِ، هِيَ وَابْنُهَا يَعْشَانَ فِي هَذِهِ الشَّقَّةِ مُنْذُ زَمِنٍ، هَذَا كُلُّ مَا يَعْرِفُونَهُ عَنْهَا، هِيَ لَا تَعْرِفُهُمْ، وَلَا تَحْفَظُ أَسْمَاءَهُمْ أَوْ الْقَابَهُمْ، أَمَامَ عَيْنِيهَا هَدَفُ سَامٍ هُوَ ابْنُهَا، تَرْعَاهُ بِحُنُونٍ؛ لِيَكُونَ عَلَى مِنْوَالِ تُرِيدُهُ، لَا تَتَحرَّكُ إِلَّا بِقَدْرٍ، وَلَا تَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً إِلَّا بِعَقْلٍ.⁷

أَوْقَتْ سَيَّارَتَهَا حَيْثُ تَوقَفُهَا دَائِمًا، اقتربَتْ مِنْ بَابِ الْعِمَارَةِ، وَالسُّرُورُ يَفْرِدُ أَجْنِحَتَهُ عَلَى وَجْهِهَا، عَيْنَاهَا تَقْعَانِ عَلَى سُكَّانِ الْعِمَارَةِ الَّذِينَ بَدَؤُوا يَلْقَوْنَ حَوْلَهَا، عُيُونُهُمْ مُصَوَّبَةٌ إِلَى عَيْنِيهَا، «مَاذَا جَرِي؟ مَا أَصَابَهُمْ؟ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا!» تَشَاءُلُ مِنْ دَاخِلِهَا أَسْئِلَةً مُفَاجَحَةٌ، الْعِمَارَةُ هِيَ ذَاتُ الْعِمَارَةِ الَّتِي سَكَنُنَا، وَهَذِهِ سَاحِنُهَا، وَالشَّارِعُ الْمُؤَدِّي إِلَيْهَا، «لَا، لَا، أَنَا لَسْتُ تَائِهَةً». أَسْرَعَتْ تِجَاهَ بَابِ الشَّقَّةِ، وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الْكَرْتُونَةِ، فَابْتَسَمَتْ⁸، قَرَأَتْ مَا كُتِبَ عَلَيْهَا فَاتَّسَعَتْ بَسْمَتُهَا، عُيُونُهُمْ مُتَسَائِلَةٌ وَشَفَاهُمْ مُطْبَقَةٌ عَلَى سُؤَالِ غَاطِسٍ فِي الصَّمَتِ، «مَا الْأَمْرُ؟» فَتَحَّتِ الْبَابُ، وَسَحَبَتِ الْكَرْتُونَةَ إِلَى الدَّاخِلِ، وَأَغْلَقَتُهُ.⁹

«يَا، مَا أَجْمَلَ غِلَافَهُ! طَالَ الانتِظَارُ يَا كَرْتُونَتِي الْعَزِيزَةُ، وَلَكُنَّكِ جِئْتِ أَخِيرًا..» ابْنُهَا يُعْشِرُ نُسْخَ الدِّيَوَانَ فَرَحًا، هَدَأَتْ حَرَكَتُهَا، عَيْنَاهُ مُتَعَلَّقَاتٍ عَلَى مِطْرَاسِ الْبَابِ، سُؤَالٌ طَافِحٌ بِالْأَلْحَاحِ: «مَا الَّذِي أَصَابَ الْجِيرَانَ؟ أَيْطَنُنَّ أَنَّ الْكَرْتُونَةَ؟!..» ضَحِّيَّكَتْ، كَانَتْ تَسْمَعُ لَجَاجَهُمْ فِي الْخَارِجِ، كَانُوا يَتَظَرَّونَ، أَخَذَتْ رُزْمَةً مِنَ الْكِتَابِ وَرَاحَتْ تَكْتُبُ عَلَيْهَا إِهْدَاءً مَمْهُورًا بِتَوْقِيعِهَا، حَمَلَتْ ابْنَهَا الرُّزْمَةَ، وَفَتَحَّتِ الْبَابُ، وَرَاحَ يُوزَعُ عَلَيْهِمُ النُّسَخَ الْمُوَقَّعَةَ.¹⁰

مسَاءً تَهَادِي الْجِيرَانِ إِلَى بَابِ شَقَّيْهَا، كُلُّهُمْ يَتَسَمَّونَ، نَظَرَانُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، أَيْدِيهِمْ تُلَوِّحُ بِالسَّلَامِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، قَرَعَ أَحَدُهُمُ الْجَرَسَ.

7) وقف الكاتب على تفاصيل كثيرة تؤكد صعف الواقع بين سكان العمارة، اذكر ثلاثة تفاصيل منها.

8) هل تفاجأت الجارة بوجود الكرتونة؟ وَصَحَّ إِجَابَتِك.

9) ما الذي أثار دهشة الجارة عن عودتها إلى الشقة؟

10) ما رأيك في تصريف الجارة؟

لَمْ يَطُلِ الْأَنْتِظَارُ، رُبَّمَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ ذَلِكَ، رُبَّمَا كَانُوا لَا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ تَفْتَحَ
لَهُمُ الْبَابَ، وَفُتَحَ الْبَابُ وَالبِسْمَةُ ذَائِهَا تَنْفَرِشُ عَلَى وَجْهِهَا، بَشَّتْ لَهُمْ
فَدَخَلُوا، كَانَتْ سُسْخُ دِيواَنِهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، نَطَقُوا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ: (مُبَارِكٌ)

ابتسَمَتْ، كَانَتْ دُمْوَعُهَا السَّاحَةُ تَحْمِلُ بَشَائرَ الْفَرَحِ، قَالَتْ بِصَوْتٍ

يَضْخُّ الْحَيَاةُ فِي الصَّمْتِ: «الآن أَحْسَنْتُ أَنَّ فِي الْعِمَارَةِ سُكَّانًا»¹¹.

(11) وَضَحَّ عَلَاقَةُ الْعِبَارَةِ
الَّتِي تَحْتَهَا حَطَّ
بِفِكْرَةِ الْقِصَّةِ.

* الشاعر النَّمْزُ
(تاكاشيمَا تون)

(تشينج) رجلٌ واسعُ العِلْمِ، يهوى كتابةَ الشِّعْرِ، ويعملُ في إحدى المقاطعاتِ الشرقيَّةِ ضابطًا مساعدًا، بعدَ سنتَيْ من عودتِه إلى وظيفته - التي كانَ قد استقالَ منها ليتفرَّغَ لكتابَةِ الشِّعْرِ، وعادَ إليها تحتَ ضغطِ قسوَةِ الحياةِ واحتياجِه للمالِ ليصرفَ على نفسيَّه وعائلتِه - تلقَّى أمرًا بالسفرِ إلى الجنوبيِّ في مهمَّةِ عملٍ رسميَّة، وفي طريقِه إلى المنطقةِ نزلَ في فندقٍ متواضعٍ، وتوجَّهَ تلكَ الليلةَ إلى الفراشِ باكراً.

في أثناءِ تهيئَته للنومِ أخذَ (تشينج) يفكُّرُ في حالَه قبلَ سنواتٍ حينَ تقدَّمَ للوظيفةِ للمرةِ الأولى، واجتازَ اختباراتِ الخدمةِ المدنيَّةِ الرَّفِيعَةِ وهو لا يزالُ في مقتبلِ العِمرِ بتميُّزٍ ملحوظٍ، متفوِّقاً على أقرانِه، فالتحقَ بالجيشِ، وسرعانَ ما تمَّ تعينُه بربَّةِ نقِيبٍ للحرسِ في إحدى المناطقِ الشَّماليَّةِ، ولكنَّه استقالَ بعدَ أنْ تقلَّدَ منصبهِ بوقتٍ قصيرٍ، بسببِ شعورِه بالضيقِ والضجرِ تحتَ قيودِ وظيفتهِ التي لم تكُنْ تليقُ بمواهِبِه، لذلكَ تركَ الخدمةَ الحكوميَّةَ، وقطعَ علاقَتَه بكلِّ أصدقائهِ ورفاقِ عملِه السابقيِّينَ، وغادرَ معَ عائلتِه إلى مسقطِ رأسِه (بلدةِ كولويَّة)، عاقدًا العزمَ على تكريسِ نفسيَّه منذُ ذلكَ الوقتِ لِنَظَمِ الشِّعْرِ، حتى يُخلَّدَ اسمُه كشاعِرٍ عظيمٍ للأجيالِ المقبلةِ.¹

1) هل يبدوا أن تخلي
تشينج عن كلِّ
شيءٍ من أجلِ
حلمِه بأنْ يصبحَ
شاعراً كانَ قراراً
صائبًا ومدروساً؟
ظلَّلَ الموضعَ التي
تدلُّ على ذلكَ في
الفقرتينِ الأولى
والثانية.

تذكَّرَ (تشينج) - وهو مُستلقٍ على سريرِه في الفندقِ - كيفَ آنَّه اكتشفَ سريعاً أنَّ قرارَه بتركِ وظيفتهِ والتفرَّغَ للشِّعْرِ كانَ يتطلَّبُ أكثرَ منْ مجردِ التّصميمِ على أنْ يصبحَ كاتباً ناجحاً؛ فالآموالُ التي حصلَ عليها منْ وظيفتهِ السابقةِ نفادَت بسرعةٍ، وأصبحَتْ أيامُه عقبَ ذلكَ صراعاً معَ ضروراتِ الحياةِ اليوميَّةِ، وأثرَ هذا على (تشينج).. الشَّابُ اليافعُ، مورِّدُ الوجتنيِّينِ الذي اجتازَ يوماً بذكاءِ اختباراتِ الخدمةِ المدنيَّةِ الرَّفِيعَةِ، فأصبحَ رجلاً هزيلًا ذا سلوكٍ غليظٍ، يبعدُ عنْ هدفِه يوماً بعدَ يومٍ.

* قصص يابانية، ترجمة: هيا عبد الحميد، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى، 1995.

بعد حينٍ من الزمانِ أدركَ (تشينج) أنَّ عليهِ مواجهةَ الفقرِ الطاحنِ الذي حكمَ بهِ على نفسهِ وعائلتهِ جرَاءَ ملاحقةِ حلمِهِ بأنْ يصبحَ شاعرًا عظيمًا؛ فابتلَعَ كبرياءَهُ وقدَمَ طلبًا إلى مجلسِ الخدمةِ المدنيةِ الذي عينَهُ في إحدى المقاطعاتِ الشرقيَّةِ ضابطًا مساعدًا، ليكتشفَ بمجردِ عودتِهِ إلى العملِ أنَّ معظمَ زملائهِ السابقينَ قد رُقِوا إلى رُتبٍ عاليةٍ، وأصبحَ هو يتلقَّى الأوامرَ من أشخاصٍ اجتازوا الاختباراتِ بدرجاتٍ أقلَّ منهُ بكثيرٍ، فأحسَّ بالهوانِ يتزايدُ على نفسهِ، ويُحَوِّلُهُ من إنسانٍ شاعِرٍ رقيقٍ المشاعرِ، إلى إنسانٍ نكِدَ المزاجِ، حادَ الطَّبَاعِ.

وبينما هو كذلكَ، والليلُ يقتربُ من مُنتصفِهِ، إذا به يسمعُ صوتًا يناديَهُ منْ بعيدٍ²، فأطلقَ استجابةً لَهُ صرخَةً مهمَّةً سمعَها جميعُ مَنْ كانوا في الفندقِ أوْ حولَهُ، ثمَّ قفزَ من الشَّبَالِ بسُحبَةٍ متقلبةٍ وعينَينِ جاحظتينِ، وانطلقَ في الظلامِ بسرعةٍ شديدةٍ فلم يستطعْ أحدٌ إيقافَهُ، وفي صباحِ اليومِ التالي أرسلَتِ الشرطةُ فريقَ بحثٍ طافَ بكلِّ التلالِ والحقولِ بحثًا عنهُ في كُلِّ مكانٍ، ولكنْ لم يُعثِّرْ لَهُ على أثرٍ، ولم يذكُرْ أحدٌ أنَّ رأَهُ بعدَ ذلكَ.

وفي السَّنةِ التاليَّةِ، أرسلَ مكتبُ الخدمةِ المدنيةِ (يوان) إلى الجنوبِ في مهمَّةٍ رسميَّةٍ أيضًا، فتوقفَ لقضاءِ ليلةٍ في الفندقِ نفسهِ، وحينَما أُوشِكَ على الانطلاقِ قبلَ فجرِ اليومِ التاليِ حذَّرهُ صاحبُ الفندقِ منْ وجودِ نمرٍ شرسٍ في الطريقِ المؤديِّ مباشرةً إلى الجنوبِ، وأوصاهُ بتجنِّبِ المرورِ في هذا الطريقِ ليلاً، فشكَرَهُ (يوان)، وقالَ لَهُ إنَّ لديهِ رجالًا شجاعًا يتولَّونَ حراسَتَهُ، ثمَّ امتطى حصانَهُ، وغادرَ الفندقَ، والحاشيةُ في إثرِهِ.

وبعدَ ذلكَ بوقتٍ قصيرٍ، وبينما كانَ (يوان) وحاشيتهُ يشقُّونَ طريقَهم على ضوءِ القمرِ عَبَرَ أحَمَّةٍ كثيفَةً، قفزَ نمرٌ ضخمٌ خارجَ أيكةٍ، وانطلقَ يزأُرُ بوحشيةٍ مندفعًا صوبَ (يوان)، حتى أُوشِكَ أنْ يثُبَّ عليهِ، ولكنَّهُ

(2) ما الصوتُ الذي سمعُهُ تشينج؟ هل كانَ صوتًا حقيقيًّا، أوْ توهُّماً؟ هل يشيرُ الصُّصُ إلى ذلكَ صراحةً؟

تراجعاً فجأةً، واتجه عائداً إلى الأيقونة.

للحظاتِ لم ينبع أحدٌ بینت شففة، لينطلق بعدها صوتٌ خافتٌ من الأيقونة قائلاً: رباه، لكم كانت الكارثةُ وشيكهَ! ^٣

(٣) ما الكارثةُ التي يتحدث عنها؟ هل توقع شيئاً؟

وعلى الرغمِ من أن الصدمة قد هزت (يوان)، فإن الصوت أعاده سنوات إلى الوراء، حين كان يستعد مع صديقه الحميم لاجتياز الاختبارات النهائية في العاصمة، حيث كان (يوان) - بمزاجه المعتدل - هو الشخص الوحيد قادر على تحمل عناد هذا الصديق وجفائه، مما جعله يتعرف فوراً على الصوت، وقال: إن هذا بكل تأكيد صوت صديقي القديم (تشينج) !!

ولما سمع من الأيقونة صوتاً خشنًا يؤكّد حسنه، ويقول: نعم، إنني حقاً (تشينج) الذي عرفته دوماً! تأكّد حسنه، ونسى الخوف، وترجل عن جواهه، ومشى باتجاه الأيقونة، وقال: اخرج أيها الصديق القديم، ودعنا نتحدّث قليلاً، فأجابه الصوت: إنني لأشعر بخجلٍ شديدٍ من منظري الذي صار بشعاً، ولا أستطيع أن أسمح لك برؤيتي في صورتي الحالية، إذ ستمتلئ مني رعباً، وتصاب بالغشيان، لذلك أتوسل إليك أن تبقى لنتحدّث دون أن يرى أحدنا الآخر، فوافق (يوان) فوراً، ومع أن كل شيء بدا غريباً للغاية، إلا أنه شعر بأنه يعيش حالة تشبه الحلم، حين يتقدّم

المرء أحداً منافية للطبيعة أو العقل دون أي تساؤل.^٤

أمر (يوان) حاشيته أن تنتظر، واتخذ له - بجرأة بالغة - موقعًا قرب الأيقونة، واستأنف الحديث مع صاحبه دون أن يراه، فأخبره بأخبار العاصمة، وبأخبار زملائهم السابقين، وبعد ذلك سأله (يوان) (تشينج) بحذر: ما الذي حصل لك؟

لم يتردد (تشينج) كثيراً في سرد ما حدث له بالضبط أمام صديقه الحميم (يوان)، فذكر له أنه كان قد أرسل قبل عام تقريباً إلى الجنوب في مهمة رسمية، وفي طريقه إلى هناك قضى ليلةً في أحد الفنادق، واستطرد

قائلاً: أذكرُ أنتي ذهبتُ إلى فراشي مبكّرًا وجلستُ - قبيل النوم - أفكّر في حالي، كيفَ كان؟ وكيفَ صار؟ وكيفَ من الممكِن أن يكونَ في المستقبل؟ وبينما أنا كذلك إذ بصوتٍ غريبٍ يناديوني من الخارج، فنهضتُ وفتحتُ الشبّاكَ، ونظرتُ إلى الفضاء، كان الصوتُ المجهولُ يناديوني، ويدعوني للخروج، ولم أستطع أن أملأ أمْرَ نفسي، فقفزتُ من النافذة بلا تردّدٍ، واندفعتُ في الظلامِ راكضاً كأنني في غيبةٍ، وقبل أن أدركَ ذلكَ كنتُ أسلكُ طريقاً يفضي إلى الغابة، ولدهشتني وجدتُ نفسي أركضُ، ويدايَ على الأرضِ، وبداً أنتي أستطيعُ الركضُ أسرعَ باتباعي هذهِ الطريقة، فواصلتُ العدوَ، وكلّما ركضتُ شعرتُ بقوّةٍ تملأ جسدي.

بعدَ ذلكَ لاحظتُ أنَّ شعراً غريباً أخذَ ينمو بينَ أصابعِي وذراعيَّ وكتفيَّ، بل في كُلِّ أجزاءِ جسمي، وعندما بدأ الفجرُ في الانطلاقِ توّقفتُ قربَ جدولِ ماءٍ، ونظرتُ في المياهِ الصافية، فرأعني أنَّ صورتي كانتُ تشبهُ النّمرَ، ولكنّي -برغمِ الصدمةِ- شعرتُ بارتياحٍ وطمأنّتُ نفسي بأنَّ ذلكَ مجرّدُ حلمٍ سأصحو منهُ سريعاً، ومع مرورِ الوقتِ، وبعدَ أنْ ارتفعتِ الشمسُ، كانَ لا بدَّ لي أنْ أعترفَ لنفسي أنتي كنتُ متيقظاً تماماً، وأنّني قد تحولتُ إلى نمِّرٍ بكمالِ هيئتي.

لمْ أستطيع التّفكيرَ في الأمرِ حينها، على الرغمِ منْ أنتي طرحتُ على نفسي السؤالَ مراراً: لماذا حدثَ ذلكَ؟ فلمْ أجدرَداً، عندها مرَّ أرنبٌ برّيٌّ وهو يركضُ على بُعدِ أمتارٍ منْ حيثُ أجلسُ، فغادرَني الشّعورُ بالإنسانيةِ في لمحٍةٍ، وعندما عادتُ إلى طبيعتي الإنسانيةِ منْ جديدٍ، وجدتُ أنَّ فمي تلطخَ بالدماءِ، وخُصلَ الفرو الأبيضِ منتشرةً منْ حولي، كانتُ هذهِ هي تجربتي الأولى حين أصبحتُ نمراً، ولا أجرؤُ على تعدادِ الأشياءِ المرعبةِ والوحشيةِ التي ارتکبُتها بعدَ ذلكَ بشكّلٍ يوميٍّ.⁵

كانتِ الطّبيعةُ الإنسانيةُ تعودُ إلىَّي لبضعِ ساعاتٍ فقطٍ خلالَ اليومِ، وفي هذهِ الأوقاتِ أستطيعُ أنْ أتحدّثَ كما أتحدّثُ معكَ الآنَ، وأفكّرُ في

(5) إلى ماذا ترمزُ كلُّ هذهِ التفاصيلِ التي يسردُها الشاعرُ التّمر؟

أكثر الأمور تعقيداً، بل أستطيع أن أسرد على نفسي صفحات كاملة من الأعمال الكلاسيكية، وأنذركَ بعدها أيضاً الأشياء التي ارتكتبُها كنمر، فتصممُ أذنيَّ صرخاتُ ضحايايَّ، ويقهرُني الخوفُ والخجلُ والسخطُ على طبيعتي الحيوانية.

وبمرور الأسابيع تتضاءل ساعات الاستبصر الإنساني هذه، وحتى وقتٍ قريبٍ تعودتُ أن أسأله: كيف بإمكانى أن أعود نمراً؟ والسؤال الذي يتتابعني مؤخراً مختلف تماماً، وهو: كيف استطعت أن أكون بشرًا؟^٦ وهذا مرعبٌ حقاً.

احتجبَ الصوتُ، ولم يُعدْ (يوان) يسمع سوى صوتٍ لهاثٍ عميقٍ، واستأنفَ الصوتُ الكلامَ منْ جديدٍ، ولكن بصعوبةٍ وإجهادٍ وأضحين، قائلاً: إنَّ الاختفاء النهائِي للإنسانية داخلي هو أشدُّ ما يرعبُني، وإمكانية التحول إلى حيوانٍ مفترسٍ بلا ذاكرةٍ لشخصيتي السابقة أمرٌ موجعٌ يفوقُ قدرتي على تحملِه.

اضمحلَّ الصوتُ منْ جديدٍ، وسادَ الأيكةَ هدوءٌ قليلاً، ووقفَ (يوان) ومرافقه حابسينَ أنفاسهم، ممتئنَ رعاً بهذا الحديثِ الذي لا يصدقُ. وأخيراً، عادَ الصوتُ منْ جديدٍ: قبلَ أن أغادرَ عالمَ الإنسانية للأبدِ، أريدُ أن أطلبَ إليكَ شيئاً.

قالَ (يوان): قُلْهُ، وسأحقيقُه لكَ. قالَ (تشينج): كانَ طموحي سابقاً أنْ أصبحَ شاعراً عظيماً، ولكن قبلَ أنْ يتحققَ لي ذلكَ وجدتُ نفسي أصلَ إلى الطريقِ الحالي، ولم يبقَ شيءٌ منَ القصائدِ الكثيرةِ التي نظمتها في ذاكرةِ الناسِ، فقد تلاشتْ كلُّها بلا شكٍ كما يتلاشى الدخانُ في الهواءِ، والأثرُ الوحيدُ المتبقى منْ فني هو بعضُ قصائدَ لا زلتُ أحفظُها عنْ ظهيرِ قلبِي، وأطلبُ إليكَ أنْ تدونَها، وأنْ تتأكدَ منْ أنها لن تلحقَ بكَاتها في قافلةِ النّسيانِ.

6) مدللة العبارة التي تحتها خط؟ هل تساعد على فهم الفكرة الجوهريّة للقصة؟

7) هل تخلى الشاعر
النمر عن حلمه بأن
يكون شاعراً بعد
أن أصبح نمراً؟ هل
يرمز هذا الشيء؟

لم أعد أطمح أن أصبح شاعرًا عظيمًا، ولكنني لا أريد أن أغادر هذا العالم من دون معرفةٍ، وسيخففُ عنّي مصابي أن تنتقل هذه القصائدُ -التي كلفتني وظيفتي وثروتي وفي النهاية عقلي- إلى الأجيال المقبلة.⁷

أمر (يوان) أحد مرافقيه بتناول الفرشاة وتسجيل كلمات الكائن القابع في الأيكية، وبوضوح تام سرد (تشينج) ثلاثين قصيدةً ونيفًا، وعندما انتهى من إلقاء أشعاره توقف قليلاً ثم تابع بالنبرة الخشنة ذاتها التي لا يزال (يوان) يذكرها منذ أيام الدراسة:

إنهُ شيءٌ عبّيٌّ، ولكنني غالباً ما أحلمُ وأنا في كهفي ليلاً بديوان أشعاري مغلقاً بشكلٍ جميلٍ، وقد وضع على مكتب أحد المثقفين في العاصمة، فأبدأ بالضحك.. أصبحت على المسكين الذي كان يتوق لأنْ يصبح شاعرًا، ولكنَّهُ أصبح بدلاً من ذلك نمراً.

استمرَّ (تشينج) في الحديث، بالنبرة ذاتها الخشنة المنتقدة من قدرِ الذات، قائلاً: وهذه قصيدي الأخيرة أهدتها لك لكي تذكرنى بها، نظمتها ارتجالاً للتو، قصيدةٌ عن مسكنٍ معتوه، أو ماماً (يوان) لم رافقه بالاستمرار في الكتابة، وأخذَ (تشينج) يلقي القصيدة، حينها، بدأ (يوان) ومرافقه يفiqueونَ من صدمتهم الأولى حيال ما أصابَ (تشينج) من تحولات، وأخذوا يشعرونَ بالشفقة على الشاعر النّمر، بدلاً من الخوف منهُ.

وتذكر (يوان) في ذلك الوقت كيف كانت نوبة السخرية من الذات في الماضي تطارد دائمًا نوبات الغرور والكبرياء عند (تشينج)، الذي توقفَ هنيهةً ثم قال لصديقه:

في الأيام التي كنت فيها إنساناً غادرت إلى مسقطِ رأسِي كما تعلمُ، وتجنبت مخالطة البشر، وفسر الناس تصريفي هذا بأنه كبرياءً وتعجرف، ولم يدركوا أنَّ جزءاً كبيراً منهُ راجعٌ إلى عدم الثقة بالذات، لن أدعَيْ أنني -أنا عقريُّ المدينة ذاتُ الصيتِ- كنتُ خلواً من الغرورِ، ولكنَّ

غروري كانَ غروراً منكمشاً على ذاتِهِ، فبرغمِ تصميمي على أنَّ أصبحَ شاعراً إلا أنّني رفضتُ أنْ أدرسَ تحتَ إشرافِ شاعرٍ مخضرم، أوْ أنْ أختلطَ بآمثالِي منَ الْكُتُبِ، وكانَ ذلكَ بسببِ غروري الجبانِ؛ لأنَّ التقائي بشعراً آخرينَ قد يكشفُ زيفَ جوهرةِ العبريةِ التي أدعُها.

في الوقتِ ذاتِهِ، تمنيتُ وصدقْتُ على نحوِ ما أنَّ هذِهِ الجوهرةَ كانتْ حقيقةً، فترفعتُ عنِ الاختلاطِ بعامةِ الناسِ الذينَ يعيشونَ حياءً بعيدةً عنِ تبعِ الأدبِ، وهكذا، انقطعتُ عنِ العالمِ المنهمكِ في جمعِ المالِ، ولكنَّ خوفي يزدادُ طوالَ الوقتِ منْ أنّني في الحقيقةِ بعيدٌ جداً عنِ أنْ أكونَ شاعراً عقريّاً، الغرورُ وعدمُ الثقة⁸ كلاهما تعمقَ في داخلي حتى أصبحَا وجدي بأسراه، لقد كانَ هذا الغرورُ هوَ ما معنني منْ أنَّ أصبحَ شاعراً عظيمًا، وأعلمُ جيّداً أنَّ أنساً لديهمْ موهبةً أقلُّ منْ موهبتي بكثيرٍ استطاعوا الفوزَ بشهرةٍ كبيرةٍ بوصفِهم شعراً، بدراسةٍ متواضعةٍ لأعمالِ غيرِهم، وبالتطبيقيِ المخلصِ لما درسوهُ، إنَّ غروري هوَ الذي قلبَ حياتي وحياةَ أسرتي تعاسةً، وأورثني كلَّ هذا العذابِ.

عندَ ذلكَ الوقتِ انقضَّ الظلامُ، وانطلَقَ بوقُ أحدِ الصيادينَ في نجمةٍ حزينةٍ، فقالَ (تشينج): لقد حانَ وقتُ الفراقِ، ستحلُّ الآنَ السّاعةُ السّحريةُ التي أتحولُ فيها منْ جديٍ إلى نمِّي جسداً وعقلاً، ولكنْ دعني أطلبُ إليكَ شيئاً آخرَ: عندما تعودُ إلى الشّمالِ أتوسلُ إليكَ أنْ تذهبَ إلى عائلتي، لا تذكرْ شيئاً عنْ هذا اللقاءِ، ولكنْ، أخبرهمْ أنّكَ سمعتَ في أثناءِ وجودِكَ في الجنوبِ بخبرِ وفاتي، وإذا كانوا يفتقرُونَ إلى الطعامِ أوِ الملجأِ أناشدُكَ أنْ تساعدَهُمْ قدرَ استطاعتكَ.

عندَما انتهى (تشينج) منْ حديثِهِ عادَ صوتُ العويلِ منْ داخلِ الأیكةِ، فتحرّكَ (يوان) بمشقةٍ، مؤكّداً لصديقهِ أنَّهُ سيعملُ على تحقيقِ أمنياتِهِ، وبعدَ قليلٍ، عادَ صوتُ (تشينج) منبهًا ومحذرًا: هلْ لي أنْ أقترحَ عليكَ أنْ تسلكَ طريقاً آخرَ في العودة؟ فوقَتذاكَ قد أكونُ في وضعٍ لا يسمحُ

لي بالتعرف إلى الأصدقاء القدماء، وإنني لأكرهُ تصورَ أنّني قد أمزقكَ
إرباً وألتهمكَ، وإذا ما كانتْ لديكَ أيةٌ رغبةٌ في تجديدِ معرفتكَ بي
فإنّي أتوسلُ إليكَ أنْ توقفَ اليومَ عندَما تبلغُ قمةَ ذلكَ التلّ البعيدِ،
وأنْ تتطلّعَ إلى الوراءِ، عندهَا تستطيعُ رؤيتي لآخرِ مرّةٍ، وهذا سيزيلُ أيّةَ
رغبةٍ في رؤيتي مرّةً أخرى.

قالَ (يوان) بلطفي: وداعًا يا صديقي العزيز.. ورحلَ متبعًا بحاسبيهِ،
ومن خلفِ الشّجيراتِ انطلقَ نشيجُ خشنٌ.

عندَما بلغَ الجمعُ قمةَ التلّ، نظرَ (يوان) إلى الخلفِ من حيثُ جاؤوا،
وفجأةً، قفزَ النّمرُ من العشبِ الكثيفِ باتّجاهِ الطريقِ، وللحظاتِ قلائلَ
توقفَ هناكَ بلا حراكٍ، ثمَّ حملَ في القمِرِ الأبيضِ الشّاحِبِ، وزأرَ
ثلاثَ مراتٍ، وعندَما تردّدَ صدى آخرِ زفيرٍ في الوادي، قفزَ النّمرُ راجعاً
في اتجاهِ الشّجيراتِ الصّغيرةِ، واختفى عنِ العيانِ.

الثَّدَقَاءُ (أنطون تشيفوف)

الشَّفَقُ يُؤْذِنُ باقترابِ اللَّيلِ، وَنُدْفُ كَبِيرَةً مِنَ الثَّلَجِ تَنَطَّايرُ فِي بِطْءٍ حَوْلَ مَصَابِيحِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَضَاءَتْ لِتَوَهَا، وَتَكْسُو السُّقُوفَ وَظَهُورَ الْخَيْلِ وَالْأَكْتَافَ وَأَغْطِيَةِ الرَّؤُوسِ بِطَبْقَةِ رِيقَةٍ نَاعِمَةٍ، وَقَائِدُ الزَّحَافَةِ، «أَيُونَا بوتابوف» أَيْضُ مِنْ قَمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِيهِ، أَيْضُ كَالْسَّبِحِ، يَجْلِسُ عَلَى مَقْعِدِ الْقِيَادَةِ دُونَ أَنْ يَتَحرَّكَ، مُنْحَنِيَا كَأَقْصَى مَا يَسْتَطِعُ الْجَسْدُ البَشَرِيُّ أَنْ يَنْحُنِيَ، وَيَبْدُ ثَابِتًا بِحِيثُ لَوْ تَسَاقَطَ عَلَيْهِ تِيَارٌ ثَلْجِيٌّ مُسْتَظْمَنٌ لِمَا فَكَرَ فِي إِزَاحَةِ الثَّلَجِ عَنْ جَسَدِهِ، وَمُهْرَتُهُ الصَّغِيرَةُ بِيَضَاءِ وَسَاكِنَةٍ أَيْضًا، وَهِيَ تَبْدُ بِسُكُونِهَا وَبِحِدَّةِ خُطُوطِ جَسَدِهَا وَبِقَوَاعِدِهَا الرَّفِيعَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْعَصَمَ فِي اسْتِقَامَتِهَا أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِلُعْبَةٍ مِنْ لُعْبِ الْأَطْفَالِ، وَأَغْلُبُ الظَّنُّ أَنَّهَا كَانَتْ غَارِقَةً فِي التَّفْكِيرِ، فَأَيُّ مَخْلوقٍ يُنْتَزَعُ مِنَ الْمِحْرَاثِ وَمِنَ الْحُقولِ الْمُنْبِسطَةِ الَّتِي أَلْقَتْهَا عَيْنَاهُ، وَيُرْمَى بِهِ فِي هَذِهِ الْبُؤْرَةِ الْمَلِيَّةِ بِالْأَصْسَوَاءِ الْمُخْيِفَةِ، وَبِضَجَّةِ لَا تَنْقَطِعُ، وَبِبَشَرِّ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، أَيُّ مَخْلوقٍ هَذَا شَانُهُ لَبُدُّ وَأَنْ يَفْكَرَ.

1) استهلَّ تشيروف
قصته بوصف
المكان، وجعل الثلوج
والليل هما سيدا
التشهي. ما الدلالة
التي يرسّخها مثلُ
هذا الوصف؟ وما
الإحساس الذي
يُؤكّده هذا الوصف؟
لأيونا ومهرته؟

وكان قد مضى وقتٌ طويلاً دونَ أَنْ يَتَحرَّكَ «أَيُونَا» وَمُهْرَتُهُ، لَقَدْ خَرَجا مِنَ الإِسْطَبْلِ وَقَاتَ الْعِشَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْكِبِ الزَّحَافَةَ رَاكِبٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ ظَلَالُ اللَّيلِ تَهْبَطُ الْآنَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَلَوْنُ مَصَابِيحِ الطَّرِيقِ الشَّاحِبِ يَتَحَوَّلُ إِلَى ضَوءٍ وَهَاجِ، وَضَجَّةُ الطَّرِيقِ تَشَتَّتُ، وَيُسَمِّعُ «أَيُونَا» صوتَانِيَّاً دِيَّاً: زَحَافَةُ إِلَى «فِيَرْ جَسْكَايَا» ... زَحَافَةُ.

ويتبَهُ «أَيُونَا»، وَيَرِي مِنْ خَلَالِ عَيْنَيِهِ الْمُغَطَّاةِ بِنُدْفِ الثَّلَجِ الْمَنَادِي فَيَجِدُهُ ضَابِطاً فِي مَعْطَفٍ عَسْكَرِيٍّ وَغَطَاءٍ لِلرَّأسِ، وَيُكَرِّرُ الضَّابِطُ كَلامَهُ: إِلَى «فِيَرْ جَسْكَايَا» هَلْ أَنْتَ نَائِمٌ؟ إِلَى «فِيَرْ جَسْكَايَا».

وَيَسْدُ «أَيُونَا» الْلَّجَامَ دَلَالَةً عَلَى الْمَوْافَقَةِ فَتَنَطَّايرُ قِطْعَ الثَّلَجِ مِنْ عَلَى ظَاهِرِ الْمُهْرَةِ وَمِنْ عَلَى أَكْتَافِهِ، وَيَرْكِبُ الضَّابِطُ الْزَّحَافَةَ، وَيُقْرِقِعُ قَائِدُ

الزَّحَافِةِ، وَيَلْوُحُ بِالسَّوْطِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ لَا يُحْكِمُ الْفَرْقَةِ، وَتَسْدِيْدُ الْمُهَرَّةِ
عَنْقَهَا هِيَ الْأُخْرَى، وَتَلْتَوِي سَاقَاهَا الشَّيْهَاتِنَ بِالْعَصَاءِ، وَتَبْدَأُ فِي السَّيْرِ
بِتَرَدِّدٍ.

وَفِي الْحَالِ يَسْمَعُ «أَيُونَا» صَوْتاً يَصِحُّ بِهِ، صَوْتاً يَنْبَعِثُ مِنْ كُتْلَةِ مِنَ
الظَّلَامِ أَمَامَ عَيْنِيهِ:

إِلَى أَينَ تَتَّجِهُ؟! إِلَى أَينَ تَتَّجِهُ؟! الزَّمْ يَمِينَكَ أَيْهَا الرُّجْلُ.
فَيَقُولُ لَهُ الصَّابِطُ فِي غَضَبٍ:
إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْقِيَادَةَ، الزَّمْ الْيَمِينَ.

وَيَغْضُبُ مِنْهُ سَائِقٌ يَسْوُقُ عَرِبَةً، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدُ الْمُشَاةِ فِي عَصْبٍ وَهُوَ
يُزِيْحُ الشَّلْجَ عَنْ كُمْهٍ عِنْدَمَا اصْطَدَمَ ذَرَاعَهُ بِأَنْفِ الْحِصَانِ وَهُوَ يَعْبُرُ
الطَّرِيقَ؛ وَيَتَحرَّكُ «أَيُونَا» عَلَى مَقْعِدِ الْقِيَادَةِ كَمَا لَوْ كَانَ غَايَةً عَنِ الْوَعِيِّ،

لَا يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ؟ وَلَمْ وُجِدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟²

وَقَالَ الصَّابِطُ مُتَفَكِّهًـا :

يَا لَهُمْ مِنْ أَشْرَارِ! إِنَّهُمْ يَحَاوِلُونَ مَا يَوْسِعُهُمْ لَكِي يَصْطَدِمُوا بِعِرْبِتِكَ،
وَلَكِي يَقْعُوا تَحْتَ حَوَافِرِ حِصَانِكَ، إِنَّهُمْ يَتَعَمَّدُونَ ذَلِكَ تَعَمَّدًا.

وَنَظَرَ «أَيُونَا» إِلَى الرَّاكِبِ وَحَرَكَةِ شَفَتِيهِ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يَقُولَ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ، وَسَأَلَهُ الصَّابِطُ:

مَاذَا؟

وَابْتَسَمَ «أَيُونَا» ابْتِسَامَةً كَثِيرَةً، وَمَدَّ عَنْقَهُ، وَخَرَجَ صَوْتُهُ خَشِنًا ثَقِيلًا.

ابْنِي .. ابْنِي مَاتَ هَذَا الْأَسْبُوعَ سِيَّدِي.

قَالَ الصَّابِطُ:

هَيْهِ، مَاتَ بِمَاذَا؟

وَأَدَارَ «أَيُونَا» جِسْمَهُ كُلَّهُ إِلَى الرَّاكِبِ، وَقَالَ:

مَنْ يَدْرِي؟! لَا يُبَدِّلُ أَنَّهَا الْحُمَّى، رَقَدَ فِي الْمُسْتَشْفَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَاتَ،
إِنَّهَا إِرَادَةُ اللَّهِ.

وَفِي هَذِهِ الْلَّحْظَةِ ارْتَفَعَ صَوْتٌ مِنَ الظُّلْمَةِ قَائِلًا:

2) ما العبارة التي توحّي
بأنّ «أيونا» متّصلٌ عنْ
واقعِهِ والنَّكَانِ الَّذِي
هُوَ فِيهِ؟ ضَعْ تَحْقِيقَهَا
خَطْلًا. بِمَ يَوْحِي
ذَلِكَ؟

استِدَرْ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، هَلْ جُنِّتَ أَيُّهَا الْعَجُوزُ، انْظُرْ إِلَى أَيْنَ أَنْتَ مُتَّجِهُ؟!
قَالَ الضَّابِطُ:

أَسْرِعْ، أَسْرِعْ، لَنْ نَصْلِ إِلَى هُنَاكَ إِلَّا فِي صَبَاحِ الْغَدِ إِذَا قُدِّتَ بِهَذَا الْبَطْءِ!
وَمَدَ سَائِقُ الزَّحَافَةِ عُنْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ وَارْتَفَعَ عَنْ مَقْعِدِهِ، وَقَرْقَعَ بِسُوطِهِ،
وَاسْتَدَارَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِيُنْظَرَ إِلَى الضَّابِطِ، وَلَكِنَّ الْأَخِيرَ أَبْقَى عَيْنِيهِ مُغْلَقَتِينَ

(3) كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ إِحْسَانُ
(أَيُّونَا) فِي هَذِهِ
اللَّحْظَةِ حِينَ رَأَى
الضَّابِطَ قَدْ أَعْلَقَ
عَيْنِيهِ؟ وَمَا الَّذِي يَوْدُ
الرَّاوِي أَنْ يَلْفِتَ
نَظَرَنَا إِلَيْهِ؟
وَبَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ «أَيُّونَا» رَاكِبَهُ فِي «فَيِيرِ جَسْكَايَا»، تَوَقَّفَ عَنْ دَمْعَهُ، وَمِنْ
جَدِيدٍ انْكَمَشَ فِي مَقْعِدِهِ، وَمِنْ جَدِيدٍ لَوَّنَهُ الثَّلْجُ الْأَبْيَضُ، وَلَوَّنَ مُهَرَّتَهُ،
وَمَرِثْ سَاعَةً وَبَعْدَهَا سَاعَةً.

وَاتَّجَهَ إِلَى الزَّحَافَةِ ثَلَاثَةُ شُبَّانٍ، اثْنَانِ مِنْهُمَا طُوبِلَا الْقَامَةُ رَفِيعَانُ وَالثَّالِثُ
أَحَدُبُ قَصِيرُ، كَانُوا يَتَمَالِيُونَ، وَيَدْبُونَ بِأَحْذِيَتِهِمُ التَّقِيلَةُ عَلَى الرَّصِيفِ.

وَصَاحَ الْأَحَدُبُ:

إِلَى (البُولِيسِ) أَيُّهَا السَّائِقُ، ثَلَاثَتُنَا، سَنَدْفَعُ عِشْرِينَ (كَوِيِكِ).
وَشَدَّ «أَيُّونَا» الْدَّجَامَ، وَقَرْقَعَ حَصَانُهُ، وَلَمْ تَكُنِ الْعَشْرُونَ (كَوِيِكِ) أَجْرًا
مِنَاسِبًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْكِرْ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَعْدِ الْأَمْرُ يُهُمَّهُ، (رُوَيْل) أَوْ خَمْسَةَ
(كَوِيِكَاتِ) سِيَّانَ، مَادَامَ مَعَهُ رَاكِبٌ، وَصَعَدَ الشُّبَّانُ الْثَّلَاثَةُ إِلَى الْعَرْبَةِ
وَهُمْ يَتَزَاحِمُونَ، وَيَحَاوِلُونَ أَنْ يَجْلِسُوا كُلُّهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، وَلَكِنْ كَانَ
لَا بُدَّ مِنْ تَسوِيَةِ الْمَسَأَلَةِ، فَلَمْ يَكُنِ الْمَقْعُدُ يَتَسْعُ إِلَّا لِاثْنَيْنِ، وَبَعْدَ الْكَثِيرِ
مِنَ الْاِخْتِلَافِ اَتَفَقُوا عَلَى أَنْ يَقْفَ الْأَحَدُبُ لَأَنَّهُ أَقْصَرُهُمْ، ثُمَّ قَالُوا:
حَسَنًا، هَيَا بَنا.

قَالَ الْأَحَدُبُ بِصُوتِهِ الْمُتَقَطِّعِ وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ، وَلَفَحَتْ أَنْفَاسُهُ عُنْقَهُ
«أَيُّونَا»:

بِسْرَعَةٍ، يَا لَهَا مِنْ عَرَبَةٍ! يَا صَدِيقِي، عَرَبْتُكَ هَذِهِ لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَجِدَ فِي
(بَرْسِيرْغ) بِأَجْمِعِهَا أَسْوَأَ مِنْهَا.

وَضَحِّكَ «أَيُّونَا»: هَا هَا .. هَا هَا! إِنَّهَا لِيَسْتُ مَدْعَةً لِلْفَخْرِ.

قَالَ الْأَحَدُبُ:

ليست مداعاةً للفخرِ حقًا، حسناً أسرعْ إذاً، هل ستقودُ بهذا البطءِ طيلةَ الطريقِ؟ هياً، هل أضرُّكَ على قفاكَ.

أحسَّ «أيونا» بالأحدبِ خلفَ ظهرِه يدفعُه وبصوته الغاضبِ يرتعشُ، وشيئاً فشيئاً بدأً يزولُ شعورُ (أيونا) بالوحدة، وتقلُّ وطأتهُ في قلبه، ويستمرُّ الأحدبُ يتكلُّمُ غاضبًا حتى يبدأ في الضحكِ على فُكاهةِ ألقاها أحدُ زماليه، واستمرَّ يضحكُ حتى داهمهُ السعالُ، وظلَّ زميلاً يتحدّثان، و(أيونا) ينظرُ إليهمْ، ويُتَّظَّرُ حتّى سادَتْ فترَةٌ صمتٌ قصيرةٌ، فالتفتَ إلَيْهمْ منْ جديدهِ، وهو يقولُ:

هذا الأسبوعُ ماتَ ابني، هذا الأسبوعُ ابني ماتَ.

تنَهَّدَ الأحدبُ وهو يمسحُ شفتَيهِ عَقبَ السعالِ، ثمَّ قالَ: كُلُّنا سُنُمُوتُ، والآنَ أسرعْ أسرعْ، أنا وصديقايَ لا نستطيعُ أنْ نتحمّلَ

الرّحْفَ البطيءَ، متى سَتُوْصِلُنَا إلى هناكَ؟⁴

قالَ أحدُ الصّديقينَ:

امْنَحْهُ قليلاً منَ التّشجيعِ، اصْفَعْهُ مثلاً.

قالَ الأحدبُ:

أتسمعُ أيُّها العجوزُ، سأجعلُكَ نسيطاً، لو احترمَ الإنسانُ أمثالَكَ فخيرُكَ أنْ يمشيَ على قدميهِ، أتسمعُ أيُّها الرجلُ؟ ألمْ لعلَّكَ لا تهتمُّ على الإطلاقِ بما نقولُ.

ضحكَ «أيونا» وقالَ:

شُبَّانٌ يَمْرحُونَ، لِيَمْنَحُوكُ اللَّهُ الصَّحَّةَ.

وعندما استدارَ «أيونا» ليُخْبِرَهُمْ كيفَ ماتَ ابنُهُ، تنَهَّدَ الأحدبُ بارتياحٍ، وأعلنَ أنَّهُمْ وصلوا أخيراً والحمدُ للهِ.

وبعدَ أنْ أخذَ «أيونا» نقوذَهُ ظلَّ يُحدِّقُ طويلاً في الشُّبَّانِ الْثَّلَاثَةِ وهمْ يختفونَ في المدخلِ المُظْلِمِ، ومنْ جديدهِ أصبحَ وحيداً، ومنْ جديدهِ لا يملِكُ سوى الصَّمتِ.

وعادَ الشَّقاءُ الَّذِي هانَ لفترَةٍ قصيرةٍ، عادَ منْ جديدهِ يُمزِّقُ قلبَهُ أقسى

(4) ما رأيك في شخصية
الأحدب؟ وفي
صديقه؟ وما الذي
باتَّ تصورك هذا
عنهم؟

مَمَّا كَانَ يُمْزِّقُهُ مِنْ قَبْلُ.

وَفِي نَظَرَةٍ قَلِيقَةٍ وَأَلَّمٍ، بَدَأَتْ عَيْنَا «أَيُونَا» الْتَّانِ لَا تَسْتَقْرَانِ فِي مَكَانِهِمَا تَرْقِبَانِ الْجَمَاهِيرَ وَهِيَ رائِحَةٌ غَادِيَّةٌ عَلَى جَانِبِيِّ الطَّرِيقِ، وَبِدَأَ يَسْأَلُ: أَلَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَجِدَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْآلَافِ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ؟ كَانَتِ الْجَمَاهِيرُ تَمْرُّ بِهِ لَا تَشْعُرُ بِشَقَائِيهِ، كَانَ شَقَاؤُهُ عَمِيقًا لَا حَدُودَ لِعُمْقِهِ، وَلَوْ اِنْفَجَرَ قَلْبُهُ وَفَاضَ شَقَاؤُهُ لِأَغْرِقِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا، وَلَكِنْ، لَا أَحَدَ يَرَاهُ، فَقَدْ وَجَدَ

5) كَفَ تَصْفُّ هَذِهِ
اللَّحْظَةُ بِالنَّسْبَةِ
لِأَيُونَا؟

الشَّقَاءُ مُخْبَأً فِي مَكَانٍ نَاءٍ، مَكَانٌ لَا يَمْكِنُ أَنْ يَصْلَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ.⁵
وَبِرِي «أَيُونَا» بَوَابًا يَحْمُلُ لَفَةً، وَيُقَرِّرُ أَنْ يُوجِّهَ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ.

كَمِ السَّاعَةُ يَا صَدِيقِي؟
قَالَ الْبَوَابُ:

السَّاعَةُ قَارِبَتِ الْعَاشرَةَ، لِمَاذَا تَوَقَّفْتَ هُنَا؟ ابْتَدَعَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ.
يَبْتَدَعُ «أَيُونَا» عَنِ الْمَكَانِ خُطْوَاتٍ، وَيَحْنِي جَسْمَهُ، وَيَسْتَسْلِمُ لِلشَّقَاءِ.
بَدَأَ يَشْعُرُ أَنَّهُ لَا فَائِدَةٌ مِنَ الاتِّجَاهِ إِلَى النَّاسِ، وَقَبْلَ أَنْ تَنْقَضِيْ خَمْسُ دَقَائِقَ اعْتَدَلَ فِي چَلْسَتِهِ، وَهَرَّ رَأْسَهُ كَمَا لَوْ كَانَ يَشْعُرُ بِالْمَحَاجَةِ، وَشَدَّ الْجَامَ، لَمْ يَعُدْ يُسْتَطِعُ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَكْثَرَ مَمَّا تَحْمِلُ، وَبِدَأَ يَرَدِّدُ فِي نَفْسِهِ:
إِلَى الإِسْطَبْلِ، إِلَى الإِسْطَبْلِ.

بَدَأَتْ مُهْرُثُهُ الصَّغِيرَةُ تُسْرِعُ، وَكَانَهَا تَعْرُفُ أَفْكَارَهُ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ وَنَصْفٍ جَلَسَ «أَيُونَا» إِلَى جَانِبِ مَوْقِدِ نَارٍ قَدِيمٍ عَلَيْهِ أَرَائِكُ خَشَبِيَّةٌ، وَفَوْقَهَا أَشْخَاصٌ يَغْطِّونَ فِي النَّوْمِ، وَالْهَوَاءُ ثَقِيلٌ مَلِيءٌ بِالرَّوَاحِ الْعَفْنَةِ، وَنَظَرَ «أَيُونَا» إِلَى النَّائِمِينَ، وَحَكَّ جَلْدَهُ، وَتَدَمَّ عَلَى أَنَّهُ عَادَ إِلَى الْبَيْتِ مُبَكِّرًا.⁶
لَمْ أَكُسْبِ ما يَكْفِي حَتَّى لَثَمِنَ الشَّوْفَانِ، وَهَذَا هُوَ السَّبِبُ فِي أَنَّنِي أَشْعُرُ بِذَلِكَ الشَّقَاءِ، فَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْرُفُ كَيْفَ يَقُولُ بِعَمَلِهِ، وَيَكْسِبُ مَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي حِصَانَهُ يَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ.

وَمِنْ رُكْنِيْنِ الْأَرْكَانِ يَنْهُضُ سَاقِيْنِ سَاقِيْنِ وَالنَّوْمُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ، وَيَتَجَهُ إِلَى مَكَانِ الْمِيَاهِ، وَيَسْأَلُهُ «أَيُونَا»:
هَلْ تَرِيدُ أَنْ تَشْرَبَ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ قَائِلًا:

يبدو هذا ، قال له:

بالعافية ، ولكنَّ ابني ماتَ يازملي ، أتسمعُ؟ هذا الأسبوع في المستشفى ، إنَّهُ أمرٌ غريبٌ ، ونظرَ «أيونا» ليرى الأثر الذي تركته الكلماتُ ولكنَّهُ لم يرَ لكلماتِه أثراً ، كانَ الشابُ قد غطى رأسه ، واستغرقَ في النومِ .

تنهَّدَ الرجلُ العجوزُ ، وحَكَ جلدَه ، كانَ يُحِسُّ بعطشٍ إلى الكلامِ كعطشِ الشابِ إلى الماءِ ، ها هو أسبوعٌ قد أوشكَ أنْ ينصرمَ منذ ماتَ ابنُه ، وهو لم يحادِثْ أحداً بعدَ حديثاً حقيقياً ، إنَّهُ يريدُ أنْ يتحدثَ عنَ الموضوعِ حديثاً جديداً ، يريدُ أنْ يحكِيَ كيفَ مرضَ ابنُه؟ وكيفَ تعذَّبَ؟ وماذا قالَ قبلَ أنْ يموتَ؟ وكيفَ ماتَ؟ إنَّهُ يريدُ أنْ يصفَ الجنائزَةَ ، وكيفَ ذهبَ إلى المستشفى لاستلامِ ملابسِ ابنِه ، وما زالتْ لديه ابنتهُ «أنيسيَا» في الريفِ وهو يريدُ أنْ يتحدثَ معها أيضاً ، إنَّ لديه الكثيرَ ، يريدُ أنْ ينهَّدَ ، وأنْ يجدَ منْ يستمعَ إليه ، يريدُ أنْ يعجبَ منَ الزَّمنِ وأنْ يرثيَ ابنَه ، أحَسَّ أنَّهُ منَ الأفضلِ أنْ يتحدثَ إلى النساءِ فهُنَّ يدعمنَ عندَ الكلمةِ الأولى .

قالَ («أيونا» لنفسيِّه):

دعْنا نخرجُ ، ونُلْقِ نظرةً على المهرة ، ففي الوقتِ متَّسِعٌ للنومِ دائمًا ، لا تَخُفْ ، فستنامُ بما فيه الكفايةِ .

ليسَ «أيونا» معطفهُ ، وذهبَ إلى الإسطبلِ حيثُ تقفُ المهرةُ ، وهو يفكُّ في الشَّوفانِ وفي العُشبِ وفي الجَوِّ ، وهو لا يستطيعُ أنْ يفكِّرَ في ابنِه ، وهو وحيدٌ ، مِنَ المُمكِنِ أنْ يتحدثَ عنهُ معَ شخصٍ ما ، ولكنَّ التَّفكيرَ فيهِ وتصوُّرهُ الْمُمْضِ لا يُمْكِنُ للإنسانِ تحملُه .

سألَ «أيونا» مُهرَتَه عندَما رأى عينيهَا اللامعتينِ :

هلْ تأكلينَ؟ حسناً ، كُلِّي ، إنَّ لَمْ نَسْتَطِعْ أنْ نَكْسِبَ ما يكفي منَ الشَّوفانِ فلنَأكُلْ كُلَّ العُشبِ . نَعَمْ ، لقدْ كَبُرْتُ على قيادةِ العَربَاتِ ، كانَ ينبغي أنْ يقودَ ابني ، لا أنا ، كانَ قائداً بمعنى الكلمة ، كانَ ينبغي أنْ يعيشَ .

ويُسْكُتُ «أيونا» وهلةً ، ثُمَّ يستمرُ في كلامِه :

هذِه هيَ المَسَأَلَةُ يا فتاتي العزيزةَ ، لقدْ ذهبَ «كوزماً أيونتش» قالَ وداعاً ،

ذهبَ، وماتَ دونَ سبِّيْ ما، والآنَ تصوّري أنَّ لَكِ مُهْرَةً صغيِّرَةً، وَكُنْتِ
أنتِ أمَّ هذِهِ المُهْرَةِ الصغِيرَةِ، وفجأَةً ذهَبَتْ نفْسُ هذِهِ المُهْرَةِ الصغِيرَةِ
وماتَتْ، ستَأسِفينَ لموتها، أَلِيسَ كذِلِكَ؟

واسْتَمِرَتْ المُهْرَةُ الصغِيرَةُ تَمْضِيْعُ، وَتُنْصِتُ، وَتَنْفَسُ بالقُرْبِ مِنْ يَدِيْ
سيِّدِها، وَتَحرَّكْتْ لوايْجُ «أَيُونَا» فَأَخْبَرَ المُهْرَةَ بِالقصَّةِ كَامِلَةً.⁷

(7) ما الذي يُريدُ أنْ
يَقُولُهُ الكاتبُ هُنَا
وَهُوَ يَخْتَارُ المُهْرَةَ
لِتَكُونَ الْمُسْتَمِعَ
الْوَحِيدَ لِلْوَاعِجِ
«أَيُونَا»؟

الرّجلُ العَجُوزُ عِنْدَ الْجِسْرِ (إرنست همنجواي)

على جانبِ الطّريقِ جلسَ رجلٌ عجوزٌ في ملابسٍ مُترَبَّةٍ لِلغايةِ، وعلى عينيهِ نظارةٌ بحافةٍ معدنيَّةٍ، وكانَ هناكَ جسراً متنقلاً عبرَ النَّهَرِ، والعرباتُ، وسياراتُ النَّقلِ، والرِّجالُ والنِّسَاءُ يعبرونَ الجسرَ، والعرباتُ التي تجرُّها البغالُ تترنَّحُ على الشَّاطئِ المنحدِرِ الذي يؤدي إلى الجسرِ، والجنودُ يساعدُونَها على التقدُّمِ بدفعِ العجلاتِ، وسياراتُ النَّقلِ تطحنُ الطّريقَ لا تلوِي على شَيْءٍ تريدهُ أنْ تخرجَ منَ المكانِ، والفالحوَنَ يغوصونَ في التُّرَابِ، ولكنَّ الرَّجُلَ العجوزَ جلسَ هناكَ دونَ أنْ يتحرَّكَ. كانَ مُتَعَبًا، لا يستطيعُ أنْ يذهبَ أبعدَ ممَّا ذهبَ.

وكانَ علىَّ أنْ أَعْبُرَ الجسرَ، وأطمئنَّ علىَ سلامتهِ منَ النَّاحيَةِ الأُخْرَى، وأتبيَّنَ مدى سهولةِ الحركةِ، وفرغتُ منْ مَهْمَتي وعُذْتُ عَبْرَ الجسرِ. كانَ عدُّ العرباتِ أقلَّ ممَّا كانَ عليهِ مِنْ قِبْلٍ، وعُدُّ المشاةِ قليلاً لِلغايةِ، ولكنَّ الرَّجُلَ العجوزَ كانَ مَا يزالُ في مكانِهِ، وسألَهُ:

منْ أينَ أتَيْتَ؟

أجابَ:

منْ (سانْ كارلوس)، ثُمَّ ابتسَمَ.

كانتْ هذِهِ بلدَةُ الأُصلِيَّةِ، لِذَا أُشَعَّرُهُ ذَكْرُها بالسُّرُورِ، فابتسمَ.

ثُمَّ أضافَ قائلاً:

لقدْ كُنْتُ أَعْتَنِي بالحيواناتِ.

فقلَّتْ:

آهٍ، دونَ أنْ أَفْهَمَ تماماً ما يعنِي.

قَالَ :

نَعَمْ، لَقْدْ ظَلَلْتُ أَغْتَنِي بِالْحَيَوانَاتِ، وَكُنْتُ آخِرَ فَرِيدٍ يُغَادِرُ بَلْدَةً (سانْ كارلوس).

لَمْ يَبْدُ الرَّجُلُ كَرَاعٍ وَلَا كَصَاحِبٍ قَطِيعٍ، نَظَرْتُ إِلَى ثِيابِهِ السَّوْدَاءِ الْمُغْبَرَّةِ، وَوَجَهِهِ الْأَشْعَثِ الْمُغْبَرِّ، وَنَظَارَتِهِ ذَاتِ الإِطَارِ الْفَوْلَادِيِّ، وَقَلَتْ:

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوانَاتُ؟

قَالَ :

حَيَانَاتٌ مُتَعَدِّدَةُ، ثُمَّ هَزَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرْكِهِمْ .
1) ما الذي توحى به
جملة "كان لا بد من
تركهم"؟

كُنْتُ أَرَاقِبُ الْجِسَرَ وَمِنْطَقَةً (إِبِرُو الدَّلْتَا) ذَاتَ الْمَظَهَرِ الْإِفْرِيقِيِّ، وَأَسْأَءَلُ فِي نَفْسِي عَنْ مَقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي سِيمَضِي قَبْلَ أَنْ نَشَاهِدَ الْعُدُوَّ، وَأَنْصِتُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْأُولَى الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُؤْشِرَ عَلَى الْحَدِيثِ الْأَكْثَرِ غَمْوِشًا وَالَّذِي يُسَمَّونَهُ: «الْمَوَاجِهَةُ»، وَالرَّجُلُ الْعَجُوزُ كَانَ لَا يَزَالُ جَالِسًا هَنَاكَ.

سَأَلَتُهُ:

مَاذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَيَانَاتُ؟

رَدَّ قَائِلًاً:

كَانَتْ ثَلَاثَةَ حَيَانَاتٍ: مَعْزَتَيْنِ، وَقطَةً مَعَهَا أَرْبَعَةُ أَزْواجٍ مِنَ الْحَمَامِ.

وَسَأَلَتُهُ:

هَلْ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْكَهُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ؛ بِسَبِّ الْمَدْفِعَيْةِ، لَقْدْ أَمْرَنِي الصَّابَاطُ بِالرِّحْيلِ بِسَبِّ الْمَدْفِعَيْةِ.

قَلَتْ وَأَنَا أَرَاقِبُ الْجَانِبَ الْبَعِيدَ مِنَ الْجِسَرِ حِثْ أَسْرَعَتِ الْعَربَاتُ

الأخيرة وهي تنزل إلى الشاطئ المنخفض:

أَوْ لَيْسَ لَكَ عَايَةٌ؟

قال: لا، ليس إلا الحيوانات التي ذكرتها، وبالطبع تستطيع القطة أن تعتني بنفسها، وأن تبحث عن طعامها، ولكنني لا أستطيع التفكير فيما سيحدث للحيوانات الأخرى.

وسألته:

وما مبادئك السياسية؟

قال:

ليس لي مبادئ سياسية، إنني في السادسة والسبعين من عمري، وقد مشيتُ اثنى عشرَ كيلومترًا، ولا أظني أستطيع أن أذهبَبعدَ ممّا ذهبتُ.

فقلتُ:

ليس هذا المكان ملائماً للتوقف، هناك في آخر الطريق عربات تنقل الناس إلى (تورتسوا).

وقال:

سأنتظر قليلاً، ثم أذهب. إلى أين تذهب هذه العربات؟

وقلتُ:

في اتجاه (برسلونة).

قال:

أنا لا أعرف أحداً في هذا الاتجاه، ولكنني شاكيٌ جداً، أشكُوكَ كثيراً.

ونظر إلي دون أن يدرو على وجهه أي تعبير وقد بدا عليه الإرهاق، وقال

-وكأنه لا بد له أن يتقاسم قلقه مع إنسان ما:-²

(2) ما الذي توحى به جملة "كان لا بد من ترجمة"؟

القطة تستطيع أن تعتني ب نفسها، أنا متأكد من ذلك، ولا داعي للقلق من أجل القطة، ولكن الحيوانات الأخرى، ماذا ترى؟ ماذا يمكن أن يحدث لها؟

قلت: ربما لن يصيّهم شيء.

قال: أظن ذلك؟

قلت، وأنا أنظر إلى الطرف الآخر من الجسر حيث لم تَعْدْ هناك أي عربات:

ولم لا؟

قال: لقد طلبت مني أن أرحل بسبب المدفعية، فما عساها هي أن تفعل تحت نيران المدفعية؟

وسأله:

هل تركت قفص الحمام مفتوحاً؟

قال: نعم.

قلت: إذا سيطير الحمام!

وقال:

نعم من المؤكد أن يطير، ولكن... بقيّة الحيوانات... من الأفضل ألا أفكّر في بقيّة الحيوانات.

وحاولت أن أحثه على الرحيل:

لو كنت مكانك لرحلت، قم الآن، وحاول أن تمشي.

قال: أشكرك.

وقام على قدميه وترنح من جانب إلى جانب ثم جلس من جديد في

(٣) كيف يمكن أن
تصف حال الرجل
في هذه اللحظة؟
وما المشاعر التي
تسيطر عليه؟

التراب، وقال في خموٍ:

كُنْتُ أَعْتَنِي بِالحَيْوَانَاتِ، لَمْ أَرْتَكْ ذَبَابًا، كُنْتُ فَقْطُ أَعْتَنِي بِالحَيْوَانَاتِ.^٣

ولكِنَّهَا كَانَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُوجِّهُ الْكَلَامَ إِلَيَّ.

لَمْ يَكُنْ يُوْسِعِي أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجْلِهِ شَيْئًا، كَانَ هَذَا الْيَوْمُ الْأَحَدُ، وَقَوْاتُ
الْعَدُوِّ تَقْدَمُ نَحْوَ نَهْرِ (الْأَبْرُو) وَكَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا مُعْتَمِمًا بِسَحَابٍ مُخْفَضٍ
يَحْجُبُ السَّمَاءَ؛ وَلَذِلِكَ لَمْ تَكُنْ طَائِرَاتُ الْعَدُوِّ تَظَهُرُ فِي الْجَوَّ.

العابرون فوق شطاياهم عبد العزيز الفارسي

حدّثني ربيع المرّ عن خميس بن باروت عن صمبوخ عن بيكان، قال:

في طريق مُقْفِر يفصل بين أقرب قريتين عندنا، حدّدت السلطات السرعة القصوى بمائة كيلومتر في الساعة، حفاظاً على حياة الحيوانات السائبة. أقاموا احتفالاً كبيراً لنصب الإشارة التي تحدد السرعة، دُعي إليها كبار رجالات الولاية.

بعد نصب الإشارة وتصفيق الحضور على جنبي الطريق، مررت سيارة مُسرعة بجنون. قدر الحاضرون سرعتها بمائة وستين كيلومتراً في الساعة. قال راعي الحفل:
[الإشارة جديدة، ولم يتبه لها السائق، فلتناول القهوة، ولنكم مراسم الاحتفال].

في أثناء شرب القهوة مررت أربع سيارات تترواح سرعاتها بين المائة والستين والمائة والثمانين كيلومتراً في الساعة، فقال الحاضرون: [الإشارة جديدة، ولم يتبه لها السائقون]. وأكملوا شرب القهوة.

أكلت الأيام شهراً من عمر الشارع، ولم يخُفِّض سائقٌ واحدٌ سرعته عن المائة والخمسين كيلومتراً في الساعة. أعادت السلطات النظر في موضوع الإشارة. ادعى ضابط أن المواطنين يعشقون مخالفات قوانين السير بزيادة السرعة عن المقرر ولو بقليل. أردف: [لذا أقترح عليكم وضع إشارة أخرى تحدّد السرعة بخمسين كيلومتراً في الساعة.. سيتجاوز السائقون هذه السرعة حباً في المخالفات ولكن سرعتهم ستصل كحد أقصى إلى مائة كيلومتر في الساعة.. وهذا ما نريده].

استحسن الجميع الفكرة، وأقيم احتفال لنصب إشارة أخرى تحدّد السرعة الجديدة. ذكر شهود عيان مرور عشر سيارات بسرعة تقارب المائة والستين كيلومتراً في الساعة. تكفل المواطنون الحاضرون بالتبrier:

[الإشارة جديدة.. ولم يتبه لها السائقون].

لم يتبع السائقون للإشارة الجديدة شهرين متاليين، وأصاب اليأس السلطات. قررت بعد شهر إشهار مبدأ العقاب لكل مخالف.

اشترت جهاز (رادار) لتصوير السيارات المخالفات، ووضع الرادار في منتصف المسافة بين القرتيين طيلة النهار. عند المغرب كان الجهاز الجيب قد ملأ فلماً كاملاً بصور المخالفين. في الصباح التالي تم تغريم كل من وجدت صورة سيارته.

احتج المواطنون على سياسة المخالفات، قال أحدهم لضابط المرور:

[لماذا لم تقيموا حفلًا لنصب الرادار؛ لنكون على علم !!؟]

تعالت احتجاجات أخرى، لكنهم اضطروا في النهاية لدفع المخالفات. انتشر خبر الجهاز العجيب في الولاية، وفي اليوم التالي وضع الرادار في المكان نفسه. مر عليه مواطنٌ من تمت مخالفتهم فخفّض السرعة مقترباً منه، وتلفت المواطن يمنة ويسرة، أماماً وخلفاً، فوقاً وتحتها فوجد الجهاز دون حراسة. فحمل الرادار إلى سيارته، وهرب به. وكسره في البيت وهو يقول:

[خذ يا أعمى، خذ يا لص، هه، خذ، بسببك خسرت عشرة ريالات].

فتّشت السلطات عن الرادار، ولم تتعثر على أثري له. قررت شراء جهاز جديد. ترك الرادار الجديد في المكان نفسه قبيل المغرب، لكن هذه المرة بصحبة شرطيٍّ وحيد، لا يملك غير عصا القانون، ليزدود بها عن الكرامة. مر سائقون مسرعون تم تصويرهم، وأعطي الجهاز وميضاً كآلية التصوير، قال سائق لراكب قربه: [ما هذا الوميض؟].

رد الراكب: [برق. أظنها ستمطر في الليل].

وانظر رجلٌ مُسْرِعٌ بصحبة زوجته، وتفاجأ بوميسي قوي يغمز أعينهما. صرخت الزوجة ورددت الخمار على وجهها، ففرمل الزوج. عاد للخلف ليتبين مصدر الوميض. وجد الشرطي قرب الرادار، وقد أبعد عنه عصا القانون. سأله:

- ما هذا؟

رادار..

- رادار؟!!.

- جهاز يصور السيارات التي تتجاوز السرعة القانونية.

- هل يصورني أيضاً؟

- يصور كل من في المقصورة الأمامية.

أمسك الزوج الشرطيّ: [يعني هذا الجهاز صور الحرمة، هات الصورة، هيا هات الصورة].
صرخ الشرطيّ: [لا يمكن، الصورة لا تظهر إلا في معامل الشرطة].

اتجه الرجل إلى سيارته، صرخ في وجه زوجته: [صوروك يا حرمة. يا عارنا. ألم أقل لك
رمي الخمار على وجهك؟ ماذا قلت؟ نحن في طريق مُقْفِرٍ والوقت ظلام. هه. هذا هو
الظلم.]

صرخت فيه الزوجة:

- الذنب ذنب الذي صورني.

- لكنها السلطة؟

- من قال لك إنه من السلطة؟ أيعقل أن ترك الحكومة رجلاً أعزل في طريق مقفر وتقول
له: [صور حريم الرجال؟] إنه يضحك عليك وحسب.

اتجه الرجل نحو الشرطيّ. قال:

- هات الصورة .

- لا أستطيع إخراج الصورة.

- إذن خلّ بيّني وبين هذا الجهاز، كاشف ستّر الرجال.

بعد مناقشات طويلة أخذ الرجل الرادار - بعد أن حطّمه - معه إلى البيت.

اهتدت السلطات أخيراً إلى وضع رجل بزيّ مدنی قرب الرادار الثالث، ووضع دورية على
بعد ثلاثة كيلومترات عن الجهاز، كانت مهمة الرجل الإبلاغ عن المسرعين لستقبلهم

الدولية بالمخالفات. نجحت الفكرة في اليوم الأول، وسرى خبر الرادار الثالث في الولاية. تنبه السائقون لموقع الرادار بمجرد رؤية رجل يجلس على قارعة الطريق، فالطريق مُقفر وغير مأهول، فلن يكون الواقف إلا المختص بالرادار، فكانوا ينطلقون مسرعين، وبمجرد رؤية شبح رجل يهتف أحدهم بالسائق: [رادار] [رادار]

فيختَض السائق سرعته إلى أربعين كيلومتراً في الساعة حتى يتجاوز الرادار، فلا يُلغى المختص بالرادار عنه، ومن ثم يزيد السائق سرعته إلى مائة وستين كيلومتراً في الساعة. وحدث أن مرّ سائقون على الدورية بسرعات جنونية وأفراد الدورية لا يقبضون عليهم لعدم إبلاغ مسؤول الرادار عنهم، مع الوقت غيّرت الشرطة وسائل نصب الرادار، فتارة تضع برميلاً، وتارة تضع خيمة، وفي أحيانٍ أخرى تنصب شجرة وهمية لتموّه السائقين.. لكن النتيجة أن أي سائق يمر على شيء غير طبيعي في هذه المنطقة المغفرة يقول: (رادار) [رادار]

ويختَض سرعته لما دون الخمسين كيلومتراً ثم يزيد السرعة بعد التأكد من ابعاده عن الشيء الغريب. قيل إن السائقين إذا مرّوا على حيوانٍ سائب خفّضوا سرعتهم، وكذا إذا رأوا إطاراً منفجرًا رُمي في تلك المنطقة.

وطوى المساء ذكريات المسنيّن عن الرادار، ونصبها خيمة على رمل الذاكرة، كلما صادفت لائحة لتحديد السرعة ابتسمت، وخفّضت السرعة.

قبل أسبوع انفجر إطار سيارة مُسرعة، فتدحررت، وانقلب بمَن فيها. مرّ عليها السائقون المسرعون وهي تحترق فجعل الواحد منهم يقول للراكب الذي يليه: [انظر، وضعوا الرادار على شكل حريق].

وخفّضوا جميعاً السرعات حتى تجاوزوا السيارة المحترقة ثم زادوا سرعتهم.

صباح اليوم رأيت بقايا السيارة المحترقة، وكانت السيارات تمر مسرعة.. فتخفض السرعة حتى تتجاوز تلك البقايا، ثم تزيد سرعتها.

بِقَعَةُ زِيَّتٍ
مريم الساعدي

هو يومه الأول، يبدو مكاناً مهماً، كلفوه بمهمة تلبية طلبات المكاتب من 5 - 15.

عمل رائع، لم يتصور قط أنه سيحظى بعمل سهل كهذا. كان دوماً متسلحاً بما يحمله فوق ظهره طوال النهار، الآن هو يرتدي بدلة خاصة للعمل، نظيفة، نظيفة حقاً، في الواقع تبدو له نظيفة بشكل غير معقول. شعر بأنه وليد جديد للتو يخرج إلى العالم ساعة ارتدتهاه أول مرة، حتى إنها مزخرفة عند الأطراف، وعليها شعار في الصدر، يقولون شعار الدائرة، لا يهم، إنه فخور جداً، صور نفسه كثيراً، أرسل الصور إلى أمه، زوجته حملت الصور إلى الجارات، تغفظهن: زوجها أبيق.

الساعة الثامنة صباحاً، يرن الهاتف (ترن ترن) يسرع لالتقاط السماعة:

- نعم سيد؟

- يرد عليه صوت امرأة.

- نعم، أحضر لي الشاي.

- سكر، أو من دون سكر سيدتي؟

- سكر.

- وفي أي غرفة سيدتي؟

- 13.

- في الحال سيدتي.

يجب أن يكون كل شيء نظيفاً، المهم النظافة، النظافة. يغسل الكوب جيداً، يغسله مراراً، يحضر الشاي بالمقادير المطلوبة، نبهوهم قبل بدء العمل أن مقادير الشاي هنا تختلف عما اعتاده هناك، وهناك أية مقادير كانت نعمة مبالغة، هنا الأشياء دقيقة أكثر، وإن لم يعجبك

كوب شاييك بإمكانك أن تسكبه. صحيك كثيراً عند هذه الفكرة، كيف لأحد أن يسكب كوب شاي ساخناً فيه سكر لذين، وحليب غني، فقط لأن السكر زاد قليلاً أو نقص؟ «غريب، غريب» يهز رأسه متعجباً من عجائب الدنيا التي بدأ يتعرفها ساعة مغادرته بيته، ويضحك حين يتذكر أنه يسميه بيته. هناك، حتى حين تدخل بيتك تظل مكسوفاً على الجميع، يختبئ الناس هنا خلف جدران حقيقة. يتخيل لو امتلك فرصة كهذه، ربما كانت زوجته ستكتف عن تأنيبه. يضع كوب الشاي على صينية التقديم، يتأكد من نظافة كل شيء، لا (بقع)، تذكرة تعليمات المسؤول «لا بقع على الأكواب أو الصوانى»، يتأمل جيداً، يرى صورته تعكس على سطح الصينية. رائع! .. يسير فخوراً بنفسه. لا بقع. سيكتب في الرسالة القادمة إلى زوجته، «تخيلي! مهم ألا توجد أية بقعة من أي نوع، حتى بقعة الشاي نفسه، مهم ألا تقع على الصينية، تخيلي ينتبهون لذلك! وهذا يزعجهم، تخيلي، يزعجهم جداً! آه لو أحاسبك على كل البقع في الأواني، كنت طلقتك منذ زمن».

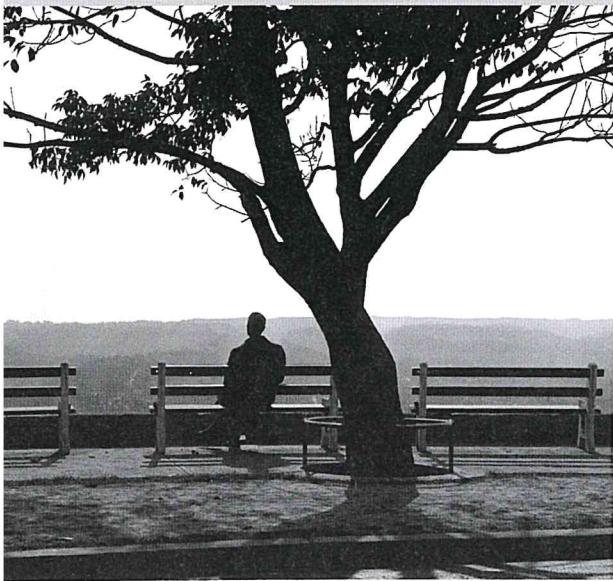
تذكرة، ألا أواني لديها، فقط إناءان، وعلى أية حال ما كانت أية بقع لظهور على سطحها الصديء. «هذه من مميزات ألا تمتلك أشياء كثيرة، لا تضطر لأن تقلق على البقع»! يسير فخوراً باستنتاجه هذا، ويشعر بالحكمة. أمه دوماً أمنت أن مستقبله سيكون زاهراً، كان ولدًا حكيمًا، يقول دوماً الأشياء الصحيحة في الوقت المناسب، أو حين يتتوفر وقت لقول أي شيء.

على باب الغرفة رقم 13 يقف بتهيب، يتذكر هل يجب أن يلقى التحية أو فقط يدخل بهدوء؟ «مرحباً سيدتي» يلقىها بهدوء، لا يتلقى ردًا. يتطلع إلى المكتب. لا مكان لوضع كوب الشاي، منشغلة هي بالهاتف وبشاشة الحاسوب، يقف قليلاً متفكراً، يزبح بعض الأوراق قليلاً، يحمل كوب الشاي، ويتتبه أن في حافة الكوب بقعة شاي صغيرة، لابد أنها اندلقت في الطريق، ترتجف يده، يتضرع في سرّه ألا تتتبه لها، تبدو المسافة من الصينية حتى سطح المكتب بعيدة، شعر بأنه يسافر إلى الفضاء في رحلة مصريرية. يضع الكوب بتأن على المكان الذي وفره له. تحرك الموظفة يدها لأخذته، تتحرك أكواام الأوراق، تصطدم بكوب الشاي، ينسكب الشاي على كل شيء، ويمتلئ المكان بالبقع، يقف مشدوهاً، يظل واقفاً، يرتجف مثل ورقة شجر سقطت في يوم ريح عاصف. ماذا بوسعي أن يفعل أمام كل هذه

البقع؟ شدّدوا كثيراً على أن (لا بقع)، لا بقع على الأكواب، على الصّوانى، لكن هذه بقع في كل مكان! على الأوراق، وسطح المكتب، وثوب الموظفة. يشعر بالغرق، وبلزوحة في قلبه.

في اليوم التالي، كان عليه تسليم البذلة المزخرفة الجديدة لآخر يقف في طابور طويل يمتد دون كلل.

أدب السير والرحلات





السّيِّرَةُ الْأَدْبَرِيَّةُ

السّيِّرَةُ فِي الْلُّغَةِ هِي السُّنَّةُ، وَالسّيِّرَةُ: الطَّرِيقُ. يَقُولُ: سَارَ بِهِمْ سِيرَةً حَسَنَةً. وَالسَّيِّرَةُ: الْهَيَّئَةُ. وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (طه): (قَالَ خُذُوهَا لَا تَخْفَ سَنْعِيْدُهَا سِيرَتَهَا أَلْأُولَى). (٢١)

وَالسّيِّرَةُ الْأَدْبَرِيَّةُ: فَنَّ جُوهرُهُ التَّوَاصُلُ الْلُّغُويُّ، يَتَناولُ حِيَاةً إِنْسَانًا مَا تَنَاوَلَ أَيْضًا يَقْصُرُ أَوْ يَطُولُ. وَعَرَّفَهَا بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا «السُّرُدُ الْمُتَابِعُ لِدُورَةِ حِيَاةِ شَخْصٍ»، وَذَكَرَ الْوَقَائِعُ الَّتِي جَرَتْ لَهُ فِي أَنْتَاءِ مَرَاحِلِ هَذِهِ الْحِيَاةِ.

وَتَقْسِيمُ السّيِّرَةِ الْأَدْبَرِيَّةِ إِلَى سِيرَةٍ ذَاتِيَّةٍ، وَسِيرَةٍ غَيْرِيَّةٍ.

فَالسّيِّرَةُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي يَكْتُبُهَا الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ.

أَمَّا السّيِّرَةُ الغَيْرِيَّةُ: فَهِيَ الَّتِي يَكْتُبُهَا كَاتِبٌ مَا عَنْ شَخْصٍ آخَرَ، فَهِيَ تَرْجِمَةُ حِيَاةِ شَخْصٍ عَنْ طَرِيقِ الشَّوَاهِدِ وَالشَّهَادَاتِ وَالْوَثَائِقِ.

وَيَتَحَتَّمُ عَلَى كَاتِبِ السّيِّرَةِ الذَّاتِيَّةِ أَنْ يَكُونَ مُوْضِوِعِيًّا فِي نَظَرَتِهِ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَذَكُّرُ مَوْقِفَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْحَوَادِثِ . وَعَلَى كَاتِبِ السّيِّرَةِ الغَيْرِيَّةِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُوْضِوِعِيًّا، وَأَنْ يَقْفَ مَوْقِفَ الشَّاهِدِ، لَا الْقَاضِيِّ . وَلَذِلِكَ يَعْدُ الصَّدْقَ مِنْ أَهْمَ شُرُوطِ كِتَابَةِ السّيِّرَةِ الْأَدْبَرِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَ الصَّدْقُ مِنْ أَهْمَ شُرُوطِ كِتَابَةِ السّيِّرَةِ الْأَدْبَرِيَّةِ فَإِنَّ الْمُتَعَنةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَتِ السّيِّرَةُ عَنْ شَخْصِيَّةٍ فَذَّةٍ، عَاشَتْ حِيَاةً غَنِيَّةً بِالْأَحْدَاثِ وَالْمَوَاقِفِ، أَوْ كَانَتْ عَنْ شَخْصِيَّةٍ مِبْدِعَةٍ فِي أَيِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالِاتِ الْفَنُونِ وَالْعِلُومِ.

وَيَعْدُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَوْلَى مَنْ اسْتَخَدَمَ كَلِمَةً «السّيِّرَةُ» فِي كِتَابِهِ (سِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ) ﷺ، وَلَذِلِكَ تَعْدُ السّيِّرَةُ النَّبُوَيَّةُ أَوْسَعَ مَا فِي التَّرَاجِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَقْدَمَهَا ظَهُورًا، ثُمَّ ظَهَرَتْ تَرَاجِمُ أَخْرَى لِطَبَقَاتِ الصَّحَابَةِ، وَطَبَقَاتِ الْمُؤْسِرِينَ، وَطَبَقَاتِ الشَّعَرَاءِ وَطَبَقَاتِ النَّحَاةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ تَعَدَّدَتِ الْغَايَاتُ مِنْ كِتَابَةِ السّيِّرَةِ الغَيْرِيَّةِ؛ فَقَدْ ارْتَبَطَتِ السّيِّرَةُ الغَيْرِيَّةُ فِي بَدَائِيَّةِ نَشَأَتِهَا بِالتَّارِيخِ، فَمَثَّلَتْ نُوْعًا مِنَ السِّيرِ عَرَفَ بِالسِّيرَةِ التَّارِيَخِيَّةِ الَّتِي رَكَّزَتْ عَلَى رِبَطِ حِيَاةِ الْأَفْرَادِ

بالأحداث التاريخية والواقع والحروب. وهذا النوع من السير قد يتضمن إشارات وعظية وحكماً، إلا أنّ بعد التاريخي يبقى هو الغالب عليها، وتعد سيرة (ابن طولون) للبلوي، وسيرة (عمر بن عبد العزيز) لابن عبدالحكم من الأمثلة على هذا النوع من السير.

ولكن بعض السير الغيرية اتخذت لها غaiات أخرى، فاتجهت نحو الوعظ والتذكرة في أحوال الناس كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي حين قال: «إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب، وجلاء للهم، وتنبيه للعقل، فإنه .. إن شرحت سيرة حازم علمتَ حسن التدبر، وإن قُصّت قصة مُقرّطٍ خوّفت من إهمال الحزم». ولذلك يمكن أن يطلق على هذا النوع من السير السّيرة التعليمية التي لم تكن تتجاوز ذكر مناقب الشخص، وبعض أقواله، وموافقه؛ ككتاب «الحسن البصري وزهرده ومواعظه» لابن الجوزي.

يضاف إلى هاتين الغایتين غایة ثالثة كان لها دور كبير في كتابة السير الغيرية، تمثلت في تلبية حاجة الناس إلى السمر والفكاهة والإدهاش؛ فكثير من السير كانت عبارة عن «مجموعة من القصص والمعامرات تدور حول شخصية واحدة، ويتفاوت فيها الخيال، ولكنها جميعها مسلية، تصاغ في أسلوب مبسط». وقد كان هذا التوجه سبباً في ظهور ما يسمى بالسيرة الخيالية أو الشعيبة التي كانت تنهل من معين الخيال، وتبتعد كثيراً عن رصد الواقع والالتزام بالصدق والحقيقة، ولعل هذا الشكل يتضح بجلاء في سيرة (عترة بن شداد) و(سيف بن ذي يزن).

ولكن هذه الأنواع من السير لا ترقى إلى مستوى السيرة الأدبية التي لها مميزات وشروط فنية خاصة بها.

أما السيرة الذاتية فقد عرفت في العصر الحديث، وصارت فناً مستقلاً بذاته، برع فيها كثير من الأدباء عبر العصور مثل الإمام أبي حامد الغزالى في سيرته الفكرية الفريدة (المنقد من الصال)، وابن خلدون في سيرته (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً)، وأحمد لطفي السيد في سيرته (قصة حياتي)، وعباس محمود العقاد في سيرته (أنا) و(حياة قلم)، وإبراهيم عبد القادر المازنني في سيرته (قصة حياة)، وطه حسين في سيرته (الأيام)، وتوفيق الحكيم في سيرته (زهرة العمر)، وأحمد أمين في سيرته (حياتي)، وميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون)، وبنـت الشاطئ في سيرتها (على الجسر).

اسْمُهَا تجْرِيَةٌ (أُرسِكِينْ كَالدوِيلِ)

في هذه المَرَّةِ، ذَهَبْتُ إِلَى هَنَاكَ فِي أَوَّلِ حَزِيرَانَ/يُونِيُّو، وَخَضَتُ حَرْبًا لَا تَتَهَيِّي مَعَ الدَّبَابِ الْأَسْوَدِ فِي الْفَسَحةِ الْغَایِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ بِتَقْطِيعِ خَشْبِ الْقِيقِ الْصَّلِبِ وَنَشِرِهِ؛ لِيَنْاسِبَ حَجَمَ الْمَوْقِدِ، ثُمَّ تَعْرِيَضِهِ لِلشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ؛ حَتَّى يَجْفَ. كَنْتُ أَقْطَعُ الْحَطَبَ خَلَالَ النَّهَارِ، وَأَعْزُقُ التَّرْبَةَ لِزَرَاعَةِ الْبَطَاطَا وَوقْتَ الْغَرَوْبِ الطَّوِيلِ تَحْتَ سَمَاءِهِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ، وَحِينَ يَخِيمُ اللَّيْلُ أَجْلِسُ لِأَكْتَبُ الْقُصُصَ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ، وَنَظَرًا لِوَقْتِ الْمَكَانِ فِي تِلْكَ النَّقْطَةِ مِنْ خَطِّ الْعَرَضِ، كَانَ ضَوْءُ الْهَهَارِ يَمْتَدُ حَتَّى السَّاعَةِ الْثَالِثَةِ فَجَرًًا، حِينَ أَخْلُدُ لِلنَّوْمِ بَضْعَ سَاعَاتٍ. بَدَالِي أَنَّ الْوَقْتَ يَمْرُّ بِسُرْعَةِ، وَأَنَّ هَنَاكَ كَثِيرًا أَعْمَلَهُ، حِينَ قَمَتُ فِي بَعْضِ الْلَّيَالِي بِإِيقَافِ عَقَارِبِ السَّاعَةِ أَوْ إِعادَتِهَا إِلَى الْوَرَاءِ بَيْنَمَا أَطْبَعُ عَلَى الْآلِهِ الْكَاتِيَّةِ.

كَتَبْتُ عَشْرَاتِ الْقُصُصِ الْقَصِيرَةِ خَلَالَ السَّنَةِ الْفَائِتَةِ، فِي (ماونتْ فِيرْنُونْ، وَأُوْغُسْتا، وَمُورْغَانَا، وَبِالْتِيمُورِ)، وَشَعَرْتُ بِأَنَّ مَسْتَوَاهَا الْفَنِيَّ يَتَحَسَّنُ بِاَطْرَادِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَلِ غَدَّتْ قَابِلَةً لِلْقِرَاءَةِ عَلَى نَحْوِ أَفْضَلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنِّي أَصْبَحْتُ قَادِرًا عَلَى تَشْكِيلِ وَصِيَاغَةِ الْأَحْدَاثِ الْمُتَخَيَّلَةِ ضِمَّنَ نَمْطِ الرَّوَايَةِ الَّذِي يَتَجُّزِّ التَّأْثِيرَ الَّذِي أَرْدَتُهُ فِي كَفَارِيِّ. حَاوَلْتُ الْكِتَابَةَ وَأَنَا أَفْكُرُ بِنَفْسِي كَفَارِيِّ فَقَطْ، وَكَانَمَا لَنْ يَكُونَ هَنَاكَ سَوَاءِ لِيَقْرَأُهَا، مَؤْمَنًا بِأَنَّ الْكَاتِبَ ذَاتَهُ يَجْبُ أَنْ يَرْضَى عَنِ الْقَصَّةِ قَبْلَ الْآخَرِينَ. وَلَمْ أَكُنْ مُؤْمَنًا بِقَدْرِتِي عَلَى تَحْلِيلِ الْقَصَّةِ كَنَاقِدٍ، بَلْ كُنْتُ مُتَشَكِّكًا، وَسَيِّئَ الظَّنُّ بِالْتَّائِجِ، وَلَكِنْ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ بَحْثَتُ عَنْ تَكْيِيفِ الشَّعُورِ وَالْإِحْسَاسِ فِي الْقَصَّةِ، مُقْدَرًا تَأْثِيرَهَا الْوَجْدَانِيَّةَ عَلَى التَّوازِنِ الدَّاخِلِيِّ. وَإِذَا مَا اجْتَذَبَتِنِي الْقَصَّةُ الَّتِي كَتَبْتُهَا بِقُوَّةِ، بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الْاِنْسِجَامِ مَعَ أَسْلُوبِ الْقَصَّةِ الْتَّقْلِيدِيِّ، كُنْتُ أَشْعُرُ بِرَضَا كَبِيرٍ عَنِ التَّيْجَةِ. وَأَمَّلَتْ بِأَنَّهُ سِيَّاتِي الْوَقْتُ الَّذِي يَقْبُلُ الْآخِرُونَ - بِمِنْ فِيهِمُ الْمُحَرَّرُونَ وَالنَّاشرُونَ - أَسْلُوبَ الَّذِي أَسْتَخْدِمُهُ بِاعْتِبَارِهِ الْوَسِيلَةِ الْوَحِيدَةِ الْمُمْكِنَةِ لِكِتَابَةِ ذَلِكَ التَّوْعِيْخِ الْخَاصِّ مِنَ الْقَصَّةِ، بِقَلْمِي أَوْ بِقَلْمِ غَيْرِي؛ لِخَلْقِ الإِحْسَاسِ الْمُشِيرِ الَّذِي تَعْطِيهِ.

ما حظي بالقدر نفسه من الأهمية بالنسبة لي هو الإيمان بأنَّ المضمونَ/ المحتوى يتمتع

* أُرسِكِينْ كَالدوِيلِ، اسْمُهَا تجْرِيَةٌ، ترجمة: معين الإمام، دار المدى، سوريا، الطبعة الأولى، 2006، صفحة 52-56.

بقيمةٍ أعظمَ منَ الأسلوبِ / الشكّلُ الذي كتّبْتُ فيه القصّةَ؛ نظرًا لما يترّكُهُ منْ تأثيرٍ طويلاً الأمدِ في القاريءِ، فالمضمونُ هو مادةُ القصّةِ الأساسيةُ، الأمورُ الحياتيّةُ التي يرويها الكاتبُ، وأفكارُ النّاسِ وطموحاتُهم في كلّ مكانٍ، ونوعيّةُ الشّخصوصِ الطّبيعيّةُ التي لم توجّدْ على الأرضِ أبداً، لكنّها توهمُ القاريءَ بأنّها تمثّلُ أشخاصاً واقعىينَ مِنْ لحمٍ ودمٍ.

إذن، لمْ أكنْ أكتبْ عنْ أشخاصٍ واقعىينَ، بلْ عنْ أفعالٍ ورغباتٍ أشخاصٍ متخيّلينَ، تصوّرُهمُ القصّةُ أو الروايةُ الناجحةُ بأسلوبٍ مقنعٍ حيثُ يظهرونَ وكأنّهمُ أكثرُ واقعىةً منَ الأشخاصِ الحقيقيّينَ، وإلا لِنْ يجمعَ الأشخاصَ في الرواياتِ والقصصِ القصيرةِ سوى شبهٍ سطحيٍّ بسيطٍ بالبشرِ. لقد سعيتُ جاهداً في الأسلوبِ الذي كتّبْتُ فيه أنَّ آخذَ منَ الحياةَ - مباشرةً - تلكَ الصّفاتِ والسماتِ المميّزةَ للرّجالِ والنساءِ التي تُتّبعُ بطريقةٍ معبرةٍ تحتَ الظّروفِ والشروطِ التي سأقومُ بابتکارِها الشّخصياتِ المثالىَّةَ للقصّةِ التي أريدهُ إبداعُها. ومنَ النادرِ، إنْ لمْ يكنْ منَ المستحيلِ ألا تكونَ هذهِ الشّخصياتُ المتخيّلةُ مركبةً.

خلالَ هذهِ الفترة (1927) بدأتُ تلقّي ملحوظاتٍ وتعليقاتٍ قصيرةٍ بتكرارٍ أكبَرَ منَ المحرّرينَ بدلاً منَ الرّفضِ المطلقِ الصّريحِ، وبالرّغمِ منْ عدمِ قيامِ أيّةٍ مجلّةٍ بقبولِ ونشرِ قصّةٍ لي بشكّلٍ فعلّيٍّ، إلا أنَّ بعضَ المحرّرينَ كانوا بينَ حينٍ وآخرٍ يرفضونَ نشرَ أعمالِي، ويرفّقونَ رفضَهُمُ بتعليقٍ عليها.

لكنْ بدا هنا لي على الدّوامِ شيءٌ يمنعُ قصّتي منَ النّشرِ: طويلةٌ جدّاً، وجيزةٌ جدّاً، كُتّبْتُ بأسلوبٍ غيرِ نظاميٍّ، مغاليةٌ في الخيالِ والبعدِ عنِ الواقعِ بالنسبةِ لنوعيّةٍ محدّدةٍ منَ القراءِ، مبالغةٌ في واقعّيتها في التّمثيلِ والعرضِ بالنسبةِ لأدواتِ هيئةِ التّحريرِ، وكانَ منَ المفاجئِ أنْ تظهرَ كُلُّ هذهِ الأساليبِ المنطقيةِ والمتكلّفةِ لرفضِ قبولِ أعمالِي.

علاوةً على كُلِّ هذهِ الرّدودِ المهدّبةِ التي رفضَ منْ خلاّلها رؤساءُ التّحريرِ نشرَ أعمالِي في صحفِهمِ ومجلّاتهمِ، تلقّيتُ بعضَ النّصائحِ أحياناً. لمْ أكنْ معادياً للنّصائحِ منْ حيثُ المبدأ، طالما تساوّقَ في الغالبِ معَ ما أقومُ به، لكنْ بدا دائمًا بالنسبةِ لي أنَّ النّصائحَ التي تلقّيَتها قدْ قصدَ بها بالتأكيدِ شخصٌ آخرُ، ووُجّهَتْ إلىَ طريقِ الخطأِ.

نصحني أحدُ المحرّرينَ بإجراي دراسةٍ دقيقةٍ لنوعِ القصصِ التي تُنشرُ في مجلّتهِ، وأنَّ أحاوَلَ الاقترابَ منهُ ما أمكنَ. وقالَ آخرُ: إنَّ هناكَ مستقبلاً جيّداً في انتظارِ المقالاتِ التي تتناولُ

بعض المهن الحرفية المعينة، مثل: زخرفة المنازل، وتغطية الأرضيات، وتصميم الأثاث، بل وصلَ ثالثُ إلى حدٍ كتابة رسائل مطولة ينصُّحني فيها بالتوقف عن كتابة القصص القصيرة، مشيراً إلى أنّي لن أتمكن - برأيه - من النجاح في هذا المجال أبداً، وأنَّ الإلحاح العنيف والمؤلم سوف يجعل إخفاقي النهائي أصعب من أن أحتمله.

كان كُلُّ ذلك بمثابة مراسلاتٍ مثيرٍ زوّدتني بشيءٍ أتطلعُ لتلقّيه بالبريد، لكنّها لم تكن واعده، ولا تقدّم ما يكافيُ جهدي المبذول. ومن أجلِ أنْ تصل عشراتُ القصص إلى مكاتب المحرّرين باستمرارٍ، توَجَّب على الحفاظ على كميةٍ من طوابع البريد، كما كان على تلبية بعض الحاجاتُ الحياتيَّة شبيهِ الضروريَّة، مثل السُّكَّر والملح والأذية التي لم أكن أرغبُ بحرمانِ عائلتي منها. وحينَ كنتُ أحتاجُ المال، لم يكن أمامي سوى ملء حقيبتي سفرٍ بنسخ الكُتب التي قُمتُ بمراجعةِها، وركوبِ الحافلة إلى (بوسطن)، وزيارة متجرِ الكتب المستعملة، ولربما لم تبدئ هذه الممارسة نشاطاً بيع الكتب بسعرِ خمسةٍ وعشرينَ ستةً - في أمريكا، لكنّي أسهمتُ في انطلاقتها في (بوسطن).

الأيام

طه حسين

كانَ مِنْ أَوْلَى أُمْرِهِ طُلْعَةً لَا يَحْفَلُ بِمَا يَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ فِي سَبِيلٍ أَنْ يَسْتَشْكِفَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَكُلُّهُ كَثِيرًا مِنَ الْأَلْمِ وَالْعَنَاءِ، وَلَكِنَّ حادِثَةً وَاحِدَةً حَدَّتْ مِيلَهُ إِلَى الْاسْتِطْلَاعِ، وَمَلَأَتْ قَلْبَهُ حَيَاءً لَمْ يَفْارِقْهُ إِلَى الْآنَ. كَانَ جَالِسًا إِلَى الْعَشَاءِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ وَأَبِيهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ كَعَادِتِهَا تَشْرِفُ عَلَى حَفْلَةِ الطَّعَامِ، تَرْشِدُ الْخَادِمَ، وَتَرْشِدُ أَخْوَاتِهِ الْلَّائِي كُنَّ يَشَارِكُنَّ الْخَادِمَ فِي الْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّاعُومَةِ. وَكَانَ يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَلَكِنَّ لِأَمْرِ مَا خَاطَرَ لَهُ خَاطِرٌ غَرِيبٌ، مَا الَّذِي يَقْعُدُ لَوْ أَنَّهُ أَخَذَ الْلَّقْمَةَ بِكُلِّتِيَّتِهِ بَدِيلًا أَنْ يَأْخُذَهَا كَعَادِتِهِ بِيَدِهِ وَاحِدَةً؟ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ؟ لَا شَيْءٌ.

وَإِذْنُ، فَقَدْ أَخَذَ الْلَّقْمَةَ بِكُلِّتِيَّتِهِ، وَغَمَسَهَا مِنَ الطَّبِقِ الْمُشَتَّرِكِ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى فِيمِهِ. فَأَمَا إِخْوَتُهُ فَأَغْرَقُوا فِي الضَّحِكِ، وَأَمَا أُمُّهُ فَأَجْهَسَتْ بِالْبَكَاءِ، وَأَمَا أَبُوهُ فَقَالَ فِي صُوتٍ هادِئٍ حَزِينٍ: مَا هَكُذَا تَؤَخِّذُ الْلَّقْمَةَ يَا بُنْيَّ... وَأَمَا هُوَ فَلَمْ يَعْرِفْ كِيفَ قَضَى لَيْلَتَهُ.

مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقيَّدَتْ حَرَكَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّزْانَةِ وَالْإِشْفَاقِ وَالْحِيَاءِ لَا حَدَّلَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ عَرَفَ لِنَفْسِهِ إِرَادَةً قَوِيَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ حَرَمَ عَلَى نَفْسِهِ الْحَسَاءَ وَالْأَرْزَ وَكُلَّ الْأَلْوَانِ الَّتِي تُؤْكِلُ بِالْمَلَاعِقِ؛ لَأَنَّهُ كَانَ يَعْرُفُ أَنَّهُ لَا يُحِسِّنُ اصْطِنَاعَ الْمِلْعَقَةِ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَضْحَكَ إِخْوَتُهُ، أَوْ تَبْكِيَ أُمُّهُ، أَوْ يُعَلِّمَهُ أَبُوهُ فِي هَدْوَءٍ حَزِينٍ.

هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَعْنَتْهُ عَلَى أَنْ يَفْهَمَ حَقًّا مَا تَحْدَثَ بِهِ الرِّوَاةُ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ مِنْ أَنَّهُ أَكَلَ ذَاتَ يَوْمِ دِبْسًا، فَسَقَطَ بَعْضُهُ عَلَى صَدِرِهِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي فَلِمَّا خَرَجَ إِلَى الدَّرْسِ قَالَ لِهُ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ: يَا سَيِّدِي أَكَلْتَ دِبْسًا؟ فَأَسْرَعَ بِيَدِهِ إِلَى صَدِرِهِ وَقَالَ: نَعَمْ، قَاتَلَ اللَّهُ الشَّرَةَ! ثُمَّ حَرَّمَ الدِّبْسَ عَلَى نَفْسِهِ طَوَالَ الْحَيَاةِ.

وَأَعْنَتْهُ هَذِهِ الْحَادِثَةُ عَلَى أَنْ يَفْهَمَ طَورًا مِنْ أَطْوَارِ أَبِي الْعَلَاءِ حَقًّا الْفَهْمِ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ كَانَ يَسْتَرُّ فِي أَكْلِهِ حَتَّى عَلَى خَادِمِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ فِي نَفْقَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَكَانَ يَأْمُرُ خَادِمَهُ أَنْ يُعَدَّ لَهُ طَعَامَهُ فِي هَذَا النَّفْقِ ثُمَّ يَخْرُجُ، وَيَخْلُو هُوَ إِلَى طَعَامِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَشْتَهِي. وَقَدْ

زعموا أنَّ تلاميذه تذاكروا مرَّةً بِطِينَ حلبٍ وجودَتُهُ، فتكلَّفَ أبو العلاء وأرسلَ إلى حلبٍ من اشتري لهم منه شيئاً فأكلوا، واحتفظَ الخادمُ لسيده بشيءٍ من البِطِينَ وضعَهُ في النَّفَقِ، وكأنَّه لم يضعَهُ في المكانِ الذي تعودَ أن يضعَ فيه طعامَ الشَّيْخِ، وكرِه الشَّيْخُ أنْ يسألَ عن حظِّهِ من البِطِينِ، فلبَّى البِطِينَ في مكانِه حتَّى فسدَ، ولمْ يذقْهُ الشَّيْخُ.

فَهِمَ صَاحِبُنا هَذِهِ الْأَطْوَارَ مِنْ حِيَاةِ أَبِي الْعَلَاءِ حَقَّ الْفَهْمِ؛ لَاَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ فِيهَا، فَكُمْ كَانَ يَتَمَنِّي طَفَلًا لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْلُو إِلَى طَعَامِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِرُّ عَلَى أَنْ يُعْلَمَ إِلَى أَهْلِهِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ، عَلَى أَنَّهُ خَلَا إِلَى بَعْضِ الطَّعَامِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً، ذَلِكَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمِنْ أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ الْحَافِلَةِ، حِينَ كَانَ أَهْلُهُ يَتَخَذُونَ أَلوَانًا مِنَ الطَّعَامِ حَلْوةً، وَلَكِنَّهَا تَؤْكِلُ بِالْمَلَاقِعِ فَكَانَ يَأْبَى أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا عَلَى الْمَائِدَةِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَكْرُهُ لَهُ هَذَا الْحِرْمَانَ، فَكَانَتْ تَفَرُّدُ لَهُ طَبِقًا خَاصًّا، وَتُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَجَرَةِ خَاصَّةٍ، يَغْلُقُهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ حتَّى لا يَسْتَطِعَ أَحَدٌ أَنْ يُشَرِّفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْكُلُ.

عَلَى أَنَّهُ عِنْدَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْلِكَ أَمْرَ نَفْسِهِ اتَّخَذَ هَذِهِ الْخَطَّةَ لِهُ نَظَامًا، بَدَأَ بِذَلِكَ حِينَ سَافَرَ إِلَى أُورُوبَا لِأَوْلِ مَرَّةٍ، فتكلَّفَ التَّعَبَ، وَأَبَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَائِدَةِ السَّفِينَةِ، فَكَانَ يُحْمَلُ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فِي غُرْفَتِهِ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى فَرَنْسَا فَكَانَتْ قَاعِدَتُهُ إِذَا نَزَلَ فِي فَنْدِقٍ أَوْ فِي أَسْرَةٍ يُحْمَلُ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فِي غُرْفَتِهِ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّفَ الذَّهَابُ إِلَى الْمَائِدَةِ الْعَامَةِ، وَلَمْ يَتَرَكْ هَذِهِ الْعَادَةَ إِلَّا حِينَ خَطَبَ قَرِينَتَهُ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عَادَاتِ كَثِيرٍ قَدْ أَلْفَهَا.

هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَخَذَتْهُ بِالْوَانِ الشَّدَّةِ فِي حِيَاتِهِ، جَعَلَتْهُ مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي حِيَاتِهِ، جَعَلَتْهُ مَضْرِبَ الْمَثَلِ بَيْنَ الَّذِينَ عُرِفُوهُ حِينَ تَجاوزَ حِيَاةَ الْأُسْرَةِ إِلَى الْحِيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، كَانَ قَلِيلُ الْأَكْلِ، لَا لَاَنَّهُ كَانَ قَلِيلُ الْمَيِّلِ إِلَى الطَّعَامِ؛ بِلَ لَاَنَّهُ كَانَ يَخْشَى أَنْ يُوصَفَ بِالشَّرِهِ أَوْ أَنْ يَتَغَامِرَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ، وَقَدْ آلَمَهُ ذَلِكَ أَوْلَ الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبِسْ أَنْ تَعُودَهُ حَتَّى أَصْبَحَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ. كَانَ يُسْرِفُ فِي تَصْغِيرِ الْلَّقْمَةِ، وَكَانَ لَهُ عَمُّ يَغِيظُهُ مِنْهُ كَلْمَارَاهُ، فَيَغْضِبُ، وَيَنْهُرُ، وَيُلْعُّ عَلَيْهِ فِي تَكْبِيرِ الْلَّقْمَةِ، فَيَضْحَكُ إِخْوَتُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبِيلًا فِي أَنْ كَرِهَ عَمَّهُ كُرْهًا شَدِيدًا.

كان يستحي أن يشرب على المائدة مخافة أن يضطرب القدر من يده، أو لا يحسن تناوله حين يقدّم إليه، فكان طاعمه جافاً ما جلس على المائدة، حتى إذا نهض عنها لغسل يديه من حقيقة كانت هناك شرب من مائتها ما شاء الله أن يشرب، ولم يكن هذا الماء نقياً دائماً، ولم يكن هذا النوع من رمي الظما ملائماً للصحة؛ فانتهى به الأمر إلى أن أصبح معموداً، وما استطاع أحد أن يعرف بذلك سبباً.

ثم حرم على نفسه من ألوان اللعب والعبث كل شيء، إلا ما لا يكلفه عنا، ولا يعرضه للضحك أو الإشراق، فكان أحبت اللعب إليه أن يجمع طائفه من الحديد، ويتناول بها زاوية من البيت؛ فيجمعها ويفرّقها، ويقرع بعضها ببعض، ينفق في ذلك ساعات، حتى إذا سئمه وقف على إخوته أو أترابه وهم يلعبون، فشاركونه في اللعب بعقله لا بيده، وكذا عرف أكثر ألوان اللعب دون أن يأخذ منها بحظٍ، وانصرافه هذا عن العبث حبٌ إليه لوّا من ألوان اللهم؛ هو الاستماع إلى القصص والأحاديث؛ فكان أحبت شيء إليه أن يسمع إنشاد الشاعر، أو حديث الرجال إلى أبيه، والنساء إلى أمّه، ومن هنا تعلم حسنه الاستماع.

وكان أبوه وطائفه من أصحابه يحبون القصص حباً جماً، فإذا صلوا العصر اجتمعوا إلى واحدٍ منهم يتلو عليهم قصص الغزوات والفتح، وأخبار عترة والظاهر بيبرس، وأخبار الأنبياء والنساك والصالحين، وكتبوا في الوعظ والسنن، وكان صاحبنا يقدّم منهم مزجراً الكلب وهم عنه غافلون، ولكن لم يكن غافلاً عما يسمع، بل لم يكن غافلاً عما ترکه هذه القصص في نفوس السامعين من الآخر، فإذا غربت الشمس تفرق القوم إلى طعامهم، حتى إذا صلوا العشاء اجتمعوا فتحذّروا طرقاً من الليل، وأقبل الشاعر، فأخذ ينشدُهم أخبار الهلاليين والزناتيين، وصاحبنا جالس يسمع في أول الليل كما كان يسمع في آخر النهار.

والنساء في قرى مصر لا يحبّن الصمت، ولا يملّن إليه؛ فإذا خلقت إحداهن إلى نفسها ولم تجد من تحدث إليه، تحدثت إلى نفسها ألواناً من الحديث، فغنت إن كانت فرحة، وعدّدت إن كانت محزونة، وكل امرأة في مصر محزونة حين تريد.

وأحبت شيء إلى نساء القرى إذا خلّون إلى أنفسهن أن يذكّرن آلامهن وموتاهم فيعدّدن،

وَكَثِيرًا مَا يَتَهَيِّي هَذَا التَّعْدِيدُ إِلَى الْبَكَاءِ حَقًّا، وَكَانَ صَاحِبُنَا أَسْعَدَ النَّاسِ بِالْاسْتِمَاعِ إِلَى أَخْوَاتِهِ وَهُنَّ يَتَغَنَّنُنَّ، وَأَمَّهُ وَهِيَ تَعْدُّ، وَكَانَ غَنَاءُ أَخْوَاتِهِ يَغْيِظُهُ وَلَا يَتَرُكُ فِي نَفْسِهِ أَثْرًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَجْدُهُ سَخِيفًا لَا يَدْلُلُ عَلَى شَيْءٍ، فِي حِينٍ كَانَ تَعْدِيدُ أُمِّهِ يَهْزُّهُ هَرَزاً عَنِيفًا، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُكِيِّهِ، وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ حَفْظَ صَاحِبُنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَغَانِيِّ، وَكَثِيرًا مِنَ التَّعْدِيدِ، وَكَثِيرًا مِنْ جِدِّ الْقُصُصِ وَهَزْلِهِ، وَحَفْظَ شَيْئًا آخَرَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ هَذَا كُلُّهُ صِلَةً؛ وَهِيَ الْأُورَادُ الَّتِي كَانَ يَتَلَوُهَا جَدُّهُ الشَّيْخُ الضَّرِيرُ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ أَمْسَى.

ذكريات مدرسية عبد القادر المازني

سأقتصر في هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهدي كنت فيه تلميذاً، وعهدٍ تالٍ كنت فيه مُدرّساً.

وسأكتفي بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التي تغنى عن التفاصيل، ولست أرمي إلى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر. فمثلاً يمكن بسهولة أن تصوّروا حال التعليم الابتدائي إذا قلت: إنَّ تلميذاً كان معنا في المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعيّن في السنة التالية مدرساً لنا في السنة الرابعة التي تعد لنيل الشهادة الابتدائية، وأبلغ من هذا في الدلالة أنَّه كان يدرس لنا ما كان يسمى (الأشياء) وهي عبارة عن معارف عامَّة، وكان تدرِيسها يومئذ باللغة الإنجليزية. وأرسم خطأ آخر تتمُّ به الصورة فأقول ما قلت في فصل آخر: إنَّ ناظرنا كان يقول عن نفسه إِنَّه جاهل، جاهل، ولكنه إداري!

والآن أنتقل إلى طائفة أخرى من الصور للمدراس الثانوية.

كان التعليم الثانوي انتقالاً بأدق المعاني، فقد صار كلّ من في المدرسة إنجليزياً -الناظر والمدرسوون والعلميون- ما عدا اللغة العربية.

وأنا إلى هذه اللحظة لا أعرف كيف كنت أنجح في الامتحانات؟! وأكبر ظني أنهم كانوا يترفّقون بنا، ويعطّفون علينا، ويتساهلون معنا، ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء. وأدع غيري، وأقتصر على نفسي فإنّي أعرف بها، فأقول: إنّي ما استطعت قط أن أفهم علوم الرياضة، أو أن أقدر فيها على شيء، ومع ذلك كنت أنتقل من سنة إلى أخرى بلا عائق. وكان الأساتذة يختلفون: فمنهم الفظُّ ومنهم الرقيق. وأذكر أن أحدّهم كان يذكّري درسه بالكتاب الذي حفظت فيه القرآن الكريم فقد كان ي ملي درس الجغرافيا، فإذا كان الدرس التالي طالبنا به محفوظاً عن ظهر قلب، وكان يقف أمامه التلاميذ يتلون وهو يسمع، ثم يضع في كل ركن واحداً من الحافظين ليتحسن زملاءه. وكنت لا أستطيع أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب فكنت أحبس بعد كل درس في الجغرافيا، حتى كرهتها وكرهت حياتي كلها

بسبيها.

وكان لنا مدرس آخر من أظرف خلق الله، وأرقهم حاشية، وأعففهم لفظاً، فكان إذا ساءه من أحدهنا أمر وأراد أن يوبّخه، قال له: تهّجّ كلمة بليد مثلاً أو غير ذلك، كراهة منه لإسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة. ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسهَا في الوقت الحاضر، ولكنّا كنّا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزّمان لا أدرى لماذا؟! وكان المفتّش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله، وكان من أعلم خلق الله بها، وبالصرف على الخصوص، وكان رجلاً طيباً وقوراً مهيباً، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعوه الشيخ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك، بل نراه أمراً طبيعياً جداً.

وأعتقد أنّ منظر أساتذتنا وهم يقبّلون يد الشيخ حمزة كان أهمّ ما غرس في نفوسنا حب معلّمينا وتوقيرهم، فإني إلى هذه الساعةأشعر بحنين إلى هؤلاء المعلّمين، ولا يسعني إلا إكبارهم حين ألقى بوحد منهم.

ومن لطائف الشيخ حمزة أنه كان يقول ملاحظاته للمعلم على مسمع منّا، ولكنه كان لا يكتب في تقريره إلى الوزارة إلا خيراً. وقد اتفق لي بعد أن تخرّجت في مدرسة المعلمين وعيّنت مدرّساً في المدرسة السعيدية الثانوية أن جاء الشيخ حمزة للتّفتيش، فاغتنمت هذه الفرصة، وقلت: (يا أستاذ) ما هو الاسم العربي لهذا الدّخان والتّبغ؟ فقال انتظري يا سيدتي حتى أنظر في (الكتّاشة)، وأخرج مما يلي صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا أدرى كيف كانت مختبئاً غير بادية، وقلّب فيها ثم أنشد هذا البيت:

كأنما حتحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شت وطباقي

ومضى عنّي، وفكّرت في الكلمة «الطبق» التي جاءني بها الشيخ، فاستحسنتها، ورأيت أنها على العموم خير من الكلمة «تبغ» نُعرب بها اللّفظ الإنجلزيّ أو الفرنسيّ (توباك أو توباكي).

ومن حوادث الشيخ حمزة معّي أتّي كنت أؤدي الامتحان الشّفوي في الشّهادة الثانوية، وكان هو رئيساً للجان اللغة العربية، فلما جاء دوري، اتفق أنه كان موجوداً، فلما انتهت المطالعة، وجاء دور المحفوظات، وكان لها مقرر خصوصيّ، سألني ماذا أحفظ؟

وكنت في صباح ذلك اليوم قرأت خطبة قصيرة للنبي ﷺ فعلقت بذهني، وألهمني الله أن

أقول إني أحفظ خطبة للنبي ﷺ. ففرح الشيخ جداً، وخلع حذاءه، وصاح (قلي يا شاطر، اللّه يفتح عليك) وستري الله فلم أخطئ، فاكتفى الشيخ بهذا، وأعفاني من النحو والصرف والإعراب.

ولكنه في مرّة أخرى كاد يضيع علىي سنة، وكنت طالباً في مدرسة المعلمين، وكانت لجنة الامتحان في اللغة العربية برئاسته، فقال أحد إخوانى بعد خروجه من الامتحان: إنّ الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف، ويطلب إلى الطالب أن يتلو الفصل الذي يقع عليه الاختيار، ولم نكن ندرس نحواً ولا صرفاً في المدرسة؛ لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب فأيقنا الفشل، وجاء دورى فجلست أمامه، وناولته كتاب «مقدمة ابن خلدون» فقرأت، ثم سألني عن العدوان، وال فعلين عدا، واعتدى وانتقلنا للماضي المنشى (واعتدى) للأمر، فسألني لماذا كان الماضي بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سبباً، قلت: إنه لا سبب هناك سوى أنّ العرب نطقوا بهما هكذا، فدهش لهذا الجواب وقال: (ولكنّ لهذا سبباً)، قلت: (إنّ اللغة العربية سبقت النحو والصرف، وكلّ هذه القواعد موضوعة بعدها، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإنّ هذا يكفي ولا داعي للبحث عن سبب مختلف). بخناقة من أن تكون علة سقوطى الجهل، وأصررت على رأيي، وكاد يحدث ما لا يحمد له أسطع فغضب، وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه، وحدثت نفسي آنه خير لي وأكرم أن أسقط بخناقة من أن تكون علة سقوطى الجهل، وأصررت على رأيي، وكاد يحدث ما لا يحمد له أسطع أنّ المرحوم الشيخ شاويش - وكان عضواً في اللجنة - تدارك الأمر، فقد نظر في ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة، وقال (العصر وجب يا مولانا). فنهض الشيخ وهو يقول (أي نعم) وذهب للصلاة، ونسيني، فكان في هذا نجاتي، وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتي به.

ولم تكن المواد كثيرة أو طويلة في مدرسة المعلمين، ويكفي أن أقول: إنه كانت لنا في الأسبوع ثمانى ساعات لا نتلقى فيها أي درس، فترك هذا التخفيف وقتاً كافياً للمطالعة الخاصة.. وكان أساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة، ولا يفوّتهم مع التشجيع والتحثّ أن يوجّهونا، وينظموا لنا الأمر، وأحسب أنّ هذا نفعنا جداً.

وقد صرت معلمًا بعد ذلك، وظللت أشتغل بالتعليم عشر سنين، خمساً منها في الوزارة وخمساً في المدراس الحرّة، وفي هذه السنّوات العشر لم أحتج أن أعاقب تلميذًا أو أوبّخه

أو أقول له كلمة ناية. ولم يقصر التّلاميذ في محاولة المعاكسة، ولكنّي كنت حديث عهد بالتلّمذة وبشقاوة التّلاميذ، فكنت أعرف كيف أقمع هذه الرّغبة الطبيعية في الشقاوة، وكانت طريقي أن أجواز عن الذي لا ضير منه، فلا أشغل به نفسي والتّلاميذ، مثال ذلك: أن يحتاج التّلميذ إلى قلم أو نسافة فيطلبها من جاره، ويكلّمه في ذلك، فلا أعدّ هذا الكلام من الذي لا يباح، ولا أقيم ضجّة من أجله. وقد حدث يوماً وأنا مدرب في المدرسة الخديوية أن دخلت غرفة الصّفّ فألفيت على مكتبي كلّ أدوات الرياضة مرصوصة على نحو لا شكّ أنه متعمد، وكان تلاميذي لا يجهلون كرهي للرياضية، وكنت أنا لا أكتمهم أني أعدّ نفسي جاهلاً بها، وكان غرضهم من رصّ هذه الأدوات أن يعابثوني عسى أن أثير الضّجّة التي يشتهرونها، ولا يفوزون مني بها، ولكنّي لم أفعل، بل اكتفيت بأن دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات، ووضعها في مكانها، ثمّ بدأت الدرس. واتفق يوماً آخر أن دخلت الفصل فإذا رائحة كريهة لا تطاق، وكان الوقت صيفاً، والجوّ حارّاً جداً، فضاعف الحرّ شعوري بالتنّغيص من هذه الرّائحة الثقيلة. وأدركت أنها هي المادة التي كنّا نضعها ونحن تلاميذ في الدّواة مع الحبر، فتكون لها هذه الرّائحة المزعجة. فقلت لنفسي: إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد، وإذا كانت الرّائحة الخبيثة تغشى نفسي فإنها تغشى نفوسهم معى أيضاً، فحالهم ليس خيراً من حالى، والإحساس المتعب الذي أعانيه ليس قاصرًا علىي، ولست منفرداً به، وأنّهم الأغبياء؛ لأنّهم أشركوا أنفسهم معى وقد أرادوا أن يفردوني بهذه المحنّة، والفوز في هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصّبر والاحتمال، فتجاهلت الأمر، وصررت أغلق النّوافذ واحدة بعد الأخرى؛ لأزيد شعورهم بالضّيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك، وقد كان. تسبّرت وتشدّدت، ودعوت الله في سري أن يقويني على الاحتمال، ومضيت في الدرس بنشاط وهمّة لأشغل نفسي عمّا أعاني من كرب هذه الرّائحة الكريهة، وكنت أرى في وجوههم في أن يستأندوا الفتح النّوافذ عسى أن تخفّ الرّائحة، ويلطف وقعها.

نصوص الرأي



المقالات



المقالة

المقالة هي قطعة ثرية ذات طول معتدل، يتناول فيها الكاتب بعض القضايا الخاصة أو العامة من وجهة نظره الخاصة، ولذلك تصنف المقالة على أنها من نصوص الرأي؛ لأنها في الغالب تعبّر عن رأي كاتبها في الموضوع الذي يتناوله بالكتابة.

وعلى الرغم من أنّ المقالة نوع حديث من الكتابة، إلا أن لها بذوراً موغلة في القدم في الأدب القديمة؛ إذ يمكن أن نلتمس بذور هذا الفن في الأدب الصيني القديم في أقوال الحكيم (كونفوشيوس)، وفي الأدب اليوناني في كتابات (سقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو).

أما في الأدب العربي القديم فقد ظهرت بذور المقالة في الأدب العربي منذ القرن الثاني للهجرة في الرسائل الأدبية وما تحويه من موضوعات مثل الإخوانيات وما تتضمنه من مناظرات ومسامرات ومواضيعات أخرى تفرد بها الشعر كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف رغم الأسلوب الإنثائي والصنعة اللفظية. وتعتبر رسالة «صفة الإمام العادل» للحسن البصري التي كتبها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بطلب منه واصفاً فيها الإمام (الخليفة) العادل مثلاً جيداً على المقالة الأخلاقية الوعظية.

يقول الحسن البصري:

«اعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِمَامَ الْعَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ، وَقَصْدَ كُلِّ جَائِرٍ، وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ، وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَنَصْفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ، وَمَفْرَغَ كُلِّ مَلْهُوفٍ. وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ -يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- كَالرَّاعِي السَّفِيقِ عَلَى إِنْلِهِ، الرَّفِيقِ بِهَا الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ الْمُرْعَى، وَيَنْدُو دُهَّا عَنْ مَرَاطِعِ الْهَلَكَةِ، وَيَحْمِيهَا عَنِ السَّبَاعِ، وَيُكِنُّهَا عَنْ أَذَى الْحَرَّ وَالْقَرَّ».

وتعتبر (رسالة عبد الحميد الكاتب) إلى الكتاب التي تضع قواعد للكتابة الديوانية وللأخلاق الكاتب قريبة الشبه بالمقالة النقدية الحديثة. ورسالة (سهل بن هارون) إلىبني عمه في مدح البخل وذم الإسراف مثال على المقالة الفكاهية. ورسالة (الصحابة) لابن المقفع مقالة في سياسة الدولة وإدارتها. ورسائل (الجاحظ) وكتبه نموذج حي على المقالة في الأدب القديم. ورسائل (أبي حيان التوحيد) وفصول مقابساته، وكتابه (الإمتاع والمؤانسة) نموذج

للمقالات الفلسفية التأملية والهجائية.

يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة في حوار بينه وبين الوزير بن سعدان حول الوزير الصاحب بن عباد وما يقال في ذمه: «إِنَّ الرَّجُلَ كَثِيرُ الْمَحْفُوظِ، حَاضِرٌ الْجَوَابِ، فَصَبِحَ اللِّسَانُ... إِنَّهُ يَمْدَحُ نَفْسَه بِشِعْرٍ ثُمَّ يُعْطِيه لَمَنْ يُلْقِيه كَأَنَّمَا هُوَ شِعْرٌ قِيلَ فِيهِ مِنْ سِواه، فَهُوَ مُحِبٌ لِلثَّنَاءِ لِدَرَجَةِ الْإِسْرَافِ، وَهُوَ مَزِيجٌ مِنْ عَقْلٍ وَحُمْقٍ».

كل هذه الأمثلة محاولات يمكن أن تدرج تحت أدب المقالة.

أما المقالة في العصر الحديث فقد ارتبطت بظهور الصحافة، ونشأت في حضنها، وقد ذكر محمود نجم للمقالة أربعة أطوار، هي:

الطور الأول: يضم كتاب الصحف الرسمية، مثل رفاعة رافع الطهطاوي، وميخائيل عبد السيد، وعبد الله أبو السعود، ومحمد أنسى، وتمتد حتى الثورة العربية. وقد نشروا مقالاتهم في «الواقع المصري» و«وادي النيل» و«الوطن» و«روضة الأخبار» و«مرآة الشرق»، وتناولوا المواضيع السياسية، وتميز أسلوبهم بكثرة استخدام المحسنات البديعية والزخرف اللغطي.

الطور الثاني: تأثر بنشأة الحزب الوطني الأول، وبروح الثورة التي سبقت الحركة العربية، وبالأدباء السوريين الذين استقروا في مصر، ولعبوا دوراً كبيراً في تطوير المقالة. من أبرز كتاب هذا الطور: أديب إسحق، وسليم النقاش، وسعيد البستانى، وعبد الله نديم، ومحمد عبده، وإبراهيم المولى حي، ومحمد عثمان جلال، وعبد الرحمن الكواكبي، وبشارة تقلا. ومن أهم الصحف التي كتبوا فيها ذكر «الأهرام» و«مصر» و«الفلاح» و«الحقوق»، وقد تناولت مقالاتهم مواضيع اجتماعية، وقد تحولت من الصنعة اللغظية.

الطور الثالث: ظهرت في هذا الطور مدرسة صحفية حديثة، نشأت في عهد الاحتلال الانكليزي لمصر، من أبرز روادها: علي يوسف، ومصطفى كامل، وعبد العزيز جاويش، وولي الدين يكن، وسليم سركيس، ومحمد رشيد رضا، وخليل مطران، وأحمد لطفي السيد، كما ظهرت صحف ناطقة باسم أحزاب سياسية، فكان الزعيم مصطفى كامل الناطق باسم الحزب الوطني ينشر مقالاته في جريدة «اللواء»، وكان أحمد لطفي السيد يمثل حزب الأمة، وينشر مقالاته السياسية والفكريّة في جريدة «الجريدة».

الطور الرابع: المدرسة الحديثة التي تبدأ بالحرب العالمية الأولى وبأحداث ثورة 1919 المصرية، وقد ظهرت في هذه الفترة صحف تركت أثراً هاماً في كتابة المقالة مثل جريدة «السفور» لعبد الحميد حمدي، و«الاستقلال» لمحمود عزمي، وقد شارك في تحريرها طه حسين، وجريدة «السياسة» لمحمد حسين هيكل، وكانت ناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين، وجريدة «البلاغ» لعبد القادر حمزة، وجريدة «الأسبوع» لإبراهيم عبد القادر المازني، وقد تناولت المقالة في هذا الطور مواضيع سياسية، وتتميز أسلوبها بالوضوح والدقة.

و واضح أنّ هذه الأطوار ترتكز على تطور المقالة في مصر، وقد أشار محمود نجم نفسه إلى أنّ المقالة الصحفية في لبنان كانت أسرع تطوراً من المقالة في مصر.

ومنذ ذلك الوقت قطعت المقالة، على اختلاف أنواعها، شوطاً كبيراً، فصار لكل بلد كتابه، وتنوعت موضوعات المقالة، وقضاياها، وتطورت أساليبها، وصارت المقالة من أكثر أشكال الكتابة شيوعاً وانتشاراً.

ولا شك أنّ لكتاب المقالة أصولاً يلتزم بها الكتاب، منها: تحري الدقة في نقل المعلومات، والموضوعية في عرض وجهات النظر، والصدق والعدالة، وعدم التحييز، ولغة السلامة المشرقة الواضحة.

كما أنّ المقالة قد تتتنوع بحسب الغرض من كتابتها، فالمقالة الإقناعية ستختلف بالتأكيد عن مقالة سردية يحكى فيها الكاتب عن موقف مرّ به ليشير، بعد ذلك، إلى أمر يود أن يلفت نظر القارئ إليه؛ ففي الأولى سيستخدم الكاتب الأدلة والحجج لدعم وجهة نظره التي يود أن يقنع الكاتب بها، أما في الثانية فسيستخدم البناء القصصي، وهكذا.

وعلى الرغم من التنوع اللانهائي لمضمون المقالات وطائق عرضها، إلا أنّ الأصلية تعدّ شرطاً أساسياً من شروط المقالة الناجحة، وتعني بالأصلية أن تعكس المقالة روح كتابها، وفكرة، فهي ليست حشداً من المعلومات، وليس نقلأً حرفاً للواقع، بل هي وجهة نظر خاصة، تستحق أن تقرأ، وقد نالت هذا الاستحقاق من مصداقية كتابها، وزواحته، وثقافته.

العتابُ صابونُ القلوبِ!

ميخائيل نعيمة

هذا مثلٌ شائعٌ تناقله الألسنُ منْ أقدمِ الأزمانِ، وهو كغيره منَ الأمثالِ يعبّرُ تعبيرًا جميلاً عنْ حكمَةِ عمليةٍ اكتسبَتها البشريةُ بالاختبارِ الطوويلِ على مدى الأجيالِ، والحكمةُ فيه أنَّ اثنينِ تناقرَ قلباهما لسببٍ منَ الأسبابِ، إذا هُما اجتمعَا فيما بعدُ، وتبادلَا وجهاتِ النَّظرِ في الخلافِ الذي بينَهما، توصلَا في النهايةِ إلى التفاهِمِ والتقاربِ. فكأنَّهما بالعتابِ قدْ غسلَا ما علقَ في قلْبِ كلِّ منْهُما ضدَّ الآخرِ منْ أدرانِ. فكانَ العتابُ لقلبيهما ما يكونُه الصابونُ عادةً لقطعةِ القدرةِ، واليدِ الوسخةِ، والجرحِ القائحِ، والمنديلِ المبللِ بالعرقِ.

والعتابُ لكيٌ يكونَ بحقٍّ صابونَ القلوبِ، لا بدَّ منْ أنْ يتبنَّى عنْ نَيَّةٍ صادقةٍ في الوصولِ إلى تفاهِمِ وتقارِبٍ، وإلا كانَ بارودًا لا صابونًا. فما أكثرَ ما يأتي العتابُ توسيعًا للخرقِ وزيادةً بِلَّةً في الطينِ! وإذا النفورُ البسيطُ ينقلبُ عداوةً ضاربةً، وإذا الشقةُ الضيقَةُ بينَ قلبينِ متنافرينِ تغدو هاويةً سحيقةً يتعدَّرُ مُدُّ جسِّرِ فوقها. وهكذا، فقولُهُمْ إنَّ «العتابَ صابونَ القلوبِ» قولٌ يتضمَّنُ شرطاً بلْ شروطاً، فلا يجوزُ أنْ يجريَ على إطلاقِهِ، ولكنَّهُ يستقيمُ معناهُ على الإطلاقِ إذا نحنُ فهمْنا بالعتابِ محاسبةً يُجريها اثنانِ برغبةٍ صادقةٍ، ونيَّةٍ طاهرةٍ؛ لتصفيَّةِ ما بينَهما منْ حسابٍ. ثمَّ إذا نحنُ توَسَّعاً في فهمِهِ فجعلناهُ كذلكَ محاسبةً بينَ الإنسانِ ونفسِهِ، مثلما هوَ محاسبةٌ بينَ إنسانينِ أو جماعتينِ منَ النَّاسِ.

وكيفما كانَ الأمرُ فالذِي يهمُّني منَ المثلِ هوَ اعترافُهُ العلنيُّ بأنَّ القلوبَ في حاجةٍ إلى «صابونٍ». ومعنى ذلكَ أنَّها عُرضةٌ للأقدارِ على غرارِ ما هيَ الوجوهُ والرؤوسُ والأيدي والأرجلُ وبباقي ظاهرِ البدنِ، وعلى غرارِ ما هيَ الشَّياطِ التي نرتديها، والمناديلُ التي نمسحُ بها عَرقَنا، وننظُفُ أنوفَنا، والأدواتُ التي نستعملُها للطهوِ والأكلِ والشربِ، وغيرُها وغيرُها منَ الأشياءِ التي نملأُ بها مساكنَنا والتي إذا لمْ نتداركُها منْ حينِ إلى حينٍ بالماءِ والصابونِ، أوْ بالخرقَةِ والمكنسةِ، ركبَتْنا الآفاتُ والحشراتُ، وفاخَتْ منَنا، ومنْ مساكنَنا روائحُ التَّنَّ والعفنِ.

ولأنَّهُ لفَيٌ مُنتهى الغرابةِ حَقًا أنْ ترى النَّاسَ - المتمدَّنينَ منْهُمْ على الأخصَّ - يتهالَّكونَ في

تنظيفِ أبدانِهِمْ وملابسِهِمْ ومساكِنِهِمْ، ويحرِّصُونَ أشدَّ الْحِرْصِ علىَ أنْ يكونَ كُلُّ ما يأكلُونَ ويسربُونَ خالِيًّا منَ الغُشِّ والوَسْخِ، في حين لا يأبهُونَ بالقوادِيرِ التي في قلوبِهِمْ. فكأنَّ قلوبَهُمْ ليسَتْ مِنْهُمْ، وكأنَّ ما فيها منْ قذارةٍ لا يَتَصَلُّ بهُمْ منْ قرِيبٍ أوْ مِنْ بَعِيدٍ. فواحدُهُمْ يُصْعَقُ خَرِيزًا ويتمَّنِي لِوَتْنَسْقُ الْأَرْضِ وَتَبَلُّعُهُ إِذَا أَنْتَ أَبْصَرْتَ قَمْلَةً تَرْعَى فِي رَأْسِهِ، أوْ بَقَّةً تَدْرُجُ عَلَى وَسَادَتِهِ، أوْ شَعْرَةً فِي فَنجَانِ قَهْوَةٍ يَقْدِمُهُ لَكَ، أوْ سَوَادًا تَحْتَ ظَفَرِهِ، وَلَكَنَّهُ لا يُبَالِي عَلَى الإِطْلَاقِ بِالثَّعَابِينِ وَالْعَقَارِبِ وَالدِّيدَانِ يُرِيَّهَا فِي قَلْبِهِ فَتَنَهَّشُهُ نَهَشًا، وَلَا بِالْجِيَفِ الْمَكْدَسَةِ فِي أَفْكَارِهِ، وَلَا بِالْعَفَنِ تَحْمِلُهُ قَطْرَاتُ دَمِهِ إِلَى قَلْبِهِ، وَمَنْ هُنَاكَ تَوْزُعُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي جَسْمِهِ.

ويبالغُ بعْضُهُمْ فِي النَّظَافَةِ وَالْأَنَاقَةِ، فَيُسْتَحِجمُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي النَّهَارِ، وَلَا يَطِيقُ ذَرَّةً غَبَارٍ عَلَى ثُوبِهِ أَوْ حَذَائِهِ، وَلَا يَهْنَأُ لُؤْلُؤَ نُومٍ إِلَّا بَيْنَ مَلَائِتَيْنِ طَهَّرَتْهُمَا الصَّابُونَةُ وَالشَّمْسُ وَالْهَوَاءُ، أَمَّا آنَّهُ يُسِرُّ بَيْنَ النَّاسِ وَفِي قَلْبِهِ مِزَابِلٌ، وَفِي فَكِّرِهِ أَكْدَاءٌ مِنَ الْغَبَارِ، وَأَمَّا آنَّهُ يَأْوِي إِلَى فَرَاسِهِ النَّظِيفِ بِرُوحٍ تَلَبَّدَ فِيهَا الوَسْخُ فَذَلِكَ لَا يَقْلِقُهُ فِي النَّهَارِ، وَلَا يَزْعُجُهُ فِي اللَّيلِ.

ويمرُّ أَحَدُهُمْ فِي سَادِرٍ إِلَى فَحْصِ دَمِهِ؛ لِيعرَفَ إِذَا كَانَ مَلْوَثًا بِجَرْثِومَةٍ مِنَ الْجَرَاثِيمِ الَّتِي تُسَبِّبُ طَائِفَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ كَالْتِيفُوِيدِ، وَالْمَلَارِيا، وَالسَّلِّ، وَفَقِيرِ الدَّمِ، وَغَيْرِهَا، حَتَّى إِذَا عَرَفَ نَوْعَ الْجَرْثِومَةِ عَالَجَهَا بِالدَّوَاءِ الَّذِي يَظْنُ آنَّهُ يَقْضِي عَلَيْهَا، فَالْجَرَاثِيمُ فِي الدَّمِ هِيَ أَوْسَاخٌ لَا بَدَّ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَيْهَا إِذَا نَحْنُ شَئْنَا أَنْ يَقْنِي الْجَسْمُ سَلِيمًا، وَإِذَا فَالَّدَمُ التَّقِيُّ هُوَ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ شَرْوَطِ الْعَافِيَةِ وَسَلَامَةِ الْبَدْنِ، وَلَكِنَّ الطَّبَّ الَّذِي أَدْرَكَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مَا أَدْرَكَ بَعْدُ حَقِيقَةً أَهَمَّ مِنْهَا بِكَثِيرٍ، وَهِيَ أَنَّ الدَّمَ قَابِلٌ لِلتَّلَوِّثِ بِجَرَاثِيمَ أَشَدَّ هُولًا وَفَتْكًا مِنَ الْجَرَاثِيمِ الَّتِي تَنْقَفُ مِنْهَا الْأَمْرَاضُ، وَهَذِهِ الْجَرَاثِيمُ لَا تُبَصِّرُ (بِالْمَكْرُوسْكُوبِ)، وَلَا تُسْتَطِعُ مَعَالِجُهَا بِأَيِّ مِنَ الْعَاقِبِيرِ.

ما مِنْ نَيَّةٍ نَنْوِيَّها، أَوْ شَهْوَةٍ نَشْتَهِيَّها، إِلَّا يَتَلَقَّاهَا الدَّمُ فِي الْحَالِ، فَيَمْشِي بِهَا إِلَى الْقَلْبِ الَّذِي يَعُودُ فِيَوْزُعُهَا عَلَى سَائِرِ الْجَسَدِ مَعَ كُلِّ نَبْضِهِ مِنْ نَبْضَاتِهِ، وَهَذِهِ النَّيَّاتُ وَالْأَفْكَارُ وَالشَّهْوَاتُ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَرْكَ رَوَابِطَ فِي الْقَلْبِ، بَعْضُهَا يَتَحَوَّلُ قَذَارَةً تَزَاوِحُ، وَتَتوَالُدُ فِيهَا الْجَرَاثِيمُ الْقَتَالُ، وَبَعْضُهَا يَغْدو لِلْدَمِ بِمَثَابَةِ النُّورِ لِلْعَيْنِ، وَالْأَرْيَجِ لِلْأَنْفِ، وَالشَّهَدِ لِلْسَّانِ.

إِنَّ دَمًا تَشْحُنُهُ مَكْرًا وَنِفَاقًا وَبَعْضًا وَجَشَّا وَحَسْدًا وَثَأْرًا وَمَا إِلَيْهَا، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ دَمًا

نقىً، والقلبُ الذي ينبضُ بهذا الدَّم قلبٌ قذرٌ منْ غيرِ شَكٍ، وذلكَ القلبُ مالِمٌ يُغسلُ بصابونِ الصدقِ والاستقامةِ والمحبةِ والرّضا والتّسامحِ والغفرانِ كانَ بؤرةً فسادٍ للجسدِ الّذِي يحملُهُ، وما أكثرَ ما تأثينا الأمراضُ منْ دمٍ أفسدناهُ بنياتِنا وأفكارِنا وشهواتِنا الفاسدةِ! فأحرِبنا، قبلَ أنْ نفحصَ الدَّم لنعرفَ ما فيهِ منْ جراثيمٍ خبيثةٍ! أنْ نتفقدَ القلب؛ لنعرفَ بماذا شحناهُ منْ خبيثِ الميولِ والنّياتِ والأفكارِ والشهواتِ. ويقيني أنَّ النّاسَ لو حرصوا على نظافةِ قلوبِهم حرَصُهم على نظافةِ أبدانِهم لأصبحوا في غنىٍ عنِ الطَّبِّ والأطباءِ، وعنِ العقاقيرِ والصّيدليّاتِ.

أما قيلَ منْ قدِيمٍ إنَّ «السرَّ في السُّكَانِ لا في المكانِ»؟ فما بالُنا نهتمُ بالمكانِ وتجميلِهِ وتنظيمِهِ، أمّا السُّكَانُ فهو ملهمٌ كائِنٌ ليسوا من الأهميّة على شيءٍ؟ ما بالُنا نغالي في العنايةِ بالبدنِ الّذِي ليسَ أكثرَ منْ مسكنٍ، ولا نلقي بالاً إلى سُكَانِهِ؟ وهل سُكَانُ البدنِ غيرُ الأحساسِ والمشاعرِ والميولِ والأحلامِ والأفكارِ والشهواتِ الّتِي لا تنفكُ تتوالُدُ في كلِّ لحظةٍ منْ وجودِنا؟ وهذهِ بعضُها نقىٌّ وظاهرٌ وجميلٌ كالمحبةِ والدّعّةِ ونكرانِ الذّاتِ والصدقِ والرّأفةِ والغفرانِ. فعلينا أنْ نصوّنهُ نقىًّا طاهراً وجميلاً إذا نحنْ شئنا أنْ نحيا حيَاً نقىًّا وظاهرَةً وجميلَةً. وبعضُها قذرٌ وبشعٌ كالبعضِ والكرياءِ والرّياءِ والقسوةِ والحدِّ، فعلينا أنْ نغسلَ قلوبَنا منهُ.

الآنَ ليتنا نختَمُ كُلَّ يومٍ منْ أيامِ حياتِنا بمحاسبةٍ دقيقةٍ نجريها معَ أنفسِنا، فلا نستسلمُ للنّومِ إلَّا بعدَ أنْ نغسلَ قلوبَنا - قبلَ وجوهِنا - منْ كُلَّ ما تجمّعَ فيها منْ أقدارٍ في خلاَلِ النّهارِ: فلا تغمضُ أجنافُنا على كُرْهٍ لأيّةٍ إنسانٍ سواءً أكانَ مبعثُ ذلكَ الكرهِ اختلافاً في مذهبِ دينِيْ أمْ سياسِيْ، أمْ في الذوقِ أُمْ في المصلحةِ، ولا على حسِدٍ أوْ ضغينةٍ لأيّةٍ إنسانٍ، فالكُرْهُ والحسدُ والضّغينةُ - مهما يكنْ مبعثُها - أوساخٌ لا يليقُ بالقلبِ المؤمنِ بحقِّهِ في الحياةِ أنْ يُغذّيها بدمِهِ، لأنَّها في النّهايةِ تُفسدُهُ.

الآنَ ليتنا نختَمُ كُلَّ عامٍ منْ أعوامِ عمرِنا بمحاسبةٍ شاملةٍ عنْ كُلَّ ما ربحناهُ أوْ خسِرناهُ منْ محَّةٍ وصداقةٍ وإيمانٍ ومعرفةٍ ومناعةٍ روحيةٍ في خلاَلِ ذلكَ العامِ، حتَّى إذا ما أطلَّ علينا العامُ الجديدُ استطعنا أنْ نستقبلَهُ بقلوبٍ مغسولةٍ منْ أدرانِ الضّيائِنِ والمخاوفِ والمخازيِ، ثمَّ استطعْنا أنْ نقولَ لسائرِ الأكوانِ وللنّاسِ أجمعينَ: كُلَّ عامٍ وأنتمْ بخيِّر.

الدولُ بَيْنَ الابتكارِ أوِ الاندثارِ صاحبُ السموّ الشّيخُ محمدُ بن راشدٍ آل مكتوم

في الكتابِ الأخيرِ للتنافسيّةِ الدوليّةِ الصادِرِ عن المعهِدِ الدوليِّ للتنميةِ الإداريَّةِ بسويسرا، تمَّ تصنِيفُ حُكُومَةِ الإِماراتِ الحُكُومَةِ الأَكْثَرِ كفاءَةً عالميًّا، ولا أُذيعُ سِرًا عندما أقولُ: إنَّ السببَ الرئيسيَّ لتفوقِ أدائِنا الحُكوميِّ هوَ أنَّا خلَالَ سنوَاتٍ طويَّةٍ لَمْ نتعاملْ معَ مؤسَّساتِنا الحُكوميَّةِ علىَ أنَّها جهَاتٌ حُكوميَّةٌ، بلْ علىَ أنَّها مؤسَّساتٌ خاصَّةٌ تُنافِسُ القطاعَ الخاصَّ، وتعملُ بعقلَيَّتهِ نفسيَّها، وتتبَّنى أفضَلَ ممارستِهِ، وتقاسُّ أعمَالُهَا وخدمَاتُهَا بمعاييرِهِ نفسيَّها، بلْ ذهَبْنَا أبعدَ مِنْ ذَلِكَ، وبدَأْنَا نقِيسُ سعادَةَ متعامليَّنا، ونُصِّنِفُ مراكزَ خدمَاتِنا وفقَ أنظمةِ النجومِ الفُندقيَّةِ المُتَعَارِفِ عَلَيْهَا عالميًّا، وأثبَتَت التجربَةُ نجاحَها، حيثُ ارتفَعَ أداءُ مؤسَّساتِنا، وحقَّقْنَا كثِيرًا مِنْ أَهْدَافِنا، ولعلَّنا نناقِشُ ذَلِكَ بشيءٍ منَ التَّوْسُعِ في القيمةِ الحُكوميَّةِ القادمةِ.

ولكنَّ شركاتِ القطاعِ الخاصِّ تمرُّ بدوراتٍ في أعمَالِهَا؛ فهُيَّ تبدُّلًا صغيرَةً، ثُمَّ تنموُ، وتنطلقُ وتتكبُّرُ، ثُمَّ يأتِي مَنْ يُنافِسُهَا ويُطْلُقُ متاجِهِ أفضَلَ مِنْ مُتاجِهِ، فيتراجعُ نموُّها، ويتساءلُ حجمُهَا، وتقلُّ أهميَّتها، ويضعفُ تأثيرُهَا، وقد تخرجُ مِنْ دائِرَةِ المنافِسةِ، وهذا ما ثبَّتُهُ كثِيرٌ مِنَ الدِّرَاسَاتِ، فأكَبَرُ 500 شرِكةً عالميًّا في عامِ 1955 لمْ يبقَ منها اليَوْمَ إلَّا 11% فقط، أمَّا الـ 89% الباقِيَّةُ فقد خَرَجَتْ تمامًا مِنْ دُورَةِ الحياةِ والتَّأثيرِ، بل الأكْثَرُ إدھاشًا في المَوضُوعِ أنَّ متوسَطَ عُمُرِ الشُّركاتِ في تلكِ القائمَةِ سابقًا كان 75 عامًّا، أمَّا اليَوْمُ، وفي عالَمٍ سريِّعِ التَّغَيُّرِ والِتَّفَاعُلِ، فإنَّ متوسَطَ أعمَارِ الشُّركاتِ في هذِهِ القائمَةِ هوَ 15 عامًّا فقط؛ لأنَّ المنافِسةَ اشتَدَّتْ، والمتاجِهِ تغيَّرتْ، والمجتمعاتِ تطَوَّرتْ.

والسؤالُ هوَ: هلْ يمُكِنُ تطبيقُ التَّفكيرِ نفسيِّهِ عَلَى الحُكُومَاتِ؟ هلْ شَيْخُ الحُكُومَاتُ والدولُ وتأخَّرُ مِنْ مرورِ الزَّمِنِ؟ هلْ تبدُّلًا قويَّةً وتكبُّرُ، ثُمَّ يأتِي مَنْ يُزيِّحُهَا مِنْ مراكِزِهَا فترَاجُعُ، ويقلُّ نموُّها حتَّى تخرجَ مِنْ دائِرَةِ المنافِسةِ؟ لا أعتقدُ أَنَّ أحدًا يمُكِنُ أَنْ يختلفَ معِيَ علىِ الإِجابةِ: نَعَمُ الحُكُومَاتُ تَشَيَّخُ، وَتَشَيَّخُ مَعَهَا دُولُهَا وشُعوبُهَا أيضًا، وترَاجُعُ أهميَّتها، ويقلُّ تأثيرُهَا، فتُصبحُ خارِجَ دائِرَةِ المنافِسةِ والاعتبارِ، أو لِيقلُّ بعبارةٍ أُخْرَى خارِجَ دائِرَةِ التَّارِيخِ. ولكنَّ لِنَكُونَ إيجابيًّينَ -معَ الاستمرارِ في تطبيقِ نظرِيَّتنا في التَّعاملِ معَ الحُكُومَاتِ كشرَكَاتٍ-

*) جريدة البيان، 04 فبراير 2015

ولنرّكز على الـ 11% من الشركات التي بقيت في القائمة، ولنسأل أنفسنا كيف استطاعت البقاء في المنافسة؟ وما السر في طول شبابها وتجدد طاقتها؟ نسأل هذا السؤال حتى تبقى دُولنا وشعوبنا أيضًا ضمن سباق التّنافس الدولي، أو لنقل لتبقى في سباق الحضارة الإنسانية، وضمّنَ تاريخ الأمم والشعوب التي تشكّل العالم اليوم، وتتصيغ مستقبله.

لا أشك لحظةً واحدةً في قدراتِ عقولنا البشرية، فقد خلقنا الله لعمارة هذه الأرض، نحن خلفاء الله في أرضه، ورَكِبَ فينا سُبحانه من الذكاء والقدرات الذهنية والدّوافع النفسية ما يجعلنا صالحين ومؤهلين لهذه المهمة العظيمة، مهمّة تحتاج عقولًا متقدّرةً و المتعلّمةً ومتقدّدةً ومبدعةً ومبتكرةً.

لو لم يبتكر الإنسان الزراعة لما قامت حضارة، ولو لم يكتشف فوائد النار لما تطورت تلك الحضارة، ولو لم يبتكر العجلة أو الكهرباء أو الإضاءة أو المحركات أو غيرها لما تقدّمت الإنسانية، ولو لم يبتكر الإنسان (الإنترنت) أو الهاتف الذكي لما وصلنا إلى ما نحن فيه اليوم. سرُّ تجدد الحياة، وتطور الحضارة، وتقديم البشرية هو في كلّمة واحدة: الابتكار! وأستغرب من بعض الحكومات التي تعتقد أنها استثناء من هذه القاعدة. الابتكار في الحكومات ليس ترفاً فكريًا، أو تحسيناً إدارياً، أو شيئاً دعائياً؛ الابتكار في الحكومات هو سرّ بقائها وتتجددّها، وهو سرّ نهضة شعوبها وتقديم دولها.

إذا لم يبتكر الحكومات في طرائق التعليم مثلاً، وتُعدُّ جيلاً جديداً لزمانٍ غير زمانها فتحتما ستشيخ تلك الحكومات، وحتماً ستتأخر شعوبها. في دراسة حكومية أميركية أجريت مؤخراً تبيّن أنَّ 56% من الطلاب في مرحلة رياض الأطفال سيعملون في وظائف غير موجودة حالياً، بل سيتم استحداثها. وفي دراسة لجامعة (أكسفورد) تبيّن أنَّ 47% من الوظائف في الحالية في جميع المجالات الرئيسية ستختفي بسبب التقديم التقني والتكنولوجي حيث ستحل الأجهزة محل البشر، وذلك خلال عقدٍ من الآن فقط! والسؤال هو: كيف نجهز أجيالنا وأبناءنا لذلك الوقت؟ وكيف نُعدُّ دُولنا للمُنافسة ليس الآن، ولكن بعد عقدٍ أو اثنين من اليوم؟ الإجابة تكمن في الابتكار، وأن نعلم أجيالنا مهارات التفكير الإبداعي ومهارات التحليل والابتكار ومهارات التواصل والتّفاعل، وإلا فإننا تخاطر كحكومات، بأن تتأخر شعوبنا، وتتأخر نهضتنا، أو بكلمة أخرى أن تشيخ دُولنا.

إذا أردنا أن نكون حُكُوماتٍ مبتكرةً فلا بدَّ أن نفكِّر كشركاتٍ مبتكرةً. وهُنا سؤال لا بدَّ أن نطرحه على أنفسنا أيضًا: ما هو الأهمُ للحكوماتِ؟ أن تستمر في الصرف بشكلٍ مكثفٍ على البنية التحتية من شوارع وطرقٍ وأنفاقٍ وجسورٍ وغيرها؟ أم أن تهتم بالصرف على البنية التحتية غير المرئية من تغيير في الأنظمة، وتطوير في التعليم والمهارات، وبناءً للتطبيقات، وإجراء الأبحاث والدراسات، ودعم الابتكارات؟

تُخبرنا الدراسات بأنَّ أكبر 500 شركة عالمية قبل 40 عامًا كانت أصولها المرئية تمثل 80٪ من إجمالي الأصول، لكن اليوم أصبحت الأصول غير المرئية كالابحاث والدراسات والابتكارات تمثل أكثر من 80٪ من إجمالي الأصول في قائمة الشركات الـ 500 الأولى عالمياً. وأنا أقول: إذا أرادت الحكومات أن تبقى في دائرة المنافسة العالمية وألا تشيخ فلا بدَّ أيضًا أن تحدو حذو تلك الشركات، وأن تبدأ بإعادة التفكير في ميزانياتها وأين تصرف أموالها؛ فتقليد القطاع الخاص لا يكون فقط في الخدمات، بل حتى في طرائق صرف الميزانيات وأولوياتها.

وليس سراً أنَّ حُكُوماتِ أميركا وأوروبا تصرف مجتمعة سنويًا أكثر من 250 مليار دولار من الأموال الحكومية على الأبحاث والتطوير؛ لتبقى في موقع الريادة العالمية، وليس خافياً على أحدٍ أيضًا أنَّ سرَّ تطوير دول مثل سنغافورة ومالزيا وكوريا الجنوبية خلال فترة قصيرة هو تأجيل الصرف على البنية التحتية، وتركيزها الكبير على تطوير التعليم وبناءً مهارات و المعارف شعوبها، أي البنية غير المرئية. بل إنَّ دولة مثل بريطانيا تصرف من ميزانيتها سنويًا على البنية التحتية غير المرئية - كاستحداث الأنظمة والتدرِّب والأبحاث والتطوير - أكثر مما تصرفه على البنية التحتية المرئية من شوارع وأنفاق ومبانٍ وغيرها (124 مليار جنيه مقارنةً بـ 93 مليار جنيه حسب أرقام 2009).

عندما تكون حُكُوماتٍ مبتكرةً فإنَّ بيئَة الدُّولَة تكون كلُّها مبتكرةً، وعندما تشجع البيئة على الإبداع والابتكار تنطلق طاقاتُ النَّاسِ نحو آفاقٍ جديدةٍ، وتتفتح موهبَّهم، ويصبح تحقيقُ أحلامِهم وطموحاتِهم ممكناً، وهذا أحدُ أسرار نجاح الدول التي تشجع شعوبها على الابتكار. وفي العالم الذي نعيش فيه اليوم، والذي أصبحت فيه حركة العقول والمواهب والمعلومات مفتوحةً كما لم يحدث في تاريخ البشرية من قبل، أصبحت مدن العالم

المختلفة تتنافس ل توفير البيئة الأذكى والأكثر إبداعاً، لاستقطاب هذه المواهب والاستفادة منها؛ لبناء قوتها وتميزها وزيادة تنافسيتها.

الحكومات المبتكرة هي حكومات جاذبة للمواهب، فعالة في الأداء، متقدمة في الأنظمة والسياسات والخدمات. الحكومات المبتكرة هي القاطرة الأساسية لنهضة الشعوب، وتقدم الدول وارتفاع شأنها. الحكومات المبتكرة تطلق طاقات الشعوب، وترفع من قيمة عقل الإنسان، وتحقق الحكمة الرّبانية في أن تكون خلفاء الله في أرضه.

الابتكار هو أن تكون أو لا تكون: أنا حكومة مبتكرة، إذا أنا حكومة موجودة.

الفيس بوك) والعقل الجماعيُّ

د. موزة أحمد راشد العبار

ما أكثرَ الأحاديثِ والرواياتِ والتفاعلاتِ التي تدورُ حَوْلَ موقعِ التّواصلِ الاجتماعيِّ! وخاصةً «الفيس بوك» بسبِبِ تأثيرِه المباشرِ في الحياةِ الاجتماعيةِ على الصُّعيدِ جمِيعِها: المحليَّةِ، والإقليميَّةِ والدوليَّة.. نتيجةً الكثافةُ البشريةُ التي تطلُّ يوميًّا، وعلى مدارِ السَّاعةِ على موقعِ «الفيس بوك» الذي تحولَ إلى أكبرِ موقعٍ على الشبكةِ الدوليَّةِ المعلوماتيَّةِ «الإنترنت»، بل صارَ أضخمَ منصةً رقميَّةً اجتماعيةً... ونقولُ: «اجتماعيَّة»، بسبِبِ تمدُّدِ أعدادِ الباحثينَ عن فرصِ للتّواصلِ الاجتماعيِّ مع أقاربَ ومعارفَ وأصدقاءٍ، ينتشرونَ على سطحِ الكورةِ الأرضيَّةِ، ويعيشونَ في القاراتِ الخمس.. وتفصلُ بينَهمآلافُ الكيلومتراتِ، لكنَّهم عبرَ هذا الموقعِ المدهشِ يتلاقوْنَ.. يتحاورُونَ. ويشاهدُ بعضُهم بعضاً على نحوِ لم يكنْ يدورُ في خاطرِ أحدٍ. وتشيرُ التقاريرُ المنشورةُ إلى أنَّ عددَ مستخدميِّ «فيسبوك» يبلغُ نحوَ ما يقاربُ ملياري مستخدمٍ نشطٍ، وأنَّ إيراداتِ هذا الموقعِ المثيرِ للجدلِ، لا تقلُّ عن 2.9 مليار دولارٍ للعامِ، يأتيَ معظمُها من الإعلاناتِ التجاريَّةِ والدعائيَّةِ..

لقد أصبحَ موقعُ (Facebook) محطةً أنظارِ ملايينِ البشرِ، إذْ يتيحُ لهم فرصةً مشاهدةَ الصورِ وتعرِّفَ تفاصيلِ حياةِ الآخرِ، وقراءةَ الكتبِ، ومتابعةَ المواقعِ الجغرافيَّةِ والخليطيَّةِ. وهكذا صارَ (فيسبوك) خلالَ أعوامٍ قليلةٍ تجربةً اجتماعيةً إلكترونيَّةً متكاملةً، بل صارَ قاعدةً بياناتٍ واسعةً تحفلُ بالعديدِ من الصورِ والسيَّرِ الذاتيَّةِ، عن النَّاسِ من جنوبِ إفريقيا عبورًا لأستراليا وصولًا إلى (كراكاس) وأعلىِ مرتفعاتِ (كلمنغارو) في تنزانيا على حدودِ كينيا..

وهذا الانتشارُ اللافتُ للنظرِ لموقعِ «الفيس بوك»، حَوْلَهُ إلى جوازِ سفرٍ دوليٍّ عابرٍ للقاراتِ، دونَ أدنى حاجةٍ للحصولِ على تأشيراتِ دخولٍ.. وبموجبِ هذا الجوازِ الافتراضيِّ أصبحَ بالإمكانِ الدُّخُولُ إلى موقعِ اجتماعيةً أخرى تمكنُ التّواصلُ والتّقاربُ بينَ النَّاسِ.. كلَّ النَّاسِ!.

في مقالٍ مترجمٍ لـ(بي جيه فوغ) الباحثِ الاجتماعيِّ في جامعةِ (ستانفورد) الأميركيَّة، أبانَ: آنه يدرسُ الكيفيَّةَ التي يؤثِّرُ بها موقعُ «الفيس بوك» في السلوكِ الإنسانيِّ لدى الأفراد

*) جريدة البيان: 4 مايو 2016.

والجماعاتِ، بغضِّ النَّظرِ عن فوارقِ النَّوعِ أو الجنسِ أو الأصلِ العرقيِّ.. فتبيَّنَ له وكأنَّ «الفيسبوك» صار أشبه بسفينة «تيتانك»، يصعدُ إليها نصفُ مليارِ شخصٍ.. يتَسَعُ المركبُ لهم جميعًا.

وبصعودِهم يبدأونَ الدُّرداشةَ والتعارفَ وتبادلَ الآراءِ والأفكارِ بشتى لغاتِ العالم.. ويضيفُ: في مثلِ هذا التَّجمُّعِ الغوغائيِّ تتناغمُ وتلتافي وجهاتُ النَّظرِ في العديدِ من القضايا الكونيَّة.. كإصلاحِ البيئةِ، ومكافحةِ القرصنةِ الدوليَّةِ، وسبيلِ التَّصدِيِّ للكوارثِ، ومجابهةِ جرائمِ المعلوماتيَّةِ والملكيَّةِ الفكريةِ.

وهناك حقوقُ المرأةِ والنَّوعِ الاجتماعيِّ.. وهكذا يتخلَّقُ «عقلُ جمعيٌّ» من جراءِ تفاعلِ عقولِ أفرادٍ يتممُونَ إلى جنسياتِ وثقافاتِ مختلفةٍ، لكنَّهم يعيشونَ ويتقاسمونَ همومًا مشتركةً.. كالإحساسِ بالإحباطِ والشعورِ بالعدميةِ والضياعِ والدونيَّة.. بسببِ البطالةِ وتفشيِ أمراضِ اجتماعيةٍ عدَّة، كالشعورِ بالوحْدةِ، والاغترابِ، وغيرِه.

لقد أتَاحَ هذا الموضعُ فرصَ الْمُتَكَبِّرِ لِمُخْلِقِيِّ الْأَخْلَالِ الأعوامِ العشرةِ الماضيةِ، وهي السنواتُ التي انقضَتْ على إنشاءِ هذا الموضعِ المدْهشِ.. وهنالك شبهٌ إجماليٌّ على رأيِ مفادُه: أنَّ (FaceBook) استطاعَ خلالَ هذهِ السنواتِ أنْ يستحدثَ نسيجاً اجتماعياً لم يكنْ له وجودٌ، بل أعادَ تشكيلَ الواقعِ الاجتماعيِّ من منظورِ «ديجيتال».. أيٌ رقميٌّ كونيٌّ.. وذلك بخلقِ رؤيةٍ جديدةٍ للصورةِ الرقميَّة.. فلم تَعُدْ ثمةَ حاجةً إلى «تحميضِ» الفيلمِ المصوَّرِ، بل صارَ بالإمكانِ عبرَ شبكةِ (الفيسبوك)، تحميلُ (Loading) أكثرَ من ثلاثةِ ملياراتِ صورةٍ على الموقعِ كلَّ شهرٍ، يمكنُ بُثُّها في ثوانٍ إلى أيِّ مكانٍ في العالمِ باستخدامِ الهواتفِ النَّقالةِ أوِ الهواتفِ الذكيَّةِ..

لقد أحدثَ هذا الموضعُ ثورةً فكريَّةً وثقافيَّةً وعلميَّةً، بل استطاعَ تجاوزَ مراحلَ من التَّطويرِ الاجتماعيِّ إلى الأبدِ عبرَ طريقِ المراحلِ الحضاريَّةِ التي كانَ بوسِعِ الإنسانِ المضيُّ في اتِّجاهِها.

ولمْ يعِدِ (الفيسبوك) أكبرَ موقعٍ لتبادلِ الصُّورِ على شبكةِ (الإنترنت) فحسبُ، بل صارَ بوسِعِ النَّاسِ التَّواصلُ والتَّرَابُطُ والتَّقاوِمُ معَهُ بالصُّورَة.. فلم تَعُدْ ثمةَ حاجةً للفردِ للسفرِ إلى شاطئِ (البهاما) لالتقاطِ صورٍ للحظةِ غروبِ الشَّمسِ على شاطئِ المحيطِ.. بل باستطاعتهِ

أَنْ يَرِي بِوْضُوحٍ كَلَّ مِرَافِقِ (الْكَارِبِيِّ) السِّيَاحِيَّةِ، وَكَانَهُ كَانَ يَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَائِهَا قَبْلَ سَاعَةٍ.

وَهَكُذَا ذَهَبَ مَوْقِعُ «الْفَيْسُ بُوكُ» بِالنَّاسِ إِلَى أَبْعَدِ مَا كَانُوا يَحْلِمُونَ بِهِ، وَصَارَ تَجَاوِزُ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ رِهْنًا بِالضَّغْطِ عَلَى شَاشَةِ «أَيِّ هَاتِفٍ ذَكِّيٍّ، إِذْ صَارَ «الْفَيْسُ بُوكُ» أَكْبَرَ مَوْقِعًا اجْتِمَاعِيًّا عَلَى الشَّبَكَةِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ.. وَصَارَ ضَرُورِيًّا الْبَحْثُ عَنْ تَعرِيفٍ جَدِيدٍ لِلْأَمَمِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، فَلَمْ يَعِدِ الْإِنْسَانُ أَمِيًّا إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ.. بَلْ صَارَتِ الْأَمَمِيَّةُ الْرَّقْمِيَّةُ حَالَةً تَسْتَوِجُبُ إِمْحَاةً.

وَالسَّبِيلُ الْأَمْثُلُ أَنْ يَتَمَّ نَشْرُ مَرَاكِزَ لِمَحْوِ الْأَمَمِيَّةِ الْرَّقْمِيَّةِ، لِمَنْ يَرِيدُ الْقِضاَةَ عَلَى التَّخَلُّفِ الْحَضَارِيِّ أَوِ التَّخَلُّفِ الْرَّقْمِيِّ إِذَا صَحَّ التَّعْبِيرُ.. وَمَنْ ثَمَّ يَنْضُمُ إِلَى مجَمِعِ الْمَعْرِفَةِ.

لَقِدْ اسْتَطَاعَ هَذَا الْمَوْقِعُ أَنْ يُغَيِّرَ فِي السُّلُوكِ الْمَجَتمِعِيِّ لِمَلَائِينَ مِنْ سَكَانِ هَذَا الْكَوْكِبِ، بِاسْتِحْدَادِ مَفَاهِيمِ لِلسِّيَاحَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ عَبَرَ السَّفَرِ إِلَى الْلَّامِكَانِ وَاللَّازِمَانِ.. وَبِسَبِيلِ هَذِهِ النَّقلَةِ الْرَّقْمِيَّةِ الْمَذْهَلَةِ، تَحَوَّلَ النَّاسُ وَبِسُرْعَةٍ فَائِقةٍ مِنْ عَالَمِ «الْإِنْتَرْنَتِ» الَّذِي لَا تَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَنْتَ، إِلَى عَالَمٍ تَعْرِفُ فِيهِ الشَّبَكَةُ الْمَعْلُومَاتِيَّةُ بِالضَّبْطِ مِنْ أَنْتَ.. وَمَعَ كُلِّ هَذَا الزَّرْخِ، يَقُولُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿وَمَا أُوْتِيَ شَرِيْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الْإِسْرَاء: 85) صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ..

الطبيعة مدرسة دائمةٌ رشدي المعلوف

المدرسةُ التي أعنيُ هُنا لِيُسْتِ الجامعةُ، وإنْ تكنِ الجامعةُ ضروريَّةً لتنظيمِ العقلِ، وإكسابِ الطريقةِ، وإعطاءِ الاختصاصِ، وبلورةِ الشخصيَّاتِ بالمقابلةِ، وتبادلِ الآراءِ، ونسجِ الصداقاتِ. وهيَ لِيُسْتِ الحياةُ الاجتماعيَّةُ، على ما فيِ تلكَ من دروسٍ وامتحاناتٍ، وإنْ أتَتْ على يدِ أسوأِ الأساتذةِ أحياناً.

المدرسةُ التي أعنيُ، هيَ التي ينبعُي أنْ نتَخَذَها اليَوْمَ وسيلةً للتَّقْرِبِ إلى اللهِ.

المدرسةُ التي أعنيُ هيَ الطَّبَيْعَةُ، المدرسةُ الدَّائِمَةُ، مدرسةُ المدارسِ، ونبُعُ الينابيعِ عنَّدَ التَّحْدِيثِ عنِ مِناهَلِ المعرفةِ. فالطَّبَيْعَةُ هيَ المدرسةُ التي ينبعُي أنْ تسبَقَ كُلَّ مدرسةٍ، وترافقَ كُلَّ مدرسةٍ، وتستمرُّ بعدَ كُلِّ مدرسةٍ؛ لأنَّها المدرسةُ التي تُعلِّمُ كُلَّ إنسانٍ كُلَّ شيءٍ. ويتعلَّمُ من خالِلِها؛ لكيْ يحقِّقَ إنسانيَّتهُ، ويصبحَ صديقَ الطَّبَيْعَةِ كما أرادَهُ اللهُ أَنْ يكونَ.

وما أحبُّ أنْ أقولَهُ لكمْ، أيَّها الطَّامِحُونَ بِالْإِخْلَاصِ إِلَى إِكْمَالِ شَخْصِيَّاتِكُمْ، وإِلَى خَدْمَةِ بِلادِكُمْ وَمَدِينَتِكُمْ عنْ طَرِيقِ تزويدِها بِأَنْاسٍ قدِ اكتملَتْ إِنْسانيَّتُهُمْ، وتلكَ أَكْبَرُ خَدْمَةٍ، هيَ أَنْ تسَجِّلُوا أَسْمَاءَكُمْ فِي مدرسةِ الطَّبَيْعَةِ.

فالطَّبَيْعَةُ تُقدِّمُ فِي كُلِّ لحظَةٍ إِلَى كُلِّ طَالِبٍ معرفَةً فوقَ مَا قَدَّمْتُ لـ(إِسْحَاقَ نِيُوتَنَ) حتَّى عُرِفَ نظامُ الجاذبَيَّةِ، وفوقَ مَا قَدَّمْتُ لـ(دوناتللو) حتَّى اعْتَبَرَ مُكَشِّفَ الكنزِ الأَكْبَرِ فِي نَظَرِ أَعْظَمِ نَهْضَةٍ إِنْسانيَّةٍ عَرَفَهَا التَّارِيخُ.

انظروا إلى الشَّجَرَةِ كيفَ تَعْطِي ثَمَارَهَا بِصْمَتٍ وَنَعْمَةً، دونَ أَنْ تَسْأَلَ مِنِّيَ الْذِي أَخْدَأَهُمْ. انظروا إليها كيفَ تَتَطَلَّعُ دَائِمًا إِلَى فَوْقِ، وكيفَ يَزِيدُ ارتفاعُهَا بِنَسْبَةِ مَا يَزِيدُ عَمْقَهَا.

انظروا إلى الزَّهْرَةِ كيفَ تَبَدُّو دَائِمًا جَمِيلَةً، دونَ أَنْ تَكْبِرَ، ودائِمًا أَنْيَقَةً دونَ أَنْ تُباهي، وكيفَ تكونُ أَلْوَانُهَا أَبْدًا مُنْسَجِمَةً، دونَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَعْنِتُ أو ادْعَاءً. وكيفَ يَضُوعُ طَيْئُهَا باسْتِمرَارٍ دونَ أَنْ يَتَّخَذَ صَفَةَ «الْهَجُومِ»..

(*) بتصرف

تَأَمَّلُوا حَشْمَةَ الْبَنْفَسَجَةِ، وَطَهَارَةَ الزَّنْبَقَةِ، وَتَوَاضُعَ الْأَقْحُوانِ، وَرَقَّةَ الْبَيْلَسَانِ، وَتَأَمَّلُوا الْجَوَّ
النَّاعِمَ الَّذِي تَخْلُقُهُ الْوَرَدَةُ.

تَعْلَمُوا مِنَ الْقَمَمِ كَيْفَ يَكُونُ الْوَقَارُ، وَمِنْ جَذْوِعِ الْأَشْجَارِ كَيْفَ يَكُونُ الرَّسُوخُ فِي الْخَيْرِ،
وَمِنْ جَذْوِرِهَا كَيْفَ تَكُونُ التَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ الْغَيْرِ.

تَعْلَمُوا مِنَ الْأَوْرَاقِ كَيْفَ يَكُونُ السَّحْرُ فِي تَحْوِيلِ النَّارِ إِلَى حَيَاةٍ وَفِيَّ، وَمِنَ السَّنَابِلِ كَيْفَ
يَكُونُ الْعَطَاءُ وَالْوَفَاءُ.

تَعْلَمُوا مِنَ النَّخْلَةِ مَاذَا تَفْعَلُونَ، وَمِنَ النَّمْلَةِ كَيْفَ تَدَأَّبُونَ، وَمِنَ الْفَرَاشَةِ إِلَى أينَ تَذَهَّبُونَ،
وَمِنَ الْقُبَّرَةِ كَيْفَ تَنْظَرُونَ إِلَى الْحَيَاةِ، تَعْلَمُوا مِنَ النَّسَرِ كَيْفَ يَكُونُ فَرْضُ الْاِحْتَرَامِ. وَمِنَ
النَّسْمَةِ كَيْفَ يَكُونُ شَمْوُلُ الْمَحِبَّةِ، وَمِنَ الْأَنْهَارِ كَيْفَ تَكُونُ الْخَدْمَةُ، وَمِنَ الْأَمْوَاجِ كَيْفَ
تَكُونُ الْمَثَابِرَةُ، وَمِنَ الْفُصُولِ كَيْفَ يَكُونُ النَّظَامُ.

تَعْلَمُوا مِنَ الْجَبَالِ فَضْيَلَةَ الصَّمْودِ، وَمِنَ الْآفَاقِ نِعْمَةَ الصَّلَاةِ، وَمِنَ الْبِحَارِ رُوعَةَ التَّسَامِحِ
وَالْغَفَرَانِ.

تَعْلَمُوا مِنَ النُّورِ كَيْفَ تَكُونُ الصَّرَاحَةُ، وَمِنَ الظُّلْمَةِ كَيْفَ يَكُونُ الْعُمَقُ، وَمِنَ الْقَمَرِ كَيْفَ
تَعْكِسُونَ عَلَى غَيْرِكُمْ مَا تَأْخُذُونَهُ مَمَّا هُوَ جَمِيلٌ وَنَافِعٌ، وَمِنَ الْهَدَأَةِ كَيْفَ تَكُونُونَ مَصْدَرَ
وَحْيٍ وَتَأْمِلِ. وَمِنَ الْفَجَرِ كَيْفَ تَجْلِبُونَ لِلآخَرِينَ الْأَمَلَ وَالْبَهَجَةَ.

كيف أنقذتني الكتابةُ سلطان العميمي

الكلمةُ أو سجينُ الحياةِ لذلك، عندما سألوني لماذا أكتب؟ أجيبُهم: كي أتنفسَ وأعيشَ، وأمدَّ غيري بالفرصةِ نفسها.

أقولُ هذا دونَ أن أفصِّلَ الكتابةَ عن القراءةِ، فالكتابَةُ بحاجةٍ إلى وقودٍ مستمرٍ، وأحدُ المصادرِ التي تمدُ الكاتبَ بالطاقةِ المتتجدةِ هو القراءةُ، وكلما قرأتَ أكثرَ، كتبتَ أكثرَ؛ لتشكّل كتاباتَكَ وقوداً لكتاباتِ غيرِكَ.

لقد عشتُ حياةً جديدةً معَ كُلِّ كتابٍ قرأْتهُ، ومعَ كُلِّ معلومةٍ قرأْتها واستفدتُ منها، أدركتُ قيمةَ الكتابةِ وأهميتها أكثرَ، وأدركتُ أنَّ مساحةَ الجهلِ في داخلي تمَّ مسحُها؛ لتحلُّ مساحةً من الضوءِ، وأنَّ أرضًا جديدةً في داخلي تمَّ استصلاحُها وزراعتها بمعلوماتٍ وأفكارٍ جديدةً.

لقد أنقذتني القراءةُ من الصياغِ، ومن تسليمِ عقلي وأفكري لمن لا يحترمُ ذاتي وإنسانيَّتي واحتياجاتي الحقيقيةَ، وعندما دخلتُ عالمَ الكتابةِ، كنتُ أضعُ في ذهني جيدًا ضرورةَ ردِّ الجميلِ لـكُلِّ منْ أنقذني من الجهلِ، بإكمالِ مشوارِ الكتابةِ معهم، ومشاركتِهم عناءَ المحافظةِ على الإنسانيةِ من أشكالِ الجهلِ والهمجيةِ كافةً.

عندما دخلتُ عالمَ القراءةِ، امتلكتُ عيونَ الآخرينَ، ونظرتُ من خلالِها إلى الحياةِ من زوايا جديدةٍ، مررتُ بآهاسيسِهم، وأنقذني كثيرونَ من الكتبِ منَ الواقعِ في فنِّ الحزنِ، وألقتَ بي كلماتُ كتابٍ كثيرينَ في بحورِ من السعادةِ والأملِ والتفاؤلِ، لذلك أردتُ أن أهبَ لغيري عينَ اللتينِ تشکلانِ زاويةَ رؤيتي للحياةِ، فكتبتُ.

كتبتُ كي أجعلَ الأشياءَ أكثرَ وضوحاً، وأقربَ إلى حجمها الحقيقيِّ، لا كما نتصوّرُ أحياناً أنها أكبرُ أو أصغرُ من حجمها في الواقعِ، أمّا تلك التفاصيلُ التي يمرُّ عليها الناسُ دونَ انتباهِ أو يتحاشونَ الحديثَ عنها، فقد اقتربتُ منها أكثرَ، وكتبتُ عنها علنَّي أو فُرُّ عليهم عناءَ البحثِ عن وصفٍ أو تفسيرٍ لها، أو أخفَّ عنهم شيئاً منَ الحزنِ الذي رمَّت به ظروفُ الحياةِ نحوَهم، علنَّي أزرعُ نبتةَ تفاؤلٍ في أرضِهم، فأنا أؤمنُ أنه لا توجدُ أرضٌ غيرُ صالحةٌ

*) أسطورة الكتابة: كتاب ينقد طفلاً، مجموعة من الكتاب، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط 1، 2015، ص: 69-72

للزراعة، وكلُّ ما نحتاجُه هو معرفةٌ طبيعيةٌ هذه الأرض، وكيفية استصلاحها.

لذلك أتمنى منكَ أنتَ أيضًا أنْ تكتبَ، لتكتشفَ أنَّ الكتابةَ ليستْ إلا وجهاً منَ أوْجَهِ الصداقتَة، فكتاباتُكَ ستصلُ إلى أشخاصٍ قد يعجبُهم ما كتبْتَ؛ لتصبحَ صديقاً جديداً لهم ولأفكارِهم، يعرفونَه أكثرَ مما يعرفُهم، وهكذا حالٌ منْ يؤلُفُ كتاباً، إِنَّه كمنْ يطلقُ كتابةً ك Hammamah، تُرِفُ بأوراقِها وأفكارِها وصياغاتها، فتلقَّفُها أيدي الناس وعيونُهم وعقولُهم؛ لتحلُّقُ فيها ومعها، وقد تحلُّ على أغصانِ تفكيرِهم وتعشَّشُ، أوْ لا تجدُ مقرًّا لها فتغادرُ، وقد يتامِلُونَ في باديِ الأمِّ وجهَ غلافِ هذا الكتابِ كما يتامِلُونَ شخصاً يرونُه لأولِ مرَّة، أوْ يتوقفونَ أمامَ عنوانِه، ثمَّ يتضَّفَّحُونَ أوراقَه؛ ليبحثُوا عنْ خبایه ومکنوناتِه، وفي حقيقةِ الأمِّ همْ يبحثُونَ عنكَ أنتَ أيها الكاتِبُ، عنْ أفكارِكَ ورؤيتكَ.

اكتُبْ، وتذَكِّرْ أَنَّكَ تخلُّقُ عالَمَكَ الخاصَّ، الَّذِي تدعُو القراءَ للدخولِ فيه منْ أوسعِ أبوابِه، فسمِحْ لهم بالجلوسِ والاسترخاءِ، مُسَلِّماً إِيَّاهُمْ مفاتيحَ أبوابِ التَّفَكِيرِ والنقاشِ.

عنْ أيِّ مفاتيحِ أتحَدُثْ؟

أتحَدُثْ عنْ مفاتيحِ الكلماتِ والصياغاتِ والأفكارِ، سَلِّمُهمْ ما قدْ يفتحُ الأبوابَ والتَّوافرُ المُغلقةَ في داخلِهم، فهناكَ شمسٌ مشرقةٌ خلفَ الجدرانِ، وهناكَ منَ البشرِ مَنْ يظنُّ أَنَّهُ لا وجودَ لهذِه الشَّمسِ إِلَّا في الخيالِ، أَثِّبْ بكلماتِكَ لأولئكَ اليائسينَ أَنَّ ثَمَّةَ نورًا وهواءً في الخارجِ، يمكنُ معهمَا التنفسُ ورؤيَّةُ الأشياءَ بِالوَانِها الحقيقيةِ، وأنَّهم قادرونَ على التحرُّرِ منَ السُّجونِ التي بنَوها في داخلِهم، وحبَّسوا أنفسَهُمْ فيها.

اكتُبْ كي تلوُّنَ حيَاةَ البشرِ، كي تلوُّنَ ضحكاتِ الكبارِ والصغارِ، كي تجعلَ لحظاتِهمْ أكثرَ إِشراقًا.

اكتُبْ كي تقولَ للعالَمِ إِنَّكَ قادرٌ على أنْ تمنعَ المعنةَ والسلامَ للجميعِ، وإنَّكَ ضدُ الحربِ، ضدُ الكراهيةِ، ضدُ الحزنِ، ضدُ الجهلِ واليأسِ، فهذه الأشياءُ لا تعمُرُ أو طاناً، بل تدمُرُها، وتدمُرُ الإنسانَ معها، ويقى العِلمُ والكتابُ منْ أهمِّ الأدواتِ التي تُبني بها الأوطانُ والإنسانُ معاً.

إنَّ الكتابةَ أحدُ أفضلِ طرائقِ التَّعبيرِ عنِ الإنسانِ الذي يسكنُ في داخِلكَ، وعندما تكتبُ

كلمات ذات تأثير إنساني، فإنك تصبح كمن يلقي بسطل ماء على نار صغيرة، وعندما تؤلف كتاباً، فإنك تصبح كمن يدفع باختراع يحول دون اشتعال النيران في مكان ما.

هل تعلم إذاً أن كتابتك يمكن أن تنقد أشخاصاً من الموت؟

في كل يوم يوجد أشخاص، يموط في داخلهم الأمل بغير أجمل، وأشخاص يموط الفرح في نفوسهم؛ ليثبت محله اليأس والحزن، ولكن بكتابتك يمكنك أن تحفي ذلك الأمل فيهم، إنهم في أمس الحاجة إلى من يكتب إليهم وعنهما، من يحكى حكايات تواسي حكاياتهم أو توازيها، من يرمي إليهم بحب نجاة، أو حتى بقصة يتعلقون بها.

بكلاماتك يمكنك أن تبني جسوراً تعبّر بها نحو الآخر لإنقاذه، أو يعبر الآخر من خلالها نحوك ونحو العالم؛ ليعيش بشكل أجمل.

بكلاماتك يمكنك أن تساعد في تغيير لغة التخاطب بين البشر؛ لتصبح أكثر تهذيباً وتشذيباً، وأكثر احتراماً للإنسانية، وأكثر قدرةً على الغوص بعمق في حقيقة الأشياء، وأكثر تمكناً في فهم البشر وطريقتهم لتفكيرهم وتعاملهم مع الحياة التي يتمنون الخلود فيها.

إن الكتابة جزء من الخلود والديومنة، والكتاب الذي تكتبه يشكل نبطة لكتاب آخر قد يظهر على يدك أو يد غيرك، قد تطول فتره ولا ذريه أو تقصير، لكنه في الأحوال جميعها سيقى حياً في كتابات الآخرين، لا يتوقف عن التوالي، وعصياً على الفناء.

الأصوات الصحفية



العمود الصحفي

يعد العمود الصحفي من أكثر أشكال الكتابة الصحفية انتشاراً، ومقرئية؛ وذلك لأنّه يجمع بين قصر المساحة وواقعية القضايا التي يتحدث عنها، وملائقتها لمشاكل المجتمع، وقضايا الناس.

ولذلك فالعمود الصحفي من أهم المصادر التي تمنح القارئ فكرة واسعة عن طبيعة المجتمع، وأهم قضاياه الحيوية، فهو يشبه المرأة في أنه يعكس ما تدور به الحياة في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ويمكن تعريف العمود الصحفي بأنه نوع خاص من نصوص الرأي، ينشر بانتظام في صحيفة أو مجلة في مكان ثابت، وتحت مسمى ثابت، وبمساحة ثابتة لا تتغير، ويعبر عن فكر كاتبه، وشخصيته، وتوجهاته، ويكون الهدف منه -في الغالب- توعية القراء، أو مناقشة فكرة أو قضية يراها الكاتب مهمة.

ولعل أكثر ما يتميز به العمود الصحفي أنه متخصص بكاتبه، يُسمى باسمه في الغالب، ولذلك تكتسب الأعمدة الصحفية مكانها من مكانة كاتبها، وما اشتهر به من فكر نير، و موضوعية في عرض القضايا ومناقشتها، وامتلاك لناصية اللغة وأسرارها. ولذلك صار من المتعارف عليه في عالم الصحافة والنشر أن العمود الصحفي يعبر عن رأي كاتبه، وليس شرطاً أن يعبر عن موقف الصحيفة.

ولذلك يعرف بعضهم العمود الصحفي بأنه «حوار شخصي بين كاتب وقارئه، يعبر الكاتب من خلال هذا الحوار عن اتجاهاته النفسية، ومكوناته الداخلية، ويدو واقعياً وصريحاً ذاتياً، ويروي ذكرياته وخبراته وتجاربه، ويقدم نصائحه».

وبسبب ارتباط العمود الصحفي بكاتبه، وانتظامه في الظهور في الصحيفة أو المجلة كل يوم أو كل أسبوع فإنّ نوعاً من علاقة المودة والتقدير تنشأ بين الكاتب وقارئه، خاصة حين يحرص الكاتب على المصداقية في الطرح، والموضوعية في المعالجة، وأن يكون عادلاً وصادقاً، وأميناً وحريصاً على أن ينقل للقراء خلاصة تجربته أو فكره من دون تحيز أو ميل.

وأهم سمات العمود الصحفي أنه يعبر عن فكرة واحدة مركزة، وأنه ينقل للقارئ خلاصة تجربة الكاتب، وموافق مرّ بها انطلاقاً إلى الفكرة التي يود الكاتب أن يعبر عنها ويقنع القارئ بها. وغالباً ما يستعين الكاتب فيه بالأقوال والحكم والأمثال والاقتباسات.

ويمكن تقسيم الأعمدة الصحفية إلى نوعين كبيرين، هما:

1. **الأعمدة المتخصصة:** وهي التي يقتصر اهتمامها على مجال واحد فقط، كال المجال السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الرياضي، أو الفني.
2. **الأعمدة العامة:** وهي التي يكتب صاحبها في معظم القضايا، وينوّع في الموضوعات التي يتناولها.

أما من حيث اللغة وأسلوب التناول فإنّ الأعمدة تتنوّع بتتنوّع كتابها، فبعضهم يعتمد الأسلوب الجاد الرصين، وبعضهم يميل إلى الأسلوب الساخر، وبعضهم يميل إلى الافتتاح بالأسئلة، وبعضهم يحذّر البدء باقتباس أو ذكر موقف شخصي. وعلى الرغم من أنّ باب الاختلاف والتتنوّع مفتوح على مصراعيه للكتاب إلا أنّه يفضل أن تكون لغة الكتابة لغة بسيطة، تعتمد على الجمل القصيرة، وتبتعد عن التعقيد والتقدّر؛ لأنّها موجّهة -في الغالب- لكل شرائح المجتمع. ومع ذلك فإنّ التمسك بأصول الكتابة، والحرص على التدقيق والصحة اللغوية يعدّ أمراً يميّز كاتباً عن كاتب.

إنّ قراءة الأعمدة الصحفية ومتابعتها عن كثب تزيد من وعي القارئ، وتكشف له الكثير مما يحدث في مجتمعه، وتجعله على علم ب مجريات الأمور، وتضعه أمام تنويعات من وجهات النظر والأفكار والتجارب.

شِعْرَةُ يَرَاها الْعَالَمُ

مهرة بنت أحمد

يتحدّث كبار السن عن قصبة ضيفٍ كانَ يتناولُ الطَّعامَ لَدِي أحدِ الْبُخَلَاءِ، فاستوقفَ البخيلُ ضيفهُ وهوَ يَهُمُ بوضعِ اللُّقْمَةِ في فِيهِ، وقَالَ لَهُ: احذَرْ؛ فهناكَ شِعْرَةٌ في لُقْمِتَكَ، فأنزلَ الضَّيْفَ لِقَمَتَهُ مِنْ يَدِهِ، وقَالَ للبخيلِ: إذن فَانْتَ نَظَرْتُ إِلَى لُقْمِتِي، وترَاقِبِنِي كَيْفَ أَكُلُّ، لا باركَ اللَّهُ فِيكَ، ولا في طَعَامِكَ، وقامَ حَالِفًا أَلَا يَعاوَدُ الجلوسَ عَلَى مائِدَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ.

نعم، فقد كان مجرّد النّظر إلى لقمة الضيف عند تناوله الطعام يُعد من الأفعال المُشينة، والكبائر التي قد يُغَيِّرُ بها الشّخص سنين طويلة، بل كان أجدادنا يطفئون القناديل، أو ينقضون نورها بعد تقديم الطعام لضيوفهم؛ ليأكل الجميع براحتهم، وبالقدر الذي يشبعُهم، دون خجلٍ أو تحفظٍ، أمّا اليوم فتشغل جميع الأصوات الموجودة، مُضيفين أصوات العدسات (فلاش السّناب شات)، غير آبهين بوجود بعضٍ من يستكررون أو يستغربون هذه الطريقة غير المهدبة في الضيافة، وللحظة تكاثر هذه الظاهرة وتناميها في شهر الصوم والمواقع الرمضانية العامرة، فلا تقللت حتى صحون الطعام المهدأة إلى القراء أو الجيران من العدسات.

تُخبرُني إحداهُنَّ وهيَ تُضحكُ، فتقولُ: «أعْرِفُ مَا الَّذِي سِيُهَدِيهِ لَنَا جِيرَانُنَا مِنْ طَعَامٍ قَبْلَ وَصُولِ الْهَدَى؛ لَأَنَّنِي أَتَابَ عَسَابَاتِهِمْ عَلَى السَّنَابِ»، فبِاللَّهِ عَلِيْكُمْ أَلِيَّسَ مَعِيَّاً أَنْ تُنْرِكَ تقاليدنا الرائعة، وإِرْثَ أُولئِكَ الْأَجَادِ الأكَارِمِ الَّذِينَ كَانُوا تُغَضِّبُهُمْ شِعْرَةً، ونَرْمِي كُلَّ تِلْكَ القيِّمِ لأَجْلِ الشُّهْرَةِ؟ لَاسِيَّماً وَأَنَّا لَسْنَا وَحْدَنَا مَنْ نَظَرْتُ إِلَى الشِّعْرَةِ في لُقْمَةِ ضيوفنا الْيَوْمِ، وإنَّما نصُورُ تِلْكَ الشِّعْرَةَ، ونَرِسِلُهَا لِمَنْ حَوْلَنَا، ولِلْعَالَمِ أَجْمَعَ.

متى تختفي ظاهرة (السيلفي) أحمد الحديدي*

(السيلفي) كما تعرّفها الموسوعات هي: «الصورة الذاتية» أو «الصورة الملتقطة ذاتياً»، وهي عبارة عن صورة شخصية يلتقطها صاحبها لنفسه باستخدام هاتف ذكي مجهز بكاميرا رقمية، ومن ثم ينشرها على الشبكات الاجتماعية؛ لتسجيل حضوره في مكان معين، أو إلى جانبأشخاص معينين، أو للتغيير عن حالة نفسية معينة.

يتساءل بعضهم عن سبب انتشار ظاهرة (السيلفي) بهذه الطريقة السريعة بين الناس جميعهم. لعل ذلك يرجع إلى عفوتها، وعدم وجود الطابع الرسمي بها، والأهم أن صاحبها هو من يلتقطها، وبالتالي يشعر بأنها من صنع يديه.

هناك آراءً معارضةً لهذه الظاهرة الغربية، والتي تؤكد أنها تشير إلى الإصابة باضطرابٍ نفسيٍّ لدى «مدمييها»، وهو ما قد يرتبط بنوع من الترجيحية المرضية، والأغرب هو ما أشارت له بعض الدراسات من أن نسبة مدمييها تصل إلى 17 في المئة لدى الرجال، بينما لا تتعدي 10 في المئة لدى النساء.

لكن يبرز السؤال: متى تختفي ظاهرة (السيلفي) من حياتنا؟ الإجابة ببساطة عندما نمل من هواتينا الذكية التي اقتحمت حياتنا الاجتماعية والنفسية، وحولتنا إلى كائناتٍ فرديةٍ من الطراز الأول، كل ما نهتم به هو الاتصال بهذه الهواتف؛ كي نردد على الآخرين، ونوثق حياتنا، ونقلها لهم دون أن نراعي مشاعر الخصوصية التي كنا نتمتع بها من قبل. هذه الظاهرة ستختفي عندما يتخلّى كلٌّ منا عن ترجيحية، ويدوّب في المجتمع بطريقةٍ حقيقةٍ، وليس افتراضيةٍ كما يحدث الآن.

*) المؤية، 10 يونيو 2016.

اعترافاتٌ في عام القراءة عبدالله الشويف

أعترفُ بأنّي أَرْتِيكُ، وأُخْرِجُ مِنْ وَضْعِ عَلَامَةِ الْقِرَاءَةِ فِي بِدايَةِ الْكِتَابِ لِسَبَبِ لَا أَفْهَمُهُ، هُلْ مِنَ الْعِيبِ أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ فِي الصَّفَحَاتِ الْأُولَى؟ مَا زَلْتُ أَخْبَرُ الْكِتَابَ فِي حَقِيقَةِ السَّفَرِ حَتَّى وُصُولِي إِلَى عَدِيدٍ جِيدًّا مِنَ الصَّفَحَاتِ، يَجْعَلُنِي أَضْعِفُ عَلَامَةَ الْقِرَاءَةِ بِفَخِيرٍ فِي مُتَصِّفِ الْكِتَابِ؛ وَكَائِنِي أَقُولُ أَنَا هُنَا.. أَنْتَ لَسْتَ مُحْدَثًا نِعْمَةً أَدِيَّةً، وَلَسْتَ قَارِئًا طَارِئًا جَذْبَتُهُ شَجَرَةً مِيلادٍ مُخْتَلِفَةً جَاءَتْ هَذَا الْعَامَ وَقَدْ تَزَيَّنْتُ بِالْكُتُبِ!

أعترفُ بأنّي لا أستطيعُ قراءةَ كِتَابٍ لَا يَزَالُ مُلْصَقُ السُّعْرِ مُثْبَتاً عَلَى غَلَافِهِ الْخَلْفِيِّ؛ وَدَائِمًا مَا أَقُولُ بِعَمَليَّاتِ - جَرَاحٍ - وَرَقِيَّةِ غَايَةٍ فِي الدَّفَقَةِ لِإِزَالَةِ مُلْصَقِ السُّعْرِ، وَلَا أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ طَالَمَا بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَثْرِ الصَّمْغِ، أَعْبَثُ بِهِ بِاسْتِمْرَارٍ إِلَى أَنْ أَنْهِيَ الْكِتَابِ.. لَا أَعْرِفُ لِمَاذَا أَيْضًا، وَلَكِنَّنِي أَعْتَقُدُ بِأَنَّ عَقْلِيَ الْبَاطِنَ الَّذِي يُخَرِّنُ تَلْكُمُ الْكُتُبِ يَرِي أَنَّهُ مِنَ الْمُعِيبِ أَنْ تُقْدِرُ أَثْمَانَهَا بِسَعْرٍ مِنْ أَرْقَامٍ عَدَّةٍ.

أعترفُ بأنّي لَمْ أَحِبَّ الْكِتَابَ الْإِلْكْتَرُونِيَّةَ قُطُّ، وَمَا زَلْتُ أَعْشَقُ الْعَبَارَةَ الْمُمِلَّةَ: «مَلَمَسُ وَرَائِحَةُ الورقِ».

أعترفُ بأنّي لَأَرْازُ كَطْفَلًا مُسْكَنَتُهُ الْمَعْلَمَةُ وَهُوَ يَأْكُلُ قَبْلَ موَعِدِ الْفَسْحَةِ حِينَ أَطْلُبُ إِلَى إِحْدَى الْمَكَتبَاتِ الْمَشَارِكَةِ فِي مَعَارِضِ الْكِتَابِ أَنْ تَمْنَحَنِي قَصَّةً لِلْجَيْبِ سَوَاءً أَكَانَتْ مَرْسُومَةً كـ«مِيكِي»، أَمْ مَكْتُوبَةً كـ«الْمَغَامِرُونَ الْخَمْسَةَ»، أَحْسَّ بِأَنَّ الْبَائِعَ يَعْرِفُ عَنِّي كَثِيرًا حِينَما أَطْلُبُهَا لِأَبْنَائِي الصَّغَارِ الَّذِينَ لَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ أَبَدًا!

أعترفُ بأنّي أَشْعُرُ بِالْأَرْتَبَالِ كَلَمَا أَنْهَيْتُ كِتَابًا؛ فِيمَنْ جَهَّةُ أَرِيدُ الاحْفَاظُ بِهِ؛ لِتَكُونَ عَنِّي مَكْتَبَةٌ جَمِيلَةٌ تَشِيهُ تَلَكَ الْمَكَتبَاتِ الْعَصْرِيَّةَ عَلَى أَغْلَفَةِ (كَاتَالُوجِيَّاتِ) شَرِكَاتِ الْأَثَاثِ، وَمِنْ نَاحِيَّةِ أَخْرَى أَرِيدُ أَنْ يَقْرَأَهَا أَصْدَقَائِي؛ كَيْ نَجِدَ أَمْرًا آخَرَ لِلْحَدِيثِ فِيهِ عَلَى مَقْهَى كُنَّا نَحْلُمُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ مَقْهَى لِلْمُتَقَفِّينَ ذَا نَاصِيَّةٍ؛ فَذَهَبَ الْمُتَقَفِّونَ وَبَقِيَتِ النَّاصِيَّةُ!

أعترفُ بأنّي كَثِيرًا مَا أَخْذُ الْكِتَابَ إِلَى أَحْلَامِي، فَأَضْعِفُ نَفْسِي مَكَانَ بَطْلِ الْرَّوَايَةِ، وَأَمَارِسُ

(*) الإِمَارَاتُ الْيَوْمَ، 31 يَانِيرُ 2016.

كلَّ ما لا أستطيعُ عملَهُ في الواقعِ؛ حتَّى أنَّمَ بِأَحْلَامٍ وَرَدَيَّةٍ، وَغَلَافٍ مَمْزَقٍ، وَصَفَحَاتٍ
صَفَرَاءً، وَعَلَامَةٍ قَرَاءَةٍ لَا تَسْتَحِي مِنْ صَفَحَاتِهَا الْأُولَىِ!

كاتب وراء كاتب وراء كاتب خالد السويدي

أعتقد أنَّه من غير المنطقِي أبداً أنْ يتحول نصفُ أفرادِ المجتمع إلى كُتابٍ ومؤلَّفين، وعندما لا يكون هناك منطقٌ فالتأكيد أنَّ هناك علةً وخلالاً، إذ إنَّ ظاهرة عشراتِ المؤلَّفين الذين ظهرُوا لدِيننا فجأةً من حيثِ ندرى ولا ندرى جديرة بالدراسة، وإنْ كنتُ أظنُّ أنها لا تحتاج إلى دراسةٍ يقدِّرُ ما هيَ تَخطُّطٌ وموضَّةً و«برستيج» من بابِ تَخوضُ مع الخائضين، و«حشرٌ مع النَّاسِ عِيدٌ»!

ظهرَ كُتابٌ، وما هُم بكتَابٍ، يبحثونَ عنِ الشُّهَرَةِ السَّرِيعَةِ بأسهلِ الطرُقِ، الكُتُبُ التي قرؤوها في حياتِهم تُعدُّ على أصابعِ اليَدِ الواحدَةِ، وربَّما لم يقرؤوا أيَّ كتابٍ، واكتفوا بتصفحِها بِنظرَةٍ سريعةٍ، فتوهُّمُوا أنَّهم قرَاءٌ ومثقفونَ يمتلكونَ القدرةَ على الكتابةِ والتَّأثيرِ.

ليسَ كُلُّ مَنْ أصدرَ كتاباً يُمكِّنُ تصنيفُه بالأدِيبِ، ولا كُلُّ مَنْ شاركَ في ندوةٍ يمكنُ اعتبارُه مثقفًا من المؤثرينَ، ولا يمكنُ لأيَّ شهيرٍ في مجالٍ آخرَ لَا صلةَ له بالثقافةِ أنْ يتحولَ إلى كاتبٍ، هذه الألقابُ لا تُعطى ولا تُمنَحُ بقدرٍ ما تُكتسبُ من إبداعاتِ الشخصِ، وإسهاماته الثقافية والأدبية وغيرها، على مرِّ السَّنينِ.

أنْ تتحولَ إلى كاتبٍ وأدِيبٍ ليسَ بسهولةٍ، كأنْ تمتلكَ مصباحَ علاءِ الدينِ السُّحرِيِّ لَتَطلُّبَ إلى ماردِ المصباحِ أنْ تتحولَ إلى أدِيبٍ يتحدثُ عنَّه الملايينُ. يقولُ الأدِيبُ توفيقُ الحكيمِ: «الأدِيبُ الحقُّ هوَ الذي يجعلُكَ تدركُ عُمقًا جديداً كُلَّما أعددَ قراءةَ الكتابِ».

الكتابَةُ والكتبُ نافذَةٌ على ثقافاتٍ مختلفةٍ، نتعلَّمُ منها الدُّرُوسَ وال عبرَ، ونطلُّ فيها على تجارِبِ غيرِنا، نأخذُ ما يفيدُ، ونتركُ ما لا ينفعُ، قد نجدُ فيها كثيراً من الأشياءِ التي لا توافقُ هوانا، تخذلُ حياءً بعضِ مَنْا، نرفضُها رغمَ أنَّها جزءٌ من الواقعِ والحقيقةِ، كذلكَ في مجتمعاتِنا الخليجيَّةِ هناكَ أمورٌ صعبةٌ، يتطرَّقُ لها بعضُنا في كتاباته بطريقَاتٍ مختلفةٍ، إنَّما الكاتبُ الذَّكيُّ وحدهُ مَنْ يستطيعُ أنْ يصلَ فكرَتَهُ للمتلقيِّ مهما كانتْ جُرأَتها.

لكل مجتمع خصوصيته، ففي بعض المجتمعات ليس من العيب أن يمشي الشخص عارياً، وفي مجتمعات أخرى من الصعب جداً أن يتجرّأ أحدُهم بسرورٍ قصيرٍ؛ لذا من الضروري جدًا أن نعي ماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وما الهدف مما نكتب؟ يقول شاعر المهرج (ميخائيل نعيمة): كم من أنسٍ صرفوا العمر في إتقان فن الكتابة؛ ليذيعوا جهلهِم لا غير.



النحو المعلوماتيُّ



النّصوص المعلوّماتيّة

تُعدُّ معرفة نوع النص المقرروء من أهم الإستراتيجيات التي تساعد القارئ على فهم النصوص، والتبنّى إلى النقاط الجوهرية فيها، والتعملق في أفكارها ومضمونها؛ فقراءة قصيدة من الشّعر تختلف عن قراءة قصة، وهذه تختلف عن قراءة نص معلوماتي، فلكلّ نوع من النصوص الطريقة التي تناسبه، وتناسب الغايات التي من أجلها كُتبَ، وبسببها يقرأها القراء.

ويعد النص المعلوماتي من أكثر النصوص انتشاراً وتنوّعاً في عصرنا الحاضر، ومعظم الناس يعتمدون عليه في حياتهم اليومية في أبسط الأمور وأكثرها تعقيداً؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، كلنا نحتاج أن نعرف حالة الطقس، أو مواعيد الصلاة، أو مواعيد الرحلات في المطارات للمسافرين، أو موقع مؤسسة ما نود أن نزورها، فمثل هذه الجداول والخرائط تسمى نصوصاً معلوماتية، فما النص المعلوماتي؟ وما الفرق بينه وبين سائر النصوص؟

النص المعلوماتي: هو أي نصٌّ هدفه أن يُقدّم معلومات للقارئ بطريقة مباشرة وواضحة، تتصف بالدقة، وتعتمد على الأدلة العلمية والحقائق. ولأنّ هدف النص المعلوماتي هو تقديم المعلومات فإنك ستتجده في مجالات العلوم والفنون كلّها، كالفيزياء، والكيمياء، والطب، والرياضية، والصحة، والبيئة، والجغرافيا، والتاريخ، واللغة، والرسم، وتطوير الذات، وغيرها.

وهذا لا يعني أنّ النص المعلوماتي هو النوع الوحيد الذي يقدم معلومات للقارئ، ولكن النص المعلوماتي ليس له أي هدف إلا تقديم المعلومات، بخلاف النصوص الأخرى. ولكي تتضح الفروق بين النص المعلوماتي وغيره من النصوص يحسن أن نتحدث عن التصنيف العام للنصوص، حيث تنقسم إلى نصوص خيالية (Fiction) ونصوص غير خيالية

(Non-Fiction)

1. النّصُّ الْخِيَالِيُّ:

هذا المصطلح هو ترجمة لكلمة (Fiction)، وهي مشتقة من الكلمة латинская تعني «يشكّل» أو «يُصَنّع»، ويشير إلى تأليف أدبي متخيّل ومبتدأ، وهو مصطلح يعبر عن الفن القصصي بأشكاله المختلفة: الرواية، والرواية القصيرة، والقصة القصيرة، مع أنّ هناك من يرى أنّ

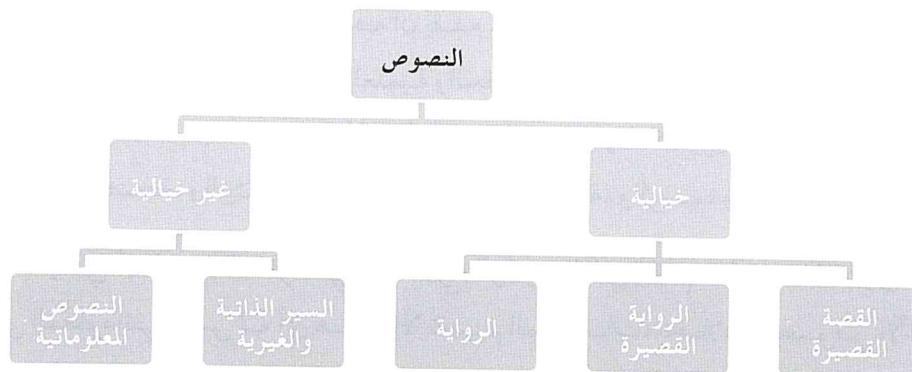
مصطلاح (Fictional) يشمل كل ما هو أدبي، أو كل الأجناس الأدبية مثل الشعر والدراما وألوان السرد إلى جانب الرواية والقصة.

فهذا العمل هو من خيال الكاتب، حتى لو اعتمد على وقائع من الحياة، أو من التاريخ، وهدفه في الغالب الإمتاع والمشاركة.

2. النَّصُّ غير الخياليٌّ:

هو ترجمة لمصطلح (Non-Fiction) بالإنجليزية، بمعنى أنه خال من الخيال، ويشير إلى كل النصوص التي تعتمد على الحقائق والواقع والأدلة. وليس للخيال دور فيها، وهدفها في الغالب تقديم معلومات للقارئ حول موضوع ما. وتحت النصوص غير الخيالية تدرج النصوص المعلوماتية بأشكالها كافة، كما تدرج أيضاً نصوص السير، الذاتية والغيرية، والكتابات الفلسفية والتاريخية والجغرافية، وغيرها كثيرة.

ويمكن توضيح هذا التقسيم في الشكل الآتي:



ولكي نوضح الفرق بين النص المعلوماتي والنصوص الأخرى التي تدرج تحت مسمى «نص غير خيالي» يمكن أن نعقد هذه المقارنة البسيطة بين النص المعلوماتي ونصوص السيرة الأدبية مثلاً، فعلى الرغم من أن كليهما يندرجان تحت قسم النصوص غير الخيالية إلا أن معظم نصوص السيرة الأدبية تبني بناء يشبه بناء القصة والرواية، فتعتمد على الشخصيات، ووجود إطار زمني ومكانى، وأحداث، وتسويق وغيرها، وتكتب بأسلوب سردي -في الغالب- يشبه أسلوب كتابة القصص. أما النصوص المعلوماتية فتقتصر فقط على تقديم المعلومات؛ فلو أنا أردنا أن نكتب نصاً معلوماتياً عن الشيخ زايد بن سلطان -رحمه اللهـ فإننا سنقتصر على ذكر

الحقائق فقط، تاريخ ومكان ميلاده، فترة حكمه، أخلاقه، إنجازاته، سنة وفاته، وهكذا. ولكن إذا أردنا أن نكتب عنه سيرة أدبية فإننا سنعني بتقديم صورة دقيقة عن شخصيته، واهتماماته، وأفكاره، وكيف كان يرى العالم، وبعض المواقف المؤثرة في حياته، وبعض الحكايات التي تعكس حكمته، وقربه من شعبه، وحرصه على توحيد الكلمة.. وهكذا.

إن النص المعلوّماتي غير معني من قريب أو بعيد بالتأثير في القارئ تأثيراً عاطفيّاً، بل هو يصب كل تركيزه على المعلومة، والتحقق من صحتها، والحرص على أن تصل إلى القارئ من مصادر موثوقة، وأن تقدم له في شكل واضح وبسيط، يساعده على تمثّلها وتنظيمها وتذكرها.

وأكثر ما تجد النصوص المعلوّماتية في المعاجم، والموسوعات، والأطلس، وكتب التعليم، والكتب المدرسية على اختلافها، والخرائط، والمقالات العلمية التي تنشر في المجلات، كما نرى في مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) على سبيل المثال.

وأهم ما يميّز النصوص المعلوّماتية اعتمادها على الحقائق والأرقام، ونتائج الدراسات العلمية، ولذلك يعتمد تقييم النص المعلوّماتي على الصحة والدقة في نقل المعلومات، والتوثيق العلمي الذي يحيل إلى المصادر، وعلى الجدّة والتحديث، فلا ينقل النص نتائج دراسات قديمة، ويترك الحديثة منها.

ولكتابه النصوص المعلوّماتية أصول وطائق معتمدة، فلا يجوز للكاتب أن يتصدى لكتابه نص معلوّماتي من دون أن يلتزم بهذه الأصول التزاماً تاماً. وقد تطّورت طائق كتابة النصوص المعلوّماتية في العصر الحديث، وصار المؤلفون يعتمدون على وسائل كثيرة تساعد القارئ على فهم المعلومات، وتنظيمها، وحفظها، وتذكرها، كالجداول، والقوائم، والأشكال والرسومات التوضيحية، والصور.

إن قراءة النصوص المعلوّماتية تتطلب من القارئ الانتباه، والتدقيق، وإعادة تنظيم المعلومات بما يناسب أغراضه الخاصة، وهي من أكثر المهارات أهمية للطلاب، خاصة في المرحلة الجامعية.

التسوق الإلكتروني

يجب أن تكون مستعدًا للمستقبل في العالم الرقمي، وذلك بإعادة النظر إلى الاحتمالات الجديدة في عالم تحيط به عوائق التجارة، وانتقال رؤوس الأموال بسبب التكنولوجيا الرقمية، إذ الوصول إلى الأسواق الإلكترونية يتزايد دون تكلفة أو حواجز.

فقد منح ظهور الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) الفرصة للتجارة الإلكترونية، حيث أدرك الموزدون والعملاء الفوائد التي تعود إلى التكلفة والوقت في التعامل مباشرةً عن طريق (الإنترنت)، وذلك بتوفير بياناتٍ حديثةٍ عبر كل قناةٍ للمبيعات.

كما أصبحت للقدرة على نقل المعلومات وتبادلها قيمةً أكبرً من المتاجن نفسه، وذلك مع وجود فروق جوهرية في مواصفات المنتجات أو الخدمات أو جودتها أو أسعارها. إن السهولة التي يتم بها تبادل المعلومات في هذا العالم الرقمي قد غيرت تماماً من قيمة المنتجات من البداية إلى النهاية؛ مما ساعد على ظهور سوق الوسطاء الذين ينقلون المعلومات أو الوكالات الخاصة في خدماتها.

إن إستراتيجية مؤسسات التسويق الإلكتروني تركز دائمًا على العميل، وتأتي بعد ذلك التكنولوجيا، وهيكل العمل القائم على تحليل الرغبات والاحتياجات الحالية والمستقبلية، وكيف ستتغير توقعات العملاء في المستقبل، إذ المؤسسة الناجحة في الأسواق الإلكترونية هي التي تنظر إلى مستقبلها من وجهة نظر عملائها؛ وذلك لأن الخدمات التي ترضي العملاء هي التي تفي بالمؤسسة منها في النهاية، والمخطط الآتي يوضح خطوات هذه الإستراتيجية:

| | |
|---|----------------|
| التركيز على العملاء، وتصنيفهم في مجموعات. | الخطوة الأولى |
| تحديد رغبات كل مجموعة، وما تحتاجه. | الخطوة الثانية |
| تحديد أفضل عملية لتوصيل أفضل قيمة للعميل. | الخطوة الثالثة |
| مراجعة واقع المؤسسة الحالي (النقد الذاتي) لتحديد التغيرات الضرورية. | الخطوة الرابعة |

* سلسلة الإدارة المثلثي / التحول إلى الإلكترونية العمل. مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى 2002

وإذا التزمت المؤسسات بالخطوات الإستراتيجية السابقة الذكر فإنَّ الفوائد التي تتحققها الأسواق الرقمية لا تقصر على مؤسسات العمل، وإنما هي شراكة متبادلة مع العميل، والرسم البياني الآتي يوضح ذلك:



وتتمثل إدارة قوة البيع التكاملية في السوق الرقمية التي غالباً ما تتعلق بالانتقال من الاستفسار المبدئي للعميل إلى تلقي الطلب، وتتضمن هذه العملية معرفة السعر، والكمية المطلوبة، وتأكيد وجود المطلوب، أو أجور نقلها، أو تخصيص مبالغ للعملة، وهذا يتطلب تطبيقات إلكترونية تخلق تكاملاً بين الوظائف المنفصلة؛ لتكون عملية مترابطة تتصل بانسيابية مع نظم إدارة العلاقة بالعميل، وإدارة تخطيط موارد السوق الرقمية للحصول على أفضل أداء ممكن، ما يوفر للعميل الجهد والوقت، وأكبر قسطٍ من ثمن السلعة، ويغرس الثقة بالسوق، ويدعو إلى الاطمئنان لنجاح العملية برمتها.

إنَّ عمليَّةَ البيع الإلكتروني عمليَّةً معقدةً جدًا، ويمكن تيسيرُها بانتشار القنوات وبرامج السوق أمام العميل، وتوفير الخدمة الذاتية له أينما كان، وبأي وسيلة، سواءً أكانت حاسوباً أم هاتفاً محمولاً، وبتكيف المتَّج مع حاجته، وتحديد كل خطوة مطلوبة في عملية البيع، والإجابة عن استفساراته، وسرعة الرد عليها، وتوضيح بعدي العملية الزمني والمكاني بدءاً وانتهاءً، وإعلامه بتأخر الطلب وأسبابه، والاعتذار عن ذلك، إنْ حصل، وتخفيه بإتمام الصفقة أو إلغائها دون أي خسارة لقيمتها المدفوعة سلفاً.

والمحظّطُ الآتي يرسمُ حلولًا لتجاوزِ العمليّة المعقدّة لإدارة المبيعات:

حلولٌ لتجاوزِ العمليّة المعقدّة لإدارة المبيعات

الهدفُ هو التخلّصُ من قواعدِ البياناتِ المركبة.

تعريفُ خططِ العمليّة الكلية التي تتحقّقُ انسيابيّةً في نشاطِ المبيعاتِ.

توفرُ وسيلةً الدخولِ إلى البياناتِ عن طريق برامجٍ تتصفحُ الشبكةَ المعلوماتيّةَ (الإنترنت).

التخلّصُ منَ الخطواتِ غيرِ الضروريّةِ، والسماحُ بالتدفّقِ الحرّ للمعلوماتِ.

يسيرُ بيع المنتجِ على خطوطِ الشبكةِ المعلوماتيّةِ (الإنترنت).

توفّر حلولٌ تكنولوجيةٌ تعطي فرقَ البيعِ الفرصةَ للدخولِ إلى البياناتِ.

ترتبطُ بانسيابيّةِ بينِ نظمِ التخطيطِ ومواردِ المؤسسةِ.

دمجُ الوظائفِ المنفصلةِ في عمليّةٍ واحدةٍ، لدى عاملٍ واحدٍ، في موقفٍ واحدٍ.

إنَّ التجاّحَ في السوقِ الرقميّ يتطلّبُ منَ المؤسّسةِ أنْ تجibَ عنِ الأسئلةِ الآتية:

«منْ هُمْ عملائي المستهدفوN؟ وما مدى معرفتي بهم؟»

«كيفَ أحظى بولاءِ العميلِ، وأحتفظُ به؟؟»

«منْ هُمْ المنافسونَ الحاليّونَ والمحتملوN؟»

«كيفَ ستصلُ خدماتي ومنتجاتي إلى العملاء؟؟»

«كيفَ ستسنمُ التكنولوجيا في تغييرِ السوق؟؟»

وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن تتوفر في المؤسسة الميزات الآتية:

1. التركّز على الميزة التنافسيّة التي تجعل المؤسسة مختلفةً عن منافسيها الذين قد يتفوقون عليها في رخص القيمة، أو سرعة التوصيل، مع التساوي في الجودة.
2. التسويق الجيد للعلامة التجارية الخاصة بالمؤسسة.
3. تشكيل إدارة نشطة في بناء العلاقات، باختيار موظفين لديهم مهارات اتصال عالية، إذ هم الرابط الأساسي بين مستخدمي النظام الداخليين والخارجين.
4. اختيار شريك خارجي جيد، يعزز نشاط المؤسسة، وتوافق نظمها مع نظمها، بأقل ما يمكن من الخطاء، ما يحقق تكامل الشريك، ولا يمكن الجمهور الداخلي أو الخارجي التميّز بينهم.
5. تزكية العملاء للمؤسسة، بتقديمها ما يتوقعونه وفوق ما يتوقعونه، مما يتحقق للمؤسسة (القيمة المضافة)؛ لتكون أفضل سوق يجذب أكبر جمهور من العملاء.

أنواع مختلفة من عروض القيمة المضافة على الشبكة المعلوماتية (الإنترنت)

مقترنُ القيمة للعميل

نموذج العمل

يقدم للعميل موقعًا تتفق عنده مرّة واحدة به كل المعلومات المطلوبة، ويوفّر سهولة في الاستخدام والنتائج السريعة.. وتوفير التكاليف.

وسیط المعلومات

يقدم عمليةً موحدةً لإيجاد المُتّبَح والمقارنة والاختيار والشراء، أو خدمةً على خط الشبكة المعلوماتية، كما يوفر السرعة والتكلفة معاً.

وسیط الصفقات

يحدّد قائد السوق العرض الجديد للقيمة المضافة، وتجديداً بخبرة العميل باستمرار، وتوفير أفضل خبرة كليّة للعميل.

قائد الفناد

يضمّ في الشبكة المعلوماتية موقعًا لاجتماع العملاء، فيتبادلون الأفكار والمعلومات، ويوفّر طريقة سهلة، وعضوية جديدة في المجتمع المعلوماتي.

مركز المجتمع

إنَّ الوفاء بمتطلباتِ العملاءِ، وتحقيقَ الوعود في أوقاتها، والسماحَ لهم بمعرفةٍ سيرِ حركةِ التسليمِ، وعلمهُم بكلِّ شيءٍ من بدايةِ عمليةِ التسويق إلى نهايتها أخذَ يحققُ ازدهاراً للتسويق الإلكترونيّ، ونمُوا في الأسواقِ الرقميَّة، وتتنوعُا في عروضها التجاريَّة. كما أضحت إنسانُ القرنِ الحادي والعشرينَ -تاجراً، أو عميلاً، أو وسيطاً، أو حتَّى فضوليَاً - وهو في منزله، وببيدهِ هاتفُه المحمولُ، يرشفُ فنجانَ قهوتهِ المفضلة، يُمارسُ نشاطاً تجاريًّا، وإلى زمنٍ قريبٍ كانَ يُمضي الأيامَ والشهورَ حتَّى يتحققَ بعضًا مما يتحققُهُ اليومَ في سويعَةٍ من ليلٍ أو نهارٍ. لقد أصبحَ العالمُ بينَ يديهِ بفضلِ فانوسِ علاء الدينِ السحريِّ، وأيُّ فانوسٍ سحريٍّ يتنتظرُ الأجيالَ القادمةَ؟!

الأَمْلُ وَالظُّمُودُ

لماذا أنت تصلّى، وتصوم، وتحجّج، أو تقوم بعبادتك؟ لأنّ هناك وعداً من الله أن تدخل الجنّة، أو لأنّ هناك وعداً أخرى تأمل أن تحوزها من خلال دينك. هذا الوعد لم تره، ولم تلمسه، ولم تشمّه، وكما جاء في الأحاديث الشرفية أنّ الجنّة لا يمكن لك أو لأي أحد أن يتخيّلها، عوضاً عن الإحساس بها في الدنيا. وتعزيز هذا النوع من الأمل هو دافع هائل في تحريك الإنسان إلى درجة التضحية بالنفس من أجلها، وهذه خاصيّة إنسانية تربط بالمخ مُباشرةً.

ولتأكيد أنّ الأمل هو الدافع إلى العمل أجريت تجربة على القرود، وكانت كالتالي: حينما يضغط القرد على مقبض عدداً من المرات يحصل علىجائزة (الطعام)، وقد قاس العُلماء نسبة (الدوامين) في المخ بالتعلم المدفوع للأجر، (ومادة الدوامين مادة كيميائية تتفاعل في الدماغ ليؤثّر على كثير من الأحاسيس والسلوكيات، بما في ذلك الانتباه، والتوجيه، وتحريك الجسم)، فلاحظوا أنّ النسبة ترتفع قبل أن يبدأ القرد بالضغط على المقبض، وليس عند استلام الجائزة.

و(الدوامين) ينطلق في المخ بسبب توقعك الحصول على السعادة، وليس بعد حصولك عليها، وهذا فارق مهمٌ، أي أنّ السعادة تحصل عليها حينما يكون هناك طموح للحصول على الجائزة، وليس حين الحصول عليها.

قرر العُلماء تغيير التجربة قليلاً، فبدلاً من أن يعطوا القرد الجائزة في كلّ مرّة يضغط فيها على المقبض أعطوه الجائزة خمسين بالمئة من المرات التي يضغط بها على المقبض، وبشكل عشوائي، ولم يدرّ القرد في أي المحاولات سيحصل على الجائزة. واكتشف العُلماء أنّ ضخ كمية (الدوامين) في المخ ترتفع بشكل أكبر بكثير من السابق، وهي أكبر ممّا حصل على الجائزة في كلّ مرّة؛ في التجربة الأولى صَمِّنَ القرد الجائزة، وفي التجربة الثانية كانت نسبة الضمان 50%.

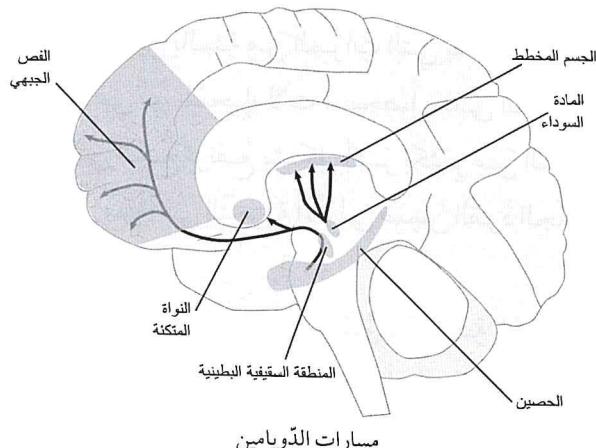
والسبب في زيادة نسبة (الدوامين) يعود إلى كون النتيجة غير مضمونة، فربما تحدث، وربما لن تحدث، وحسب ما يقول (د. روبرت سابولسكي) العالم في علم الأعصاب: «أنت أدخلت كلمة (ربما) في المعادلة، وكلمة (ربما) تُسبّب الإدمان بشكل كبير».

هذا الشيء ينطبق على الإنسان تماماً حسب ما ذكر د. روبرت سابول斯基)، إذ يقول: إنَّه حينما تفصل بين الجائزة والعمل، وتجعل بينهما فارقاً زمنياً فإنَّ مستويات (الدوبامين) ترتفع عند الإنسان، وتحيلك تبدأ بالمدرسة من الصغر، ولديك طموح كبير لأن تصبح شيئاً ما في المستقبل في مكان تحبُّه.

الإنسان يستطيع أن يعي على مستوى (الدوبامين) في المخ عاليًّا جداً انتظاراً للجائزة في المستقبل البعيد جداً، وهذا هو أحد الفروق بين الإنسان والحيوان، فالإنسان يتظر طويلاً على أمل الحصول على الجائزة، بينما لا تتحمل الحيوانات مدة بالطويل نفسه.

وهذا ما جعل الإنسان يراقب النجوم، ويحاول فهمها على مر التاريخ، إذ إنَّ الإنسان قد طُبع على حبِّ الاكتشاف، فهو يتحرَّك على الأرض والبحر وفي السماء، يسافر، ويقطع المسافات الشاسعة، إما مشياً على الأقدام، وإما باستخدام الحيوانات، أو السيارات، أو الطائرات، أو غيرها، يغوص في أعماق البحر، ليكشف أسرارها، ويُحطم الجسيمات الصغيرة من أجل اكتشاف ما يداخلها، والنظر إلى السماء في عمق الكون ليس بغير أغواره، إنها محاولة الاكتشاف والأمل والطموح التي تشعره بالسعادة، وتجعله يعمل كي يحقق طموحاته العالية البعيدة المنال، فالأمل إذا دافع إلى العمل.

وصدق من قال: «إذا كنت تريدين أن تبني سفينة فلا تحشد الرجال لجمع الحطب، ولا لتقسيم العمل وإصدار الأوامر، بل علِّمهم الاشتياق لاتساع البحر، وإلى لانهائيه»، وهكذا يفضل أن نعامل الإنسان حينما تريدين منه أن يقوم بهممه، علينا أن نُحفِّزه، وأن نُشعِّل خياله، فكلما اتسعت عنده فسحة الأمل عمل أكثر، وأثمرت التائج.



* كيَفِيَّةُ تَقْدِيرِ الذَّاتِ عائشة نوَفَل

إِنَّ تَقْدِيرَ الذَّاتِ يَعْنِي أَنْ تَنْتَظِرَ لِذَاتِكَ نَظَرَةً تَقْدِيرٍ، نَظَرَةً مُلْؤُهَا النَّقَّةُ، وَأَنْ تُعْطِي مَكَانَةً مُمِيزَةً لِلذَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ بَعِيدًا عَنِ الْغَرَوْرِ. وَلَكِي يَتَمَكَّنَ الْمَرْءُ مِنْ تَقْدِيرِ ذَاتِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرَفَ قُدرَاتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ، فَقَدْ تَكُونُ الْقُدْرَاتُ هَائلَةً إِلَّا أَنَّهَا تَحْتَاجُ لِلتَّنْمِيَةِ، وَبِالْعَمَلِ الْجَادِ وَالْهَمَّةِ الْعَالِيَّةِ تَغْدو تَنْمِيَةُ الْقُدْرَاتِ الشَّخْصِيَّةِ أَمْرًا مُمُكِّنًا، فَهُنَّاكَ فِي شَخْصِيَّةِ كُلِّ فَرِيدٍ نِقَاطٌ قُوَّةٌ، وَنِقَاطٌ ضُعْفٌ، وَلِمَعْرِفَتِهَا بِدقَّةٍ يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَدْوُنَ ذَلِكَ باسْتِمرَارٍ، وَيَسْأَلَ مَنْ يُشَقِّ بِهِمْ فِيمَا يَرَوْنَهُ فِيهِ، وَلَا يَرَاهُ هُوَ فِي نَفْسِهِ، فَقَدْ يُعْفَلُ بَعْضُ النِّقَاطِ السَّلَبِيَّةِ الَّتِي تَتَخلَّلُ شَخْصِيَّتَهُ، وَتُعِيقُهُ عَنِ النَّجَاحِ، فِي حِينٍ يَتَمَكَّنُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ يَعْرَفُونَهُ جَيْدًا، أَوْ يَعْيَشُونَ مَعَهُ مُلاَحِظَتَهَا بِسَهْوَلَةٍ، وَإِذَا مَا تَمَّ لَفْتُ اِنْتِبَاهَ الْمَرْءِ لِهَذِهِ السَّلَبِيَّاتِ وَنِقَاطِ الْضُّعْفِ، فَإِنَّ أَوَّلَ خَطْوَةٍ فِي تَغْيِيرِهَا هِيَ إِدْرَاكُهَا، فَمَنْ لَا يُدْرِكُ أَنَّ التَّدْخِينَ ضَارٌ -مَثَلًا- لَنْ يَتَرَكُهُ، وَلَنْ يُحاوِلَ الإِقْلَاعَ عَنْهُ.

وَمَنْ بَعْدِ الإِدْرَاكِ تَأْتِي الإِرَادَةُ، فَالِإِرَادَةُ سُرُّ النَّجَاحِ، وَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُصَمِّمَ أَنْ يَكُونَ نَاجِحًا وَمُتَمِّزًا، مَهْمَا كَلَفَهُ الْأَمْرُ، فَيَسِّبِبُ الإِرَادَةُ تَشَكُّلَ الْعَالَمُ مِنْ حَوْلِنَا، فِي إِرَادَةِ (تُومَاسُ أَدِيسُونَ) هِيَ الَّتِي أَضَاءَتْ لَنَا مَا حَوْلَنَا، وَالْأَمْثَلُ لَا حَصْرَ لَهَا فِي قُوَّةِ الإِرَادَةِ وَالتَّصْمِيمِ الَّتِي أَنْتَجَهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالْعُظَمَاءُ وَأَصْحَابُ الْبَصَمَاتِ، ثُمَّ يَأْتِي تَغْيِيرُ النِّقَاطِ السَّلَبِيَّةِ تَلَوَ التَّصْمِيمِ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِدْخَالِ عَادَاتٍ إِيجَابِيَّةٍ تَحْلُّ مَحْلَهَا لِلمساَعِدَةِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَتْ نِقَاطُ ضُعْفِهِ هِيَ الْأَنْفَعَالُ وَالْعَصَبَيَّةُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَدْرِيبِ نَفْسِهِ عَلَى تَرْكِهَا، وَإِدْخَالِ عَادَةِ الْهَدْوِ وَالصَّمَتِ وَضَبْطِ الْأَعْصَابِ فِي أَثْنَاءِ الْمَوْقِفِ الَّذِي يَسْتَدْعِي اسْتِفَارَاهُ، وَيُشَيرُ حَنَقَهُ، وَبِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ يَتَمُّ التَّقْلِيلُ مِنْ نِقَاطِ ضُعْفِ الشَّخْصِيَّةِ.

أَمَّا النِّقَاطُ الإِيجَابِيَّةُ فِي الشَّخْصِيَّةِ، كَالْقِيَادَةِ -مَثَلًا- أَوْ سُرْعَةِ الْحَفْظِ، أَوِ الصَّفَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْحَسَنَةِ، وَغَيْرِهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْزِيزِهَا وَتَقوِيَّهَا؛ لِتَغْدو أَفْضَلَ مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَبِهِذَا يَعْلُو تَقْدِيرُ الْمَرْءِ لِذَاتِهِ، وَتَزَدَّرُ نَظَرُهُ الإِيجَابِيَّةُ لِنَفْسِهِ، فَتَقْدِيرُ الذَّاتِ هُوَ بَدَائِيَّ طَرِيقِ التَّمِيزِ وَالتَّميِيزِ، فَأَصْحَابُ الْبَصَمَاتِ الْعَظِيمَةِ قَدَّرُوا ذَوَاتَهُمْ فِي الْبَدَائِيَّةِ، وَأَمْنُوا بِقُدرَاتِهِمْ، وَوَثَقُوا مِنْ أَحَلَامِهِمْ

وأهدافِهم، وعزّزُوها بالعملِ الدّؤوبِ والهممَةِ العاليةِ، وبذلِكَ تركوا أثراً إيجابياً ملموساً على أرضِ الواقعِ، وخلّدوا ذكرَهُم بتحليلِ إنجازاتِهم، ولذا يجبُ على المرأة أنْ يحدّدَ غايَاتِهِ كي يصلَ إلى مُرادِهِ.

إنَّ المرأة يستطيعُ تقديرَ ذاتِهِ بعدَةِ طرائقٍ أخرى، حيثُ ينْهُجُ نهجاً سليماً وأصيحاً أماماً، ويَتَّخِذُ مثلاً أعلىَ لذاتهِ في كُلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ، والأفضلُ أنْ يكونَ مثلاً حيَاً، يستطيعُ أنْ يرآهُ، أو يتعلَّمَ منهُ في كُلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ، كالجانبِ الدينيِّ أو الماليِّ أو الثقافيِّ أو المهنيِّ أو الشّخصيِّ، وغيرِها.

إنَّ بناءَ الصورةِ الذاتيةِ الإيجابيةِ عن النفسِ، وتعزيزِ قدراتها، والإيمانَ بأهدافِها يدفعُها إلى تقديرِ ذاتها، والثقةِ بها، فصورةُ الفردِ الداخليَّةُ تتغلَّبُ على أيِّ شيءٍ آخرَ، وقد يستمدُ المرأة قوَّتها منْ قدوتهِ الذاتيةِ، حيثُ يُركِّزُ على أفعالِ قدوتها، ويقارنُ نفسَهُ؛ ليغدوُ أفضلَ، كما يقارنُ سلوكهُ بسلوكيَّهم، وأخيراً يُركِّزُ على الصورةِ الذاتيةِ المستقبليةِ لنفسِهِ، فيسألُ نفسهُ: ماذا، ومَنْ أريدُ أنْ أكونَ؟ وعليهِ أنْ يُجيبَ عن هذا التساؤلِ بوضوحٍ تامٍ، وبدقةٍ، وأنْ يحدّدَ المُدَّةَ الرّمنيَّةَ اللازِمةَ للوصولِ إلى هدفِهِ.

ومن الجدير بالذكر أنَّ كتابةَ نقاطِ قوَّةِ الشّخصِ وتغييرِ الإيجابيِّ، وتعليقها في مكانٍ يراهُ يوماً أكثرَ منْ مرَّة، كأنَّ تكونَ على حائطٍ أو مراةً، وغير ذلك، يُساعدُ على بناء صورةٍ داخليةٍ حسنةٍ، وتحسينِ تلكَ السلبيةِ التي تتخللُها قلةُ الثقةِ بالنفسِ وبالقدراتِ الموجودةِ وبالإمكاناتِ المُتاحَةِ، وبالتالي قلةُ التقديرِ الذاتيِّ.

إنَّ قيمةَ المرأةِ الذاتيةَ تعلو بالإنجازاتِ، وإنْ قلَّتْ، فعلى المرأة أنْ يعيَّدَ إنجازاتِهِ باستمرارٍ، وأنْ يتعلَّمَ كُلَّ يومٍ شيئاً جديداً، وألا يُكثِرَ منْ تردِيدِ سلبياتِهِ وفشلِهِ في تجاربهِ السابقةِ، فذلكَ يجعلُهُ أكثرَ إحباطاً، وأقلَّ تقديرًا لذاتهِ، ويجلبُ شعورَ الفشلِ الذي عاشَهُ في تلكَ التجاربِ إلى اللحظةِ الآنيةِ بقوَّتهِ نفسيَّها، فلو أحصى المرأةُ إنجازاتِهِ مُنذُ إدراكِهِ الحياةَ لوجدها لا حصرَ لها.

كما يجبُ عليهِ أنْ يتقبَّلَ ذاتَهُ كما هوَ في الأشياءِ التي لا يُمكِّنهُ تغييرُها، كشكليِّهِ ولونِهِ واسمِهِ وأهلهِ، وغيرِها من الأمورِ القدريةِ التي كتبَها اللهُ تعالى عليهِ، بل عليهِ أنْ يكونَ مُتقبلاً لها بشدَّةٍ، ومتصلحاً معها، ومُحِبًّا، وغيرَ محارِبٍ لِقدراتِها.

لذا، فإنَّ الخطواتِ الأولى لتقديرِ الذَّاتِ هي الرُّضا عن تلكَ المُقدَّراتِ، وَحُبُّ الذَّاتِ كما هي، والسعُى لتطويرِها وتنميتها، حيثُ إنَّ كُرْهَها لا يؤدِّي إلى تحسينها البِّتَّة، والسُّخْطَ على ما لا يُمْكِنُ تغييرُهُ لا يجلِّبُ خيراً للذَّاتِ أبداً.

تاريخ الأعداد

يُعدُّ القرنانِ الثالثُ والرابعُ للهجرة (التاسعُ والعالِسُ للميلاد) قرنينِ ذهبيَّينَ لِلرِّياضياتِ لدى العربِ المسلمينَ الَّذِينَ سعوا الحفظِ هذا العلمِ وترقيتهِ، في وقتٍ كانتْ أوروبا فيهِ غارقةً في حقبةٍ من الانحطاطِ العلميِّ. وقد كانَ منْ فضلِ هؤلاء المسلمينَ أيضًا آنَّهم حفظوا تراثَ اليونانِ القديمِ في الرِّياضياتِ، فترجموهُ، وأضافوا إلَيْهِ، ثمَّ قاموا بنشرِهِ مَرَّةً أخرى في أصقاعِ العالمِ. كانتْ خطوتُهُمُ الكبيرةُ الأولى آنَّهم أشاعوا نظامًا جديًّا للأعدادِ، وجدوا آنَّهُ يتسعُ لكلِّ العمليَّاتِ الحسابيَّةِ، وفيهِ إمكاناتٌ لا تنتهي للتبديل عنْ كُلِّ النُّظمِ الرِّياضيَّةِ المطلوبةِ.

و قبلَ ذلكَ كانَ الأوَريَّونَ يستعملونَ الأعدادِ الرومانيةَ للتَّبديلِ عن حاجاتِهِمُ المتصلةُ بالحسابِ، لكنَّ تلكَ الرِّموزَ كانتْ قاصرةً جدًّا، بل يكادُ يستحيلُ إمكانُ استعمالِها في عمليَّاتِ الضربِ أوِ القسمةِ أوِ الجمعِ بأعدادٍ كبيرةٍ، فضلاً عنْ آنَّها لا تشتملُ على عنصرِ عددِيٍّ يُعدُّ أهمَّ اختراعِ رياضيٍّ على الإطلاقِ، وعني بِهِ رمزُ (الصفرِ) الَّذِي يُعدُّ عندَ كثيرٍ من مؤرِّخي الرِّياضياتِ الخطوةَ الكبرىِ التي كانَتْ للحضارةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ فضلُ تطويرِها ونشرِها؛ فكانتِ السَّبيلُ إلى أنْ تكونَ المفتاحَ إلى حلِّ كثيرٍ منِ المعضلاتِ الرِّياضيَّةِ، وإلى أنْ تكونَ مركزَ نظامِ الرِّموزِ العدديةِ في الرِّياضياتِ منْذُ وضعِها إلى اليومِ.

لقدِ اقتبسَ العربُ المسلمينَ رموزَ الأعدادِ في الأصلِ منْ حضارةِ الهندِ، ولعلَّها في تلكَ الحضارةِ ما كانتْ رموزًا للأعدادِ، بل هي نوعٌ منِ الحروفِ على نحوِ ما يشيرُ ابنُ النَّديمِ في (الفهرستِ)، فكانتْ خطوةُ الرِّياضيينَ المسلمينَ الكبرىِ آنَّهم استعملوها للتَّبديلِ عنِ الأعدادِ، مبتعدينَ عنِ الرِّموزِ القديمةِ التي هي حروفُ العربيةِ نفسُها التي كانتْ تعبِّرُ عنَّهُم عنْ قيمٍ عدديَّةِ، فضلاً عنْ قيمِها الحرفيةِ، وهي مرتبةٌ على النحوِ الآتي:

| الأحادُ | أ | ب | ج | د | ه | و | ز | ح | ط |
|----------|----|----|----|----|----|----|----|----|----|
| | 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 |
| العشراتُ | ي | ك | ل | م | ن | س | ع | ف | ص |
| | 10 | 20 | 30 | 40 | 50 | 60 | 70 | 80 | 90 |

| | | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|------|--------|
| ظ | ض | ذ | خ | ث | ت | ش | ر | ق | المئات |
| 900 | 800 | 700 | 600 | 500 | 400 | 300 | 200 | 100 | |
| | | | | | | | | غ | الآلاف |
| | | | | | | | | 1000 | |

ومنْ طرِيفٍ ما في هذِهِ الرِّموزِ (أيِّ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ) أَنَّ الشُّعُراءَ استعملوها في كتابةِ أشعارٍ تتضمَّنُ تاريχاً معيناً، فكانوا يوردونَ كلاماً أوْ عبارَةً أوْ جملَةً، تعبرُ عنْ تاريχٍ ما، ويؤرِّخونَ لِهِ.

ويُشَيَّعُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الأَعْدَادَ الْغَرَبِيَّةَ هِيَ الْأَعْدَادُ الْعَرَبِيَّةُ، وَأَنَّ الْأَعْدَادَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ أَعْدَادُ هَنْدِيَّةُ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْعَرَبَ اقْتَبَسُوا حِرْوَفًا هَنْدِيًّا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَعْدَادِ، وَسَهَّلَ لَهُمْ دِمجُهَا بِرِموزِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى اسْتِدَارَاتٍ وَانْحِنَاءَاتٍ شَبِيهَةٍ بِمَا فِي رِموزِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ سَوَّغَ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهَا تُكْتَبُ مِنْ جَهَةِ اليمينِ عَلَى نَحْوِ مَا اعْتَادَ الْكِتَابُ الْعَرَبُ، وَكُتُبُ (الْبَاتَانِيُّ - مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي) وَ(الْبِيروُنِيُّ) تَشَهُّدُ عَلَى هَذَا الْاسْتِعْمَالِ، ثُمَّ جَرِيَ أَنِ اقْبَسَ الْغَرَبِيُّونَ هَذِهِ الْأَعْدَادَ مِنَ الْعَرَبِ، لَكِنَّهُمْ جَعَلُوهَا مَطَاوِعَةً لِطَرَائِقِ كِتَابَتِهِمْ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى اليمينِ، فَظَهَرَتْ عِنْدَنَا الرِّمْزُ الْغَرَبِيُّ لِلْأَعْدَادِ الَّتِي جَرِيَ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينٍ تَطْوِيرٍ وَتَنْظِيمٍ جَعَلَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ.

القطاعات السبعة الأكثر استفادةً من الذكاء الاصطناعي في المستقبل *(أدريان بريجوت)

يتطوّر الذكاء الاصطناعي بوتيرة سريعة، واستخدامه في الصناعات المختلفة على وشك أن يُعيّد صياغة الطريقة التي تعامل بها الشركات مع موظفيها والأيدي العاملة لديها؛ ولذا علينا أن نتعرّفَ جيداً بالإمكانات التي قد يُسفر عنها استخدام «ذكاء الآلة» في الأعمال الحديثة. كان هذا أحد الموضوعات المدرجة على جدولِ أعمالِ القمة العالمية للحكومات 2016 في دبي في إطار نقاشات القمة حول الذكاء المعلوماتي والمستقبلية، فمن الذي سيستفيد من هذه التكنولوجيا أو لا؟ وما القطاعات التي يتوقع لها تحقيق أقصى استفادةً من الذكاء الاصطناعي؟

ولابد أن نشير إلى السمة الأكثـر أهمية في الذكاء الاصطناعي، ألا وهي القضاء على الأعمال الروتينية الرتيبة، بمعنى أن الذكاء الاصطناعي قد يساعد في تقليل وظائف المستوى الأساسي والأدوار التي يتمحور حولها أي عمل، فبداء من قطاع الإنشاءات إلى الترفـيه وإنتاج الغـذاء تتضمن العمليات جميعـها عدداً مـحدودـاً من المسـاعـدين والمـتدـربـين والمـعاـونـين، وهي وظائف تتطلـب القليل من المهـارـة، وهـنا سـيـظـهـرـ الأـكـبـرـ لـاستـخدـامـ الذـكـاءـ الـاصـطـنـاعـيـ.

١. المجال القانوني:

يعمل في هذا المجال كثير من المبتدئين والمسؤولين عن المهام البسيطة، فمهنة المحاماة لا تضم المحامين والقضاة والمستشارين الحكوميين فحسب، ورغم أن الكثيرين من هؤلاء المبتدئين قد يحصلون على مسميات وظيفية تبدو في ظاهرها مهمة مثل «مساعد المحامي»، إلا أن العمل الذي يقوم به هؤلاء الأفراد يتضمن قدرًا هائلاً من الرتابة، فهم يقضون ساعات في دراسة مئات الخطابات ومواد الدعوى القضائية، وفي عملية التوثيق، وسوف يؤدي الذكاء الاصطناعي هذه الوظيفة على الوجه الأكمل إذا استطعنا توجيه برامج «الكشف الإلكتروني عن البيانات» إلى البيانات التي تتطلب المعالجة السريعة.

وفي ظل ما تتضمنه المعلومات القانونية اليوم من الرسائل الإلكترونية ومقاطع الفيديو، بل والمعلومات الواردة من شبكات التواصل الاجتماعي، أصبحت هذه الوظيفة تفوق طاقة

* مختصون في شؤون تطوير البرمجيات وإدارة المشاريع والتكنولوجيا.

العقل البشري، ولذلك يأتي استخدام الذكاء الاصطناعي لـأداء هذه المهام الروتينية بهدف التقليل من هذه المشقة، وزيادة سرعة النتائج وأساليبها، فمن مَنْ قد لا يرغب في ذلك؟

2. الإعلان:

تسعى شركات مثل (إنتل) و(سوفتوير إيه جي) الألمانية، و (آي بي إم) وغيرها مُنذ فترة إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في مجال التسويق والإعلان. وقد ظهرت هذه التكنولوجيا في صورة «واجهات دعائية» إلكترونية مدعاومة بـ (كاميرا) لعرض الإعلانات، فعندما تلتقط (الكاميرا) صورة رجل أمامها فإنها تعرض إعلاناً عن إحدى السيارات، وعندما تلتقط صورة أخرى فسوف تُعرض إعلاناً عن أحد العطور، على سبيل المثال.

وبعيداً عن فكرة التنسيط القائمة على النوع الاجتماعي، وغير المقبولة هنا، فإن هذه التقنية تُعد تقدماً كبيراً في مجال الحملات الإعلانية إذا ما تم تطويرها بالشكل المناسب، وبالطبع سوف تثير هذه التقنية مسألة الحديث عن الخصوصية؛ لأن (الكاميرا) لن تقتصر على كشف النوع الاجتماعي لفرد فحسب، بل ستكتشف عن السن والخلفية العرقية، وربما عن الحالة المزاجية أيضاً.

ولكن، هل نؤيد الإفصاح عن تلك المعلومات؟ ربما تكون الإجابة «نعم»، ولكن علينا أن نعمل وفق مبادئ وتجهيزات نضعها الآن ونَحْنُ لا نزال في مرحلة التطوير الأولى.

3. الأسواق المالية:

لا شك أن الأسواق المالية هي القطاع المثالي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، فحجم التداول المالي يشهد ارتفاعاً متزايداً، وهو ما تُصاحبُه زيادة هائلة في المعلومات الفرعية ذات الصلة، ونحن ندركاليوم أن بيانات التداول لا تقتصر على السعر الحالي للسلعة أو القوة الشرائية للعملة، إذ تدخل في ذلك أيضاً النقاشات الهاتفية والبريد الإلكتروني ومقاطع الفيديو ذات الصلة بأية عملية تداول مُختللة، وهذه البيانات كلها يمكن تعقبها أيضاً.

ويمكّنا استخدام تقنيات تتضمن تحليل النصوص التحريرية ومعالجة اللغة الطبيعية لتحليل تلك البيانات وفهمها ضمن سياقها، ففهم معنى البيانات داخل السياق الذي وردت فيه هو المحور الذي يدور حوله الذكاء الاصطناعي، ومن هنا سوف تتجاوز مرحلة الحديث عن

صُنْعَ القراراتِ لِتَتَقَدَّمَ إِلَى مَرْحَلَةٍ أُخْرَى هِيَ التَّفْكِيرُ الْقَائِمُ عَلَى الْأَدْلَةِ وَالقراراتِ الْمُسْتَنْدَةِ إِلَى الأَحْدَاثِ.

4. الرّعاية الصّحيّة:

الذّكاءُ الاصطناعيُّ فِي الرّعايةِ الصّحيّةِ لَا يَعْنِي تَصْمِيمَ (الروبوتات) لِتَقْدِيمِ الرّعايةِ إِلَى المَرْضِيِّ أَوْ تَطْوِيرِ أَجْهِزَةِ اسْتِشْعَارٍ تَبْنَىً بِالْأَعْرَاضِ الْأُولَى لِحَالَاتِ الْإِكْتَشَافِ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَمْوَارِ لَاتَّرَازُ فِي الْمَرَاحلِ التَّجْرِيَّيَّةِ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ يُسْتَخْدِمُ الذّكاءُ الاصطناعيُّ فِي تَحْلِيلِ سَلْسُلَاتِ (الجِينُوم) الْبَشَرِيِّ لِلتَّنبِئِ بِالظَّفَرَاتِ وَالوقَايَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ.

وَيُعَدُّ تَطْبِيقُ (AiCure) مَثَالًا حَيًّا عَلَى مَا نُطْلِقُ عَلَيْهِ أَسَالِيبَ (العَلاجِ الْخَاصِّ لِلْمُلَاحَظَةِ الْمُبَاشِرَةِ) عَبَرَ اسْتِخْدَامِ الْهُوَاطِفِ الذَّكِيَّةِ، فَالْمَرِيضُ يُصَوِّرُ نَفْسَهُ بِتَقْنِيَّةِ (الفِيدِيُو) فِي أَثْنَاءِ تَنَاوِلِ الدَّوَاءِ، بَيْنَمَا يُسْتَخْدِمُ التَّطْبِيقُ تَقْنِيَّةَ التَّصْوِيرِ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى امْتَصاصِ الْجَسْمِ لِلَّدْوَاءِ، كَمَا يَتَمُّ إِنشَاءُ مُحتَوِيٍّ تَقْفِيَّيٍّ وَتَغْذِيَّةٍ رَاجِعَةٍ آيَّيَّةً وَأَدَوَاتٍ تَحْفِيَّزَيَّةً أُخْرَى حَسْبَ حَاجَةِ كُلِّ مَرِيضٍ. وَصَحِيحٌ أَنَّ الْمَرِيضَ يُسْمَحُ لِجَهازِ (كمبيوتر) مُزَوَّدٍ بِخَاصِيَّةِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ أَنْ يُرَاقيَهُ، لَكِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَصْبُرُ -أَسَاسًا- فِي مَصْلَحةِ الْمَرِيضِ نَفْسِهِ.

5. السَّيَارَاتُ ذَاتِيَّةِ الْقِيَادَةِ:

لَاتَّرَازُ تِكْنُوْلُوْجِيَا السَّيَارَاتِ ذَاتِيَّةِ الْقِيَادَةِ فِي مَرَاحِلِهَا الْأُولَى، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا تَتَطَلَّبُ آلاتٍ لَدِيهَا قَدْرٌ مَعْقُولٌ مِنَ الذّكاءِ، بَدْءًا مِنْ أَجْهِزَةِ اسْتِشْعَارِ الْحَرْكَةِ إِلَى (الكاميرات) الْمُزَوَّدَةِ بِخَاصِيَّةِ الإِدْرَاكِ الْمَكَانِيِّ؛ لِتَصْنِيفِ «عَقُولِ» السَّيَارَاتِ ذَاتِيَّةِ الْقِيَادَةِ ضِمِّنَ فَئَةِ التَّعْلُمِ الْآلَيِّ وَوَاجْهَةِ التَّوَاصُلِ الْبَشَرِيِّ الْحَاسُوبِيِّ.

وَلِضَمَانِ الْأَمَانِ فِي أَثْنَاءِ السَّيَرِ عَلَيْنَا الْوَصُولُ إِلَى الْمَرْحَلَةِ الَّتِي لَا تَقْتَصِرُ فِيهَا أَجْهِزَةُ (الكمبيوتر) الْمُشَغَّلَةُ لِلسَّيَارَاتِ عَلَى إِدْرَاكِ الْعَوْاْمِلِ الْمَادِيَّةِ الْمُحَدَّدةِ حَوْلَهَا، بَلْ وَالْعَوْاْمِلِ غَيْرِ الْمُحَدَّدةِ الَّتِي يَصْبُرُ التَّنَبُؤُ بِهَا، وَالنَّاتِجَةُ عَنِ الْأَفْعَالِ الْعَشْوَائِيَّةِ لِلْسَّائِقِيْنَ الْبَشَرِيِّيْنَ الَّذِيْنَ سَيَشَارِكُونَهَا الطَّرِيقَ فِي الْبَدَائِيَّةِ عَلَى الْأَقْلَلِ.

6. «رُوبُوتاتِ النَّانُو» وَالْتِكْنُوْلُوْجِيَا الْحَيَوِيَّةِ:

سُمِّيَّتْ «رُوبُوتاتِ النَّانُو» بِهَذَا الْأَسْمَ نِسْبَةً إِلَى حَجْمِهَا، (فَالنَّانُو) يَعْنِي وَاحِدًا مِنَ الْمِليَارِ،

وهكذا (فالنانومتر) يُساوي واحداً على مiliar من المتر. و«روبوتات النانو» عبارة عن «روبوتات» باللغة الصّغر، ويمكن إدخالها إلى مجرى الدّم لإعادة برمجة (الجينات)، أو العمل كخلايا بيضاء فائقة الذّكاء بما يعزّز من الحفاظ على حالينا الصحيّة. وتطلق على هذه التقنيّة أسماءً مختلفة مثل (النانويد)، و(النانايت)، وأجهزة (النانو)، و(النانومايت)، وجميعها لاتزال في مرحلة التجربة، ويتوقع العلماء أن «روبوتات النانو» قد تصبح واقعاً خلال الربع التالي من القرن، وربما يصبح استخدامها أمراً معتاداً كتناول حبة من (الأسبيرين).

7. الحكومات:

أخيراً، وليس آخرًا، يُعد قطاع الحكومات مكاناً مثالياً لتطبيقات الذّكاء الاصطناعي، وقد ضربت دولـة الإمارات العربيـة المـتحـدة مـثالـاً فـي تـطـوـيرـ العـدـيد مـن بـرـامـجـ الحـكـومـةـ الإـلـكـتـرـونـيـةـ التي تستفيدـ أيـما استـفادـةـ من ذـكـاءـ الـآلـةـ فـي إـدـارـةـ عـمـلـيـاتـهاـ. والـفـكـرـةـ الـتـي تـقـومـ عـلـيـهاـ حـكـومـاتـ الذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ تـرـىـ أـنـهـ بـإـمـكـانـ العـنـصـرـ الـبـشـريـ أـنـ يـضـعـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـحـقـوقـ وـالـمـبـادـيـ المـتـفـقـ عـلـيـهـاـ بـصـورـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ، بـحـيثـ تـبـقـىـ بـعـدـاـ عـنـ تـدـخـلـاتـ السـيـاسـيـيـنـ وـهـيـمـنـةـ الـقـادـةـ. وـيـرـىـ بـعـضـهـمـ أـنـاـ سـوـفـ نـطـبـقـ مـفـاهـيمـ مـحـدـدـةـ مـنـ الذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ مـنـ أـجـلـ (أـنـتـهـ)ـ بـعـضـ جـوـانـيـعـ الـعـلـمـ الـحـكـومـيـ بـدـلـاـ مـنـ اـسـتـبـدـالـهـ تـمـاماـ.

العنصر البشري في الذكاء الاصطناعي:

عند الحديث عن تطوير الذكاء الاصطناعي اليوم لا ينبغي أن نترك المسؤولية الكبرى التي نشارك فيها جميعاً على أجهزة (الكمبيوتر) نفسها، فنحن ندرك أن التطور التكنولوجي سريع وواسع النطاق، ولا نهاية له، ولذا ينبغي أن نوجه تركيزنا على العنصر البشري نفسه حتى يتسع لنا تطوير الذكاء الاصطناعي بالصورة التي تريدها دون أن تخرج الأمور عن نطاق سيطرتنا.

ملاحظات الطالب

مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى



80051115



04-2176855



ccc.moe@moe.gov.ae



www.moe.gov.ae

جميع الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن مسبق من الناشر.

